University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الموارد المعدنية والمائية علي الهضبة الأولى وسهل بنغازي - شمال شرق ليبيا "آفاق للتنمية - دراسة جيومورفولوجية تطبيقية"

* د. علي محمد الفيتوري.

(عضو هيئة التدريس بقسم الموارد والبيئة - كلية الاداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي - ليبيا)

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الموارد المعدنية والمائية علي الهضبة الأولى وسهل بنغازي - شمال شرق ليبيا "آفاق للتنمية - دراسة جيومورفولوجية تطبيقية"

الملخص

يهدف البحث إلي إبراز إمكانيات المنطقة من ناحية الموارد الطبيعية وتحديداً الموارد المعدنية والمائية لتحديد أنسب الاستخدامات البشرية لها من أجل الإحاطة الشاملة بالمشاكل والقضايا المرتبطة بهذه الموارد بمنطقة الدراسة ،وبالتالي التفكير في نمط فعال للتنمية في المنطقة ،فإنه من الضروري تشخيص واقع الحال فيها ،والهدف من ذلك هو تحديد الإمكانيات الذاتية ،وضبط المعوقات ، ومعرفة المؤهلات المتوفرة سواء على المستوى البنية التحتية أو على مستوى استغلال الموارد المعدنية والمائية وتنظيم كافة الانشطة التنموية لمنع الاستنزاف وتهديد الاستدامة فلابد من اعتماد نموذج لتحديد المعلومات وينبغي على الدولة أن تلجأ إلى تنمية منطقة الدراسة بصفة خاصة والجبل الاخضر بصفة عامة من خلال مسلسل من التحولات التي تمس مختلف جوانب الحياة في المنطقة ،بحيث يتميز هذا المسلسل بالشمولية والانتظام ،ويؤدي إلى الرفع من أداء العمل وترشيد استغلال الموارد الطبيعية والبشرية وتنويع الأسس الاقتصادية لسكان منطقة الدراسة وتحسين ظروفهم الاقتصادية. وبهذه الصفة ،ستعمل هذه التنمية على الرفع من جاذبية الحياة والعمل في المنطقة.

الكلمات المفتاحية : الموارد المعدنية، المائية، سهل بنغازي، الهضبة الأولي.

Mineral and water resources on the first plateau and Benghazi' plain - northeast of Libya "prospects for development - Study in Applied geomorphology"

Dr. Ali Mohamed Elfeituri

Summary

highlight the potential of the region in terms of natural resources, specifically of mineral and water resources to determine the most appropriate human uses for the comprehensive briefing to the problems and issues associated with these resources in the study, thus thinking in the pattern of effective development in the region, it is necessary to diagnose the reality of the situation, the aim is to identify their own possibilities, and obstacles, and knowledge available qualifications at both the infrastructure or on the level of utilization of mineral and water resources and the Organization of all development activities to prevent attrition and threatening the sustainability must be the adoption of a model to determine the information that the State party should resort to the development of the study area in particular the Green Mountain in general through the series of changes affecting various aspects of Life in the region, so this is a serial of totalitarianism, regularity, and leads to raise the performance of the work and the rational use of natural resources and human resources and the diversification of the economic foundations of the inhabitants of the study area and to improve the economic statue, social and cultural rights. In this capacity, will this development to raise the attractiveness of life and work in the region.

- **تمهيد**

الجيومورفولوجيا التطبيقية هي العلاقة مابين الظاهرات الجيومورفولوجية ومدى استفادة الإنسان منها اقتصادياً , ولهذا فدراسة أي بقعة على سطح الأرض تهدف إلى إظهار وإبراز خصائص المكان وما يمكن أن يحويه من موارد وخصائص يمكن الاستفادة منها في المجالات المختلفة. وتعد الخريطة المستقبلية لمنطقة الدراسة نتيجة طبيعية لما تم دراسته في الفصول السابقة من الناحية الجيولوجية ،وخصائص الأحواض، وخصائص شبكات التصريف،والعوامل المناخية والهيدرولوجية التي تؤثر في عملية الجريان، والميزانية المائية وهيدرولوجية المنطقة، وذلك لوضع صورة واضحة وشبه كاملة أمام المخططين وصناع القرار, وذلك بتوفير معلومات متنوعة تسهم بشكل فاعل في نجاح المشروع وتقلل من المشاكل والآثار السلبية التي ترافق تنفيذه, ومن تلك المعلومات ما يأتي,**(الدليمي, 2009, ص. 320)**:

- طبوغرافية الأرض, تعد التضاريس وطبيعة الانحدارات من حيث الدرجة ونوع المكونات من الجوانب المهمة في تحديد مواضع المشاريع.
- العمليات الجيومورفولوجية السائدة او المتوقع حدوثها بالمنطقة و ما يترتب عليها من اثار مستقبلاً , ليمكن اتخاذ التدابير اللازمة, ومن تلك العمليات ما يأتي:
  - عمليات التجوية بأنواعها الفيزيائية والكيميائية.
  - عمليات التعرية و الإرساب الجارية والمتوقعة.
  - التساقط والانزلاق الصخري والهبوط وغيرها من العمليات التي تتعرض لها السفوح.
  - الهبوط الموضعي الناتج عن الإذابة او أي سبب أخر.
  - الرطوبة والجفاف ومايترتب عليهما من عمليات .
- طبيعة بنية وتركيب صخور المنطقة وخصائصها ودرجة ميل الطبقات وما تتضمنه من فواصل وشقوق وصدوع واتجاهاتها.
- نوع التربة السائدة قى المنطقة المراد تنميتها و طبيعة انتشارها وخصائصها الفيزيائية والكيميائية.
- الوضع الهيدرولوجي في منطقة الدراسة سواء المياه السطحية أو الجوفية , حيث يتم التعرف على طبيعة الجريان ومدى قرب وبعد المياه الجوفية عن سطح الأرض , وكذلك البرك والمستنقعات , حيث تؤثر جميعها على مشاريع التنمية التي تنفذ بالقرب منها.
- معلومات حيوية عن النبات الطبيعي والحيوان والمحاصيل الزراعية ونظم ريها.
- النشاط البشري في المنطقة كالعمران والطرق والجسور وغيرها من الانشطة , ونوع المشاكل التي تعاني منها حتى يتم تجنبها في المشاريع اللاحقة.
- معرفة الموارد الطبيعية المتوفرة في المنطقة والتي يمكن الاستفادة منها عند تنفيذ المشاريع.
- المعرفة التامة بالأخطار الجيولوجية التي اصابت المنطقة في الماضي اذا ما توفرت دلائل كافية عما حدث كالزلازل والانهيارات حتى يمكن تحديد المناطق الآمنة والخطرة.
- المناخ السائد بالمنطقة وآثاره على مظاهر السطح من خلال العمليات المختلفة الناتجة عن عناصر المناخ.

- **موقع منطقة الدراسة:**

تقع منطقة الدراسة فيما بين سهل بنغازي غرباً ، وحدود منخفض المرج شرقاً علي الهضبة الأولي بالجبل الأخضر الواقع في شمال شرق ليبيا ، وتمتد من الشرق إلى الغرب محاذية لخط الساحل ، وتتوغل جنوباً لمسافة تتجاوز 30 كم ، وحتى ارتفاع يزيد عن 400 متراً داخل الهضبة الأولي حتى منخفض الأبيار . أما فلكياً فتقع بين دائرتي عرض َ15 ,˚32 - َ45، ˚32 شمالاً وخطي طول َ15، ˚20 - َ45، ˚20 شرقاً . الشكل (1)

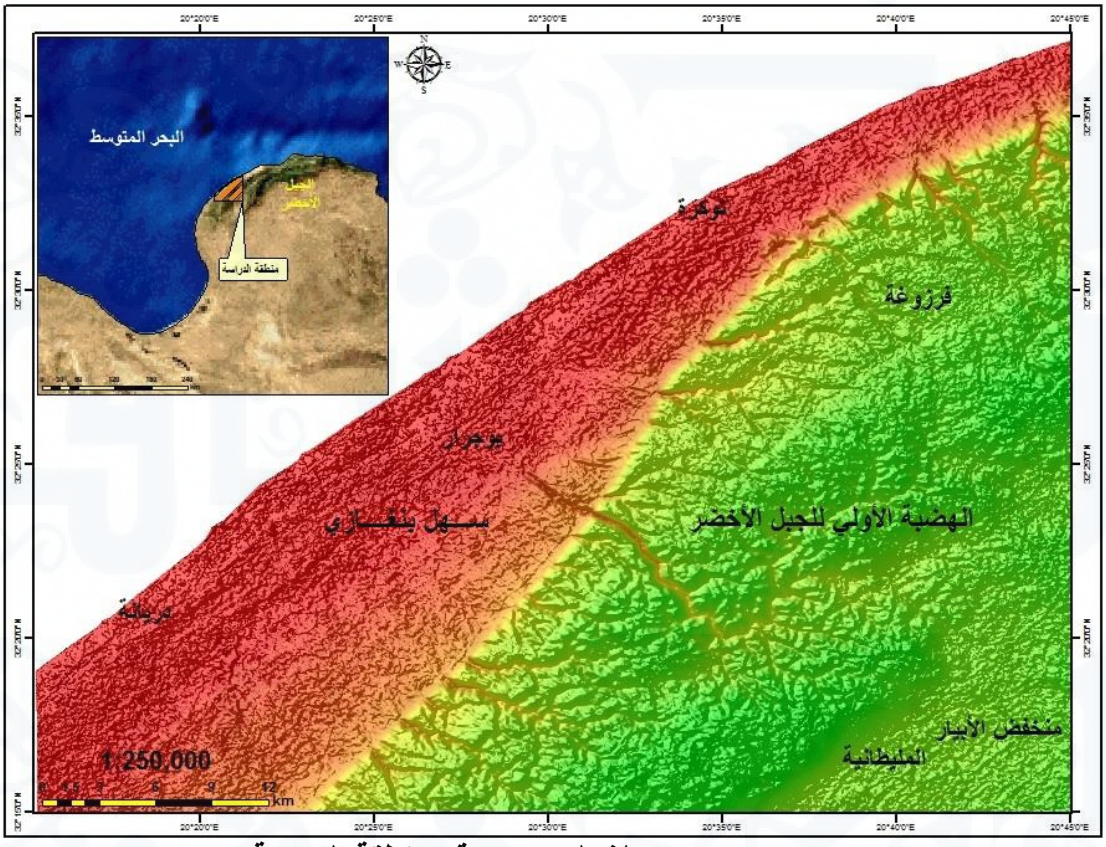

(الشكل 1): موقع منطقة الدراسة

- **الهدف من البحث**

إبراز إمكانيات المنطقة من ناحية الموارد الطبيعية وتحديداً الموارد المعدنية والمائية لتحديد أنسب الاستخدامات البشرية لها من أجل الإحاطة الشاملة بالمشاكل والقضايا المرتبطة بهذه الموارد بمنطقة الدراسة ومحاولة تقديم مقترحات للاستفادة من هذه الموارد في تنمية المنطقة .

تحتوي منطقة الدراسة على مخزون كبير من الثروات الطبيعية غير المستغلة,من توفر المراعي ووجود المياه الجوفية والثروات المعدنية وغيرها من موارد يعطيها فرص واعدة للتنمية. وعلى الرغم من ذلك ،فإن هناك كثير من التحديات التي تواجه عملية التنمية في المنطقة منها غياب التحديد الواضح لمفهوم التنمية وعدم وجود المشاريع الصناعية والحرفية المعتمدة على المواد الخام المتوفرة بالمنطقة. وتنطلق أبعاد التنمية من الأهمية المتزايدة لهذه

المنطقة من عدة جوانب مختلفة ,يمكن اختصارها على دراسة واقع الموارد المعدنية والمائية بمنطقة الدراسة على النحو التالي:

أ. الموارد المعدنية بالمنطقة

نظراً لأن منطقة الدراسة يوجد بها تنوع في التكوينات الجيولوجية التي تغطى سطحها ،وحركات الطي التي تعرضت لها فقد أدى ذلك إلى تنوع النشاط التعديني بها . وتوجد بمنطقة الدراسة العديد من الرواسب المعدنية التي تستغل اقتصادياً فبعضها يستغل بشكل مكثف من قبل السكان وبعضها يستغل من قبل الدولة ,والموارد المعدنية في منطقة الدراسة تستخدم في معظمها كمواد أولية للبناء وأعمال البناء التحتية ,ويمكن تقسيمها إلى قسمين كالتالي:

1. مواد تستخرج وتستخدم مباشرة دون معالجة (عدا الصقل أو الطحن) مثل أحجار البناء المختلفة ,كالحجر الجيري ,والحجر الرملي أو الرمال ,وأحجار الزينة.
2. مواد تستخرج وتعالج كيميائياً ,أو تطبخ أو تصهر قبل استخدامها ,مثل الطين المستخدم في صناعة الطوب الحراري ,و مواد خام لأسمنت كالجبس والحجر الجيري النقي .

وهذه الموارد المعدنية المذكورة لها في الغالب قيمة مادية عادية ,بسبب توافرها باحتياطي كبير بمنطقة الدراسة ,إلا أنها بعد أن تقطع وتنقل من أماكن تواجدها و تعالج بالشكل المطلوب للاستعمال فإن قيمتها تزداد بصورة كبيرة.

1. الموارد المعدنية المباشرة (غير المعالجة كيميائياً)

- **الحجر الطبيعي:**

على الرغم من ازدياد الاعتماد على الطوب الأسمنتي في اعمال البناء المختلفة في ليبيا ,إلا أنه لا يزال الحجر الطبيعي(الحجر الجيري) يستخدم بكثرة في أعمال البناء ,الذي يطلق عليه محلياً "البلك " وهو عبارة عن قطع حجرية تقص على شكل مكعبات مستطيلة ,ويوجد عليها إقبال لخصائصها الطبيعية المتمثلة في عزلها للحرارة وبطء تغيرها حتى مع ارتفاع أو انخفاض درجة حرارة الجو الخارجي ,إضافة لصلابتها واعتدال أسعارها مقارنة بحجر البناء الصناعي.

- **الأحجار المفتتة أو المكسرة:**

تستخدم في خلطة الأسمنت أو لفرش الطرقات و يستخدم لهذا الغرض الحجر الجيري الدولوميتي الموجود بتكويني درنه وابولونيا، وتعتبر هذه الأحجار بأحجامها المختلفة مادة رئيسية من مواد البناء والإنشاء، حيث تعتبر مكوناً أساسياً في خلطة الخرسانة ,كما أن بعض أنواعه المصنفة حسب اللون أو الحجم تستخدم في أعمال تزيين المباني ، ويتوافر الحجر اللازم للبناء في معظم منطقة الدراسة بكميات كبيرة تكفي الاستهلاك المحلي لفترة طويلة، الصورة (1).

- **الرمل:**

متوفر بكثرة في منطقة الدراسة على الشريط الساحلي وذلك للاستخدام في أعمال البناء وفي خلطة الأسمنت ,ويستخدم الرمل (مركب ثاني أكسيد السيليكون و يطلق عليه السيليكا) في استخدامات عدة تبعاً لنقاوته, وتدخل في صناعة الأسمنت والطوب الأسمنتي ,والخلطات

الخراسانية ,كما يستخدم في صناعة مواد الصقل وقوالب المسبوكات المعدنية وكمادة حشو في الطلاء بعد سحقه جيداً.كما يستعمل في صناعة صفائح الصنفرة.

- **أحجار الزينة:**

وهى عبارة عن كربونات الكالسيوم المتبلورة جيداً ,و تتواجد في منطقة الدراسة ضمن تكويني أبولونيا ودرنه , وهو يعتبر من أكثر الصخور صلابة في منطقة الدراسة مقارنة بالأنواع الأخرى من صخور منطقة الدراسة ,وهي ذات خصائص ميكانيكية معينة تجعله ذات مقاومة شديدة للتآكل وتأثير العوامل الجوية مما يجعلها مستخدمة في صناعة البلاط ولزخرفة واجهات المباني الخارجية والداخلية. وتوجد منها أنواع وألوان مختلفة , حيث تتدرج في اللون من الأصفر إلى اللون البني المحمر. وهى شبيها بالرخام في طريقة استخراجها واستخدامها , حيث تستخرج من الطبقات التي تمتاز بالسماكة , فيتم تقطيعها وتجهيزها إلى كتل مكعبة في مواقع إنتاجها وتنقل إلى معامل التصنيع لتقطع حسب نوعية الاستخدام.

(الصورة –1): تبين محجر لإنتاج الحجر الجيري المستخدم في فرش الطرق

- **الأملاح:**

من أقدم الرواسب التي تم استغلالها في ليبيا, ومن أبرز الرواسب الملحية كلوريد الصوديوم ,والماغنسيوم , والبوتاسيوم, إلى جانب كربونات الصوديوم, والماغنسيوم, والبوتاسيوم. وأبرز مكامن ومواقع هذه الأملاح هي السبخات, و تتواجد بمنطقة الدراسة سبخة الكوز التي تقدر مساحتها بـ 1766.25 هكتار , تمثل 1.4% من إجمالي مساحة المنطقة ,وهي أكبر سبخة موجودة بسهل بنغازي بعد سبخة كركاره ,وهي سبخة ساحلية للبحر تأثير عليها في أوقات المد العالي والأمواج العاصفة وترتبط بممر صغير بالبحر, إضافة إلى أن هناك عدة أودية تصب فيها منها وادي زازه .و بها كميات كبيرة من الأملاح ولكنها غير مستغله بالشكل المطلوب من الدولة حيث لا يوجد عليها معامل أو مصانع لاستغلالها الاستغلال الأمثل لما تحويه من مواد هامة رغم الحاجة إلى التوسع في هذه الصناعة الهامة, حيث تصل كمية كلوريد الصوديوم وحده نحو 272جرام \التر(فرحات, غير مؤرخ, ص99). وتلعب

الأملاح دوراً مهماً في المجالات الصناعية الكيميائية لإنتاج غاز الكلور وعنصر الصوديوم, والماغنسيوم, والبوتاسيوم ولكل من هذه العناصر دوره المهم في الصناعة, مثل صناعة وإنتاج الصودا الكاوية, الكلور, أيضا تدخل الأملاح في صناعة الورق والصابون والمنظفات , ومبيضات الملابس , وفى دباغة الجلود , وصناعة الثلج وغيرها من الصناعات المتعددة. ويتميز موقع سبخة الكوز بأنه موقع محتمل و متميز لإنشاء ملاحات و معامل ومصنع كيماويات كالموجود في منطقة بوكماش بالمنطقة الغربية , وذلك لكبر مساحة السبخة و لوجودها على الطريق الساحلي الرئيسي (الصورة-2)

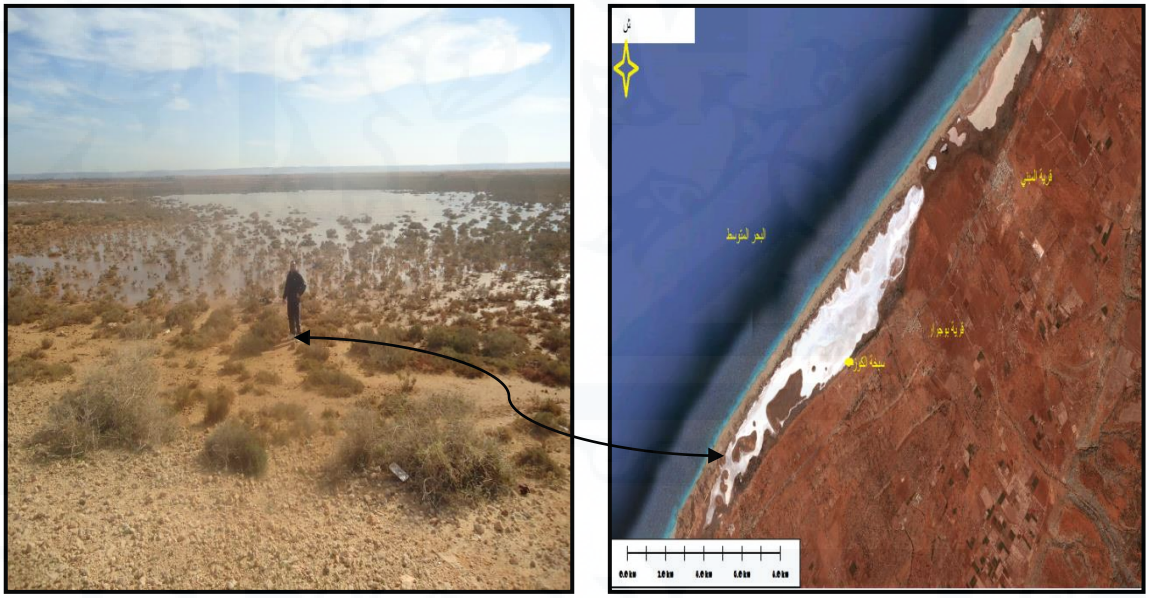

(الصورة – 2):سبخة الكوز شمال منطقة الدراسة, اتجاه التصويرالجنوب الشرقي

2. الموارد المعدنية المعالجة كيميائياً

- **الجبس:**

يتزايد الطلب العالمي على الجبس الخام كمادة طبيعية صناعية هامة لاستخدامات كيماوية عديدة بجانب استخدام هذه المواد في أعمال البناء و الإنشاء. ويتكون الجبس نتيجة لتبخر مياه البحر وتحت ظروف جيولوجية معينة , ويتواجد بمنطقة الدراسة ضمن تكوين الرجمة على السطح في مساحات كبيرة منفصلة , الصورة(85), حيث يوجد على هيئة طبقات سميكة عالية النقاوة تصل فيها نسبة كبريتات الكالسيوم إلى أكثر من 95%, ويقدر إجمالي احتياطياته الظاهرة على السطح بعدة مئات من الملايين من الأطنان معظمها صالح للاستغلال بشكل جيد , ويعدن الجبس بطريقة المنجم المكشوف قليل التكلفة و المخاطر و يستغل حالياً فقط من قبل مصنع الأسمنت.وتتميز هذه المحاجر بقربها من الطريق مما يسهل عملية النقل , ويستخدم الجبس الطبيعي (غير المكلسن) في صناعة الإسمنت، سماد لزيادة خصوبة التربة، صناعة الزجاج ,لإزالة الكبريت من غاز المداخن ، الأغراض الإنشائية والعمرانية كطلاء الجدران الداخلية في الأبنية وعمل القواطع والسقوف والألواح الجدارية

وفي أعمال الزخرفة ، صناعة السيراميك .الاستعمالات الطبية والدوائية . وعلى الدولة أن تتجه لتعدينه واستخراجه وتصديره للسوق العالمي.

(الصورة – 85) :تبين محجر لخام الجبس بمنطقة الدراسة

- **الحجر الجيري النقي:**

الحجر الجيري النقي الطبيعي له استخدامات صناعية هامة , إذ إنه مادة إضافية رئيسية لصناعة البلاستيك, والصابون, ومعجون الأسنان, والطلاء, والأسمنت عالي الجودة. ويبدو أن أحدث وأهم استخدامات الحجر الجيري النقي الطبيعي كمادة خام في صناعة الورق , حيث اتجه إليه منتجو الورق مؤخراً بديلاً للكاولين والتلك وغيرها من المواد المالئة غالية الثمن(دردير,2001, ص66). يوجد الحجر الجيري النقي (أكثر من 98–99.5% كربونات الكالسيوم) في منطقة الدراسة ضمن تكوين الأبرق, إلا أن أكثرها تميزاً ويسراً في الاستخراج يوجد في منطقة الشليوني بمنطقة الدراسة حيث يتميز الحجر الجيري النقي بتواجده بطبقات سميكة تمتد لمسافة طويلة. وتتميز منطقة الدراسة بوجود شبكة من الطرق, حيث يمكن شحن الكميات المستخدمه من الحجر الجيري النقي إلى اماكن الطحن والإعداد والتجهيز التي تستلزم عمليات طحن دقيق جداً للوصول بحجم الحبيبات النهائي إلى أقل من واحد ميكرون المطلوب

في الصناعة, وتعتبر شركة الجوف للتقنية النفطية هي الوحيدة بالمنطقة المحتكرة لطحن وتوزيع كربونات الكالسيوم النقية لتوفر المعدات اللازمة لديها, ويجب تشجيع الشركات المحلية للدخول في مجال انتاج و طحن الحجر الجيري النقي لحاجة السوق المحلي وللتصدير, نظرا لأن شركة الجوف غير قادرة على تغطية السوق المحلي من هذه المادة فيضطر اصحاب مصانع الطلاء والرخام لاستيرادها من الخارج رغم توفر هذه المادة محلياً. وحتى يمكن استغلال الموارد المعدنية الاستغلال الأمثل فإن ذلك يقتضي أن تقوم الدولة بتهيئة المناخ الملائم لهذا النوع من الاستثمار باتخاذ الاجراءات الكفيلة لذلك, منها فتح المجال للترخيص بالبحث والاستغلال للخامات المعدنية بمنطقة الدراسة, وتوعية أصحاب المحاجر الحاليين بأهمية هذا النشاط في التنمية الشاملة, وتشجيع الشركات العالمية المتخصصة في مجال الثروة المعدنية بالدخول في مجال الاستثمار المشترك. إن ليبيا قادمة على نهضة عمرانية مما سيزيد الحاجة إلى توفير مواد البناء والتشييد بكميات مضاعفة وبالتالي يجب الاكتفاء ذاتياً بقدر الامكان من الموارد المعدنية المحلية المتوفرة بالمنطقة.

ب. الموارد المائية

تعد المياه عمدا اساسيا في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية ،عطفا على ذلك فإن تأثيرات قطاع المياه لا تقتصر على الابعاد الاقتصادية فحسب بل تشمل أيضاً وبنفس الدرجة من الأهمية شروط سلامة الانسان وصحته وبقاءه وما يرتبط بهذه الشروط من أبعاد اقتصادية وإجتماعة.

ولقد كان طلب الانسان على المياه في الماضي قليلاً بالنسبة لمصادرها المتوافرة وحين كانت قدراته التكنولوجية ضعيفة التأثير على البيئة، ولم تكن هناك ثمة مشكلة في تلبية الاحتياجات المائية لمختلف الاستعمالات.

وتعتمد هذه المصادر كلية على مياه الأمطار يعود حوالي 85 %منها الى التبخر والباقي يتوزع على شكل مياه الفيضانات وتغذية المياه الجوفية. مشكلة بذلك مصادر المياه المتجددة وهي المياه الجوفية التي تشكل نسبة لا تتعدى 4% من حجم مياه الأمطار.

وتشكل المياه السطحية نسبة تقارب 11% من مياه الأمطار و المياه السطحية هي تلك المياه التي تتكون من مياه الجريان للاودية وتصريف الينابيع ومياه الفيضانات. أما المياه الجوفية المتجددة فهي تلك المياه التي تصل الى الطبقات المائية نتيجة تغذيتها بقسم من مياه الأمطار عبر الفلوق و المسامات الموجودة فيها. الموارد المائية في ليبيا محدودة جداً وتعتمد بشكل رئيسي على مياه الأمطار والمياه الجوفية وبعض العيون ,حيث يوجد . تعتبر ليبيا من الدول التي لا يوجد فيها أنهار أو جداول دائمة الجريان ، ولكن لديها مصادر مياه سطحيه وجوفيه والتي تعتبر امدادت تقليديه وهي تشكل العامل الأساسي الذي تطورت على اساسه القطاعات الزراعيه والحفرية والصناعية خلال العقود الماضيه ، وتعتمد ليبيا الآن على إمدادات غير تقليديه مثل مياه البحر المحلاة ومياه الصرف الصحي المعالجه وعلي مياه النهر الصناعي . وتمثل السيول أحد مظاهر الجريان السطحى في المنطقة والتي تحدث على فترات غير محددة أو دورية ، ولهذا فإنها تعتبر خطرة لما تسببه من خسائر بشرية ومادية تنال مختلف الأنشطة البشرية وما يتصل بها من بنيات تحتية, الصورة(3), حيث يسقط المطر من عواصف رعدية منعزلة تتسبب في حدوث سيول محلية خاطفة في الأودية الجافة.

هذا وتتصف هذه العواصف بعشوائيتها وشدة تغيرها الكمي والزمني مما يجعل إمكانية التنبؤ بها أمراً يكاد يكون مستحيلاً. كما أن ندرة الغطاء النباتي وضحالة التربة وصغر القنوات النهرية كلها تساعد في تحول كميات قليلة من الأمطار إلى فيضانات محلية خلال دقائق (مقيلي, 2003, ص 37). وهي أحد أهم الأخطار الجيومورفولوجية التي تؤثر على عملية التنمية في الجبل الأخضر بصفة عامة ومنطقة الدراسة بصفة خاصة، بسبب ما ينتج عنها من تدمير كلي أو جزئي للطرق الرئيسية بمنطقة الدراسة والتي أهمها الطريق الساحلي شمالاً والطرق الداخلية جنوباً والجبلية التي تربط مابين القرى بمنطقة الدراسة شرقاً , الصورة (4).

(الصورة - 3): فيضان سيلي بمنطقة الدراسة بتاريخ 2015/8/7

(الصورة-4) : تدمير الطرق الزراعية بمنطقة الدراسة بواسطة الجريان السيلي

ويمكن تقسيم الموارد المائيه في منطقة الدراسة على النحو التالي:

1. المياه السطحيه

وهي مياه الأمطار ونسبة السيول غير المستفاد منها بشكل فعال تقدر بحوالي 70% من إجمالي السيول وذلك ناتج عن ارتفاع معدلات التبخر والنتح ، بالإضافة إلى استخدام نظم الري التقليديه وغيرها وعدم وجود مناطق مناسبه لحفظها.

أن فترة سقوط المطر من سبتمبر وحتى ابريل ،وكمية المطر التي تسقط على سطوح أحواض منطقة الدراسة تتركز في الفترة من 24 ديسمبر وحتى 10يناير،وهى فترة تتوافق كمية الأمطار وتركزها مع أقل فترات السنة حرارة ،وأكثر فصول السنة رطوبة نسبية مما يقلل الفواقد عن طريق التبخر،والتسرب مما يسمح بزيادة فرص توالد الجريان السيلى في أحواض منطقة الدراسة ،وأن المطر في منطقة الدراسة من النوع الإعصاري.

إن الجريان السطحي في أودية منطقة الدراسة لا يحدث إلا بعد سقوط ما يزيد عن 50مم من الأمطار ،أو توالي سقوط الأمطار لعدة أيام متتالية. ونظراً لسيادة الصخور الكربونية بالمنطقة ،فإنها تميزت بما يميز مناطق الكارست من نظام باطني لجريان المياه حيث تسمح الشقوق والفواصل بتغلغل المياه إلى أن تصل الطبقة الصماء المتمثلة في صخور المارل والصخور الكلسية الرملية المتماسكة ،وتمثل تكوينات الميوسين والأيوسين أهم خزانات المياه الجوفية في الجبل الأخضر ،وتتحرك المياه الجوفية شمالاً في اتجاه البحر وفقاً لميل الطبقات الحاملة للمياه من ناحية و اتجاه انحدار سطح الأرض من ناحية أخري ،حيث تظهر في بعض المنافذ مكونة بحيرات عذبة مثل عين زيانه الواقعة في سهل بنغازي ,(الصورة رقم 5). وقد تبين من دراسة عنصر المطر أن الجبل الأخضر من أغزر المناطق في ليبيا أمطاراً. وباستثناء الجريان السطحي الذي يحدث احياناً في بعض الأودية فإنه لايوجد مصدر مياه سطحي دائم الجريان بمنطقة الدراسة.

(الصورة- 5) : بحيرة عين زيانة العذبة بسهل بنغازي

بدراسة الميزانية الهيدرولوجية في 14 حوض تصريف على الهضبة الاولي على أساس أكبر كمية مطر سقطت في يوم واحد تبين أن جملة الأمطار الساقطة علي الأحواض بلغت 74675 مليون م^3 بمتوسط عام قدرة 5333.9 مليون م^3(الفيتوري, 2014م) وبلغت كمية الفواقد عن طريق التبخر 53411 مليون م^3, بمتوسط عام قدره 3815.1 مليون م^3،ونتيجة للفرق بين قمة المطر وقمة الفواقد بالإضافة إلى اختلاف غزارة وطول فترة سقوط الأمطار مع معدلات التسرب كل هذا يسمح بصافي جريان وصل الي 20996.3مليون م^3 من المياه وبمتوسط عام قدره 1499.7 مليون م^3،تبعاً لأكبر كمية مطر سقطت في يوم واحد بينما بيانات حوض وادي القطارة والذي يصب في سهل بنغازي فأن كمية المياه المتوقع أن يجمعه الحوض تصل الي 68774.5 مليون م^3 (الفيتوري,2015) ، مما يدل على أن أحواض تصريف منطقة الدراسة تتميز بوجود مصدر مائى يجرى في مجاري أحواض تصريفها على شكل جريان سيلي موسمي يمكن استخدامها في سد احتياجات السكان بالمنطقة ،والإسهام في دفع مجالات التنمية في مختلف المجالات.

2. المياه الجوفية

بالنسبة للمياه الجوفية بمنطقة الدراسة تعتبر مستنزفة بسبب انخفاض مناسيبها وتدهور نوعيتها المستمرين ، وطريقة استغلالها وعدم الاستفادة منها بالشكل المناسب حيث الضخ الجائر، والحفر العشوائي ،والاستخدام الغير مرشد ، الآمر الذي أدى الى تعرض الموارد المائية الجوفية بمنطقة الدراسة للاستنزاف منذ الحقبة الماضية تعدى الضخ الحدود الآمنة ،والكميات المهدرة من المخزون الجوفي المتجدد الذي يعانى أصلا من هدر 40% من مياهها عن طريق التسرب الباطني من المخرج الرئيسي المتصل بالبحر وهو عين زيانة ،كما تتعرض الموارد المائية الجوفية لضغوط تتباين من مكان لآخر حسب تباين الكثافة السكانية وحجم النشاط البشرى حيث نجد إن حجم الضغوط كبير بالمناطق الساحلية فى الجزء الجنوب الشرقى من سهل بنغازي حيث الكثافة السكانية وحجم النشاط البشرى.

كما أشار(بكار ، 2007 م) بان 98 % من المياه المستهلكة ذات مصادر جوفية وان المياه الجوفية هي المصدر الرئيسي للمياه بشكل عام وبمنطقة الدراسة بشكل خاص ، الآمر الذي أدى الى زيادة الاعتماد ومن ثم زيادة استنزافها بشكل طردي مع زيادة السكان وزيادة النشاط البشرى والتطور العمراني ،وكذلك حجم الكميات المسحوبة منها بالرغم من أن هذه الكميات المسحوبة كبيرة تمثل الغالبية العظمى من المياه الجوفية المستخلصة بمنطقة الدراسة الآمر الذي يعنى ضخا عشوائيا وسحباً مجهولاً ،مما يترتب عليه معدلات استنزاف مجهولة أيضا واحتمالات اجتياح غير معلوم لمياه البحر.

عليه وبناء على النتائج المتحصل عليها والتي تم جمعها من منطقة الدراسة وعلى ما أشارت إليه الدراسات السابقة ،فان المياه الجوفية بمنطقة الدراسة تتعرض لكثير من المخاطر التي يجب احتواؤها ومكافحتها للمحافظة على هذا المورد الثمين .

تتميز الطبقات الحاملة للمياه بخصائص جيده تساعد على خزن المياه الجوفيه مثل ارتفاع النفاذية والمسامية. وقد قدرت كمية المياه التي تغذي هذه الطبقات بنحو أكثر من 935 مليون متر مكعب سنوياً .

إن العلاقة بين التكوينات الجيولوجية وحركة المياه الجوفية بمنطقة الدراسة تعتمد أساساً على التركيب المعدني للصخور ونظامها ، وعلى مدى مساميتها *Porosity* ونفاذيتها *Permeability* ، حيث تعتمد كمية المياه الجوفية على

مسامية الطبقات التي تحتويها ،ويمكن أن تتكون هذه الطبقات من صخور غير متماسكة مثل الصخور الجيرية التي لها قابلية الذوبان في الماء فتكون شقوق وفواصل وتجعل الطبقة نفاذة وتسمح بمرور المياه ،مع ملاحظة أن أسطح الفواصل تكون مغلقة في الأعماق لعدم وصول عوامل التعرية إليها لتحمل مخلفات الإذابة مثل ما هو موجود على السطح ،وبناء على ذلك كانت هذه القابلية هي العامل المهم في تحديد درجة حركة المياه بالتكوينات الجيولوجية مع ثبات باقي العوامل، وإذا تم ربط ذلك بالتكوينات الجيولوجية بمنطقة الدراسة يتبين لنا أن الطبقة المائية الرئيسة في منطقة الدراسة يمثلها بشكل أساسي تكوينات الأيوسين المتمثلة في تكويني أبولونيا ودرنه والميوسين المتمثل في تكوين الرجمة. حيث تتميز صخور هذه التكوينات بكثرة الفواصل والشقوق في بعض طبقاتها ، وفي بعض الأحيان توجد بعض الطبقات المعلقة فوق هذه الطبقة المائية مثل الطبقة المائية التي يشكلها تكوين الأبرق لوجود عدد من الطبقات المصمتة فيه. ولكن تعتبر الطبقة المائية الرئيسة للمنطقة طبقات تكويني أبولونيا ودرنة حيث تشكل طبقات الحجر الجيري شديد الاندماج في الجزء السفلي من تكوين درنة والجزء الأعلى من تكوين أبولونيا طبقات شبه مصمتة تحجز المياه الجوفية بداخلها. وفوق هذه الطبقات توجد طبقات من رسوبيات الزمن الرابع بنسبة كبيرة في منطقة الدراسة وهي عبارة عن رواسب غير متجانسة من الحصى والغرين والصخور المختلفة الأحجام التي تتسم بنفاذيتها العالية التي تسمح بمرور المياه السطحية حتى وصولها إلى الخزان الجوفي.

ومن خلال الدراسات السابقة التي تناولت المياه الجوفية بمنطقة الدراسة وخصوصاً بسهل بنغازي كونها الاكثر كثافة سكانية و من حيث منهجية المقارنة التحليلية للتغيرات السنوية في الخصائص الطبيعية والكيميائية للدراسات السابقة والنتائج المتحصل عليها وتجانس المياه الجوفية واهم ملامح التغيرات في خصائصها من خلال نتائج دراسة استنزاف المياه الجوفية (بكار 2007) ونتائج الدراسات التي أجريت على المنطقة ونتائج الاختبارات التي تم إجراؤها على منطقة الدراسة خلال الفترة من العام 2005 الى 2010 .جدول (1) ،جدول (2) ،

من خلال نتائج القياسات التي تم الاستعانة بها للمقارنة ولتحديد أوجه الاختلافات والتغيرات الزمنية والمكانية التي أجريت على العينات المائية بسهل بنغازي اتضح إن أغلبية الخصائص الفيزيائية والكيميائية تؤكد على تدنى المياه الجوفية بالحوض المائي ،واستنتج من دراسة التغير السنوي والمنهجي جدول رقم (1) رصد متوسط التغير في خواص المياه الجوفية ,ويتضح لنا أن النسبة مابين الايونات السالبة والايونات الموجبة لا يوجد فيها تغيير يذكر على سبيل المثال العمليات الهيدروكيميائية والعوامل المؤثرة على الاتزان الكربوني الكيميائي وتحديد معرفة نتائج دراسة مؤشرات الترسيب لكربونات الكالسيوم وتحديد معايير الاختبارات التي تجرى لتحديد خصائص المياه الجوفية الاقتصادية من خلال مؤشرات التغير فى المستقبل .

وكما نلاحظ من خلال تغيرات الخصائص الكيميائية للمياه الجوفية لسهل بنغازى تؤكد لنا البيانات والنتائج المتحصل عليها أن نسبة التغير ومعدل نسبة التداخل لمياه البحر ونسبة ارتفاع معدل الملوحة نجدها مستقرة وثابتة بنسبة 11% من نسبة التغيرات في الخصائص الكيمائية.

كما أكدت نتائج دراسة (بكار، 2007) بان اهم ملامح التغيرات في خصائص المياه الجوفية بمنطقة سهل بنغازي منطقة الدراسة، أن المياه الجوفية المتجددة بالحوض المائي تعتبر دائمة الحركة حيث تشحن الخزانات الجوفية بفصل الشتاء بسبب هطول الأمطار ، منطقة الدراسة ذات اتصال هيدروليكي ومن ثم تتجه المياه من الخزانات الجوفية الى البحر عبر المخرج الرئيسي والمتمثل في عين زيانة لذلك نجد أن نوعية المياه لم تتغير من حيث نوعيتها وتجانسها خلال الأربعة عقود الماضية ،بالرغم من إن هناك تغير في بعض خصائص المياه بالمناطق دون غيرها نتيجة الملوثات العضوية النيتروجينية كما دونته الدراسات المذكورة، كما أكدت الدراسة أهم ملامح التغير في خصائص المياه الجوفية بين عامي (1978، 2005) تلخصت في الاتي:

جدول (1) يبين متوسط نتائج التغير السنوي لخواص المياه الجوفية الطبيعية والكيمائية لحقول الآبار المائية خلال فترة الدراسة
منطقة الدراسة سهل بنغازي (متوسط القيم، الانحراف المعياري)

Area Wells / Site	الإحصاء الاستدلالي	year	depth	Temp	EC	PH	Total dissolved Solid	Calcium	Magnesium	Alkalinity as CaCo3	Total Hardness as CaCo3	Chloride	Sulphate
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2005	109.84	25.00	2629.71	7.65	1469.38	91.40	71.40	230.93	514.24	643.27	168.56
AL KAWAFHIA	STDEV	2005	37.51	0.00	2196.72	0.52	1340.89	52.74	49.71	57.72	312.15	694.43	182.49
Boatnia1	AVERAGE	2005	126.67	25.00	1927.33	7.57	995.67	80.33	55.67	242.00	430.33	425.67	83.67
Boatnia	STDEV	2005	2.89	0.00	597.63	0.30	335.48	32.25	23.46	58.41	176.28	185.05	7.51
Boatnia4	AVERAGE	2005	172.75	25.00	3161.00	7.77	1819.50	116.00	73.75	328.00	592.50	841.75	140.25
Boatnia	STDEV	2005	112.85	0.00	3222.67	0.36	1984.70	37.34	52.53	27.48	308.99	1096.68	137.56
Saidi Khalifa	AVERAGE	2005	91.25	25.00	2829.80	7.68	1568.40	111.20	71.60	285.80	571.60	709.40	139.20
Saidi Khalifa	STDEV	2005	37.05	0.00	2439.96	0.50	1555.97	40.95	45.84	57.30	282.91	813.52	152.95
Saidi Farag 9	AVERAGE	2005	170.00	25.00	1934.00	7.23	1215.00	146.00	62.00	302.00	620.00	362.00	288.00
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2006	84.78	25.56	4084.41	7.58	2239.65	122.16	95.16	262.82	692.03	1085.18	257.35
AL KAWAFHIA	STDEV	2006	46.47	0.85	2083.38	0.43	1201.04	54.37	62.10	56.68	260.76	688.96	215.94
ALHAWARI 4	AVERAGE	2006		26.65	6704.00	7.71	4260.00			280.00	1314.00	1929.00	486.00

Boatnia 3	AVERAGE	2006	5.00	25.00	1885.00	7.60	922.00	64.00	71.00	290.00	460.00	390.00	53.00
Dariana 7	AVERAGE	2006	200.00	25.00	1329.00	8.36	682.00	96.00	39.00	269.00	400.00	223.00	61.00
ALHAWARI	AVERAGE	2007	69.00	25.00	1508.20	7.72	823.40	49.60	56.40	232.40	335.60	343.60	62.40
ALHAWARI	STDEV	2007	48.82	0.00	811.10	0.15	426.31	33.11	29.26	72.89	168.43	214.55	33.46
Beniene	AVERAGE	2007	131.76	20.00	3530.22	5.82	1904.86	113.62	95.25	235.78	650.69	931.31	173.29
Beniene	STDEV	2007	54.94	11.18	2284.81	3.20	1249.94	54.71	49.05	91.32	347.18	631.55	126.42
Boatnia	AVERAGE	2007	124.00	25.00	2313.20	7.53	1282.80	89.60	60.60	241.80	458.00	541.80	137.40
Boatnia	STDEV	2007	35.78	0.00	2022.02	0.23	1132.59	52.51	52.53	69.77	304.56	631.26	119.10
Dariana 1	AVERAGE	2007	8.00	25.00	1176.00	7.95	606.00	84.00	40.00	281.00	375.00	206.00	38.00
Saidi Khalifa	AVERAGE	2007	96.86	25.00	2805.50	7.90	1565.00	128.88	61.25	260.25	573.75	729.25	123.13
Saidi Khalifa	STDEV	2007	51.06	0.00	3746.73	0.37	2240.88	134.44	39.42	25.72	496.72	1239.71	158.41
Saidi Farag	AVERAGE	2007	150.00	25.00	3206.67	7.74	1803.67	130.00	79.00	225.00	650.33	801.00	230.33
Saidi Farag	STDEV	2007	0.00	0.00	1547.46	0.96	941.60	63.84	26.15	12.12	266.94	447.51	150.19
EN ZIANA 1	AVERAGE	2007	-	25.00	8890.00	7.17	5248.00	321.00	49.00	46.00	1000.00	2908.00	315.00
ALHAWARI	AVERAG	2008	144.44	25.00	1904.13	7.52	986.94	78.56	47.69	258.25	392.69	430.56	75.06

	E												
ALHAWARI	STDEV	2008	19.85	0.00	570.90	0.28	321.47	16.81	15.78	34.46	74.88	168.09	30.77

تابع جدول(1) يبين متوسط نتائج التغير السنوي لخواص المياه الجوفية الطبيعية والكيمائية لحقول الآبار المائية خلال فترة الدراسة
منطقة الدراسة سهل بنغازي (متوسط القيم، الانحراف المعياري)

Area Wells / Site	الإحصاء الاستدلالي	year	Depth	Temp	EC	PH	Total dissolved Solid	Calcium	Magnesium	Alkalinity as CaCo3	Total Hardness as CaCo3	Chloride	Sulphate
Beniene 6	AVERAGE	2008	-	25.00	4710.00	7.90	2849.00	220.00	73.00	266.00	850.00	1410.00	252.00
Boatnia	AVERAGE	2008	113.75	25.00	2654.00	7.62	1510.00	90.40	67.20	302.00	503.00	651.20	152.40
Boatnia	STDEV	2008	28.69	0.00	2300.72	0.76	1532.20	47.38	61.97	155.97	365.25	742.43	165.49
Saidi Khalifa 9	AVERAGE	2008	160.00	25.00	1750.00	7.79	702.00	74.00	39.00	235.00	345.00	273.00	50.00
Saidi Farag	AVERAGE	2008	133.75	25.00	1749.50	7.71	949.50	89.50	44.75	241.00	407.00	355.25	121.75
Saidi Farag	STDEV	2008	26.26	0.00	566.79	0.40	284.11	30.65	15.37	44.19	128.81	166.73	22.50
ALHAWARI	AVERAGE	2009	146.00	25.00	4406.47	8.00	1670.27	124.80	58.47	250.87	552.67	813.40	101.47
ALHAWARI	STDEV	2009	8.90	0.00	4907.20	1.22	502.80	70.36	30.12	77.20	160.29	325.44	36.59
Beniene 5	AVERAGE	2009	230.00	25.00	1536.00	7.82	804.00	75.00	46.00	272.00	375.00	301.00	73.00
Dariana 2	AVERAGE	2009	252.00	25.00	1774.00	7.22	957.00	102.00	56.00	339.00	485.00	340.00	106.00
Saidi Khalifa	AVERAGE	2009	65.00	25.00	3465.33	7.62	2063.33	155.00	91.67	263.00	763.33	890.33	296.00
Saidi Khalifa	STDEV	2009	57.66	0.00	3693.35	0.60	2355.35	110.94	95.71	30.00	659.67	1133.37	367.28

Saidi Farag 4	AVERAGE	2009		25.00	1788.00	6.92	950.00	76.00	49.00	256.00	390.00	330.00	120.00
Saidi Mansore	AVERAGE	2009	115.00	25.00	2058.50	7.73	1201.50	110.50	53.25	275.00	495.00	499.00	129.00
Saidi Mansore	STDEV	2009		0.00	505.08	0.41	317.77	17.54	13.72	4.24	75.94	176.38	27.80
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2010		25.00	2759.75	7.37	1876.25	74.50	49.25		391.00	717.75	355.50
AL KAWAFHIA	STDEV	2010		0.00	282.39	0.17	266.13	4.04	38.06		166.65	80.88	119.96
ALHAWARI	AVERAGE	2010		25.00	1338.00	7.30	756.50	74.50	27.50	274.50	300.00	243.00	99.50
ALHAWARI	STDEV	2010		0.00	69.30	0.07	77.07	19.09	4.95	43.13	28.28	12.73	12.02
Beniene 4	AVERAGE	2010	200.00	25.00	1354.00	7.05	765.00	100.00	33.00	286.00	385.00	262.00	84.00
Boatnia	AVERAGE	2010	126.25	25.00	1596.75	7.29	896.00	85.25	36.75	261.75	364.50	352.75	60.50
Boatnia	STDEV	2010	51.21	0.00	850.67	0.31	423.86	32.41	26.21	111.80	175.74	215.38	32.25
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2011		25.00	3623.75	7.37	2285.00	77.67	31.67	120.00	293.00	657.00	437.00
AL KAWAFHIA	STDEV	2011		0.00	237.88	0.03	169.02	9.29	2.52		65.29	415.92	57.30

المصدر: بركات، 2013م

جدول(2) يوضح رصد متوسط نتائج التغير السنوي فى تقدير معدلات التآكل المحتوى الكلوريدى ومعدلات نسبة التداخل لمياه البحر ونسبة الملوحة منطقة الدراسة سهل بنغازي (متوسط القيم، الانحراف المعياري)

Area Wells / Site	الإحصاء الاستدلالي	year	Depth	Corrosivity Index (CI)	Chloride Corrosivity Index (CCI)	Salinity ‰	Larson-Skold Index	Ratio Cl/HCo3	Ionic Strength (I)	Aggressive index (AI)
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2005	109.84	4.61	2.51	1161.13	3.14	12.34	0.03673	11.84
AL KAWAFHIA	STDEV	2005	37.51	5.09	0.64	1253.45	3.55	50.25	0.03352	0.82
Boatnia1	AVERAGE	2005	126.67	2.42	2.39	768.36	1.69	4.29	0.02489	11.82
Boatnia	STDEV	2005	2.89	0.34	0.40	334.02	0.32	5.59	0.00839	0.02
Boatnia4	AVERAGE	2005	172.75	3.35	2.26	1519.39	2.40	3.58	0.04549	12.33
Boatnia	STDEV	2005	112.85	4.02	0.62	1979.51	2.97	4.18	0.04962	0.38
Saidi Khalifa	AVERAGE	2005	91.25	3.17	2.47	1280.50	2.23	5.49	0.03921	12.16
Saidi Khalifa	STDEV	2005	37.05	2.89	0.46	1468.40	2.05	5.69	0.03890	0.37
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2006	84.78	5.81	2.61	1958.77	4.25	4.88	0.05599	11.80
AL KAWAFHIA	STDEV	2006	46.47	3.64	0.49	1243.58	2.43	3.26	0.03003	0.79
ALHAWARI	AVERAGE	2007	69.00	1.81	2.40	620.23	1.28	2.93	0.02059	11.57
ALHAWARI	STDEV	2007	48.82	0.86	0.29	387.27	0.64	1.31	0.01066	0.71
Beniene	AVERAGE	2007	131.76	4.54	2.46	1681.04	3.24	3.70	0.04762	9.51
Beniene	STDEV	2007	54.94	3.27	1.29	1139.96	2.29	2.44	0.03125	4.94
Boatnia	AVERAGE	2007	124.00	3.47	2.79	977.98	2.34	3.84	0.03207	11.69
Boatnia	STDEV	2007	35.78	2.97	0.60	1139.42	2.13	2.62	0.02831	0.32

Saidi Khalifa	AVERAGE	2007	96.86	3.64	2.02	1316.33	2.88	1.85	0.03913	12.32
Saidi Khalifa	STDEV	2007	51.06	5.59	0.36	2237.67	4.38	0.56	0.05602	0.55
Saidi Farag	AVERAGE	2007	150.00	5.71	2.44	1445.84	3.82	4.10	0.04509	12.17
Saidi Farag	STDEV	2007	0.00	3.63	1.09	807.75	2.38	3.07	0.02354	1.01
ALHAWARI	AVERAGE	2008	144.44	2.26	2.50	777.20	1.62	3.69	0.02467	11.81
ALHAWARI	STDEV	2008	19.85	0.87	0.33	303.40	0.66	2.80	0.00804	0.25

المصدر: بركات، 2013م

تابع جدول(2) يوضح رصد متوسط نتائج التغير السنوي فى تقدير معدلات التآكل المحتوى الكلوريدى ومعدلات نسبة التداخل لمياه البحر ونسبة الملوحة منطقة الدراسة سهل بنغازي (متوسط القيم، الانحراف المعياري)

Area Wells / Site	الإحصاء الاستدلالي	Year	depth	Corrosivity Index (CI)	Chloride Corrosivity Index (CCI)	Salinity ‰	Larson-Skold Index	Ratio Cl/HCo3	Ionic Strength (I)	Aggressive index (AI)
Boatnia	AVERAGE	2008	113.75	2.64	2.11	1175.45	1.81	1.72	0.03775	11.97
Boatnia	STDEV	2008	28.69	1.35	0.94	1340.09	0.98	1.18	0.03830	0.86
Saidi Farag	AVERAGE	2008	133.75	2.49	2.29	641.26	1.61	2.39	0.02374	12.02
Saidi Farag	STDEV	2008	26.26	0.72	0.22	300.95	0.55	0.68	0.00710	0.27
ALHAWARI	AVERAGE	2009	146.00	3.85	2.54	1468.22	3.15	3.23	0.04176	12.13
ALHAWARI	STDEV	2009	8.90	2.07	0.48	587.43	1.94	2.00	0.01257	0.37
Saidi Khalifa	AVERAGE	2009	65.00	5.23	2.53	1607.08	3.43	8.30	0.05158	12.16
Saidi Khalifa	STDEV	2009	57.66	6.23	0.94	2045.74	4.10	12.13	0.05888	0.34

Saidi Mansore	AVERAGE	2009	115.00	2.75	2.29	900.73	2.04	2.49	0.03004	12.21
Saidi Mansore	STDEV	2009		0.79	0.43	318.36	0.57	0.84	0.00794	0.36
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2010			2.73	1295.57	4.22		0.04691	
AL KAWAFHIA	STDEV	2010			0.06	145.99	1.15		0.00665	
ALHAWARI	AVERAGE	2010		1.62	2.08	438.65	1.03	3.10	0.01891	11.60
ALHAWARI	STDEV	2010		0.12	0.95	22.97	0.09	0.55	0.00193	0.11
Boatnia	AVERAGE	2010	126.25	1.82	2.71	636.74	1.27	3.69	0.02240	11.56
Boatnia	STDEV	2010	51.21	0.43	0.57	388.76	0.33	3.20	0.01060	0.56
AL KAWAFHIA	AVERAGE	2011		4.82	2.41	1185.92	6.90	1.14	0.05713	9.41
AL KAWAFHIA	STDEV	2011			0.14	750.74	4.86		0.00423	

المصدر: بركات، 2013م

تسجيل معدلات عالية في تركيز عناصر الكالسيوم والماغنسيوم و الكلوريد وخاصة في الأماكن القريبة من البحر، تداخل المياه المالحة مع مياه الخزانات الجوفية ، كذلك سجلات معدلات عالية لبعض الملوثات مثل الكبريتات والنتراث .

كما من الأسباب التي آدت الى التغيير في خصائص المياه الجوفية لمنطقة الدراسة يرجع الى معدلات الضخ المتباينة من مكان الى آخر، كذلك بسبب القرب والبعد عن البحر، وبسبب اختلاف درجات التشرشر الجيري السائدة بمنطقة الدراسة مايترتتب عليها من عمليات ذوبان وتبادل أيونى.

أهم الصعوبات التي تواجه تنمية الموارد المائية :

أولا : محدودية مصادر المياه حالياً ومستقبلا

تؤثر الظروف المناخية والموقع الجغرافي تأثيراً مباشراً على المصادر المائية، إذ يعتبر مناخ منطقة الدراسة شبه جاف بالإضافة الى ارتفاع كلفة تطوير بعض مصادر المياه مثل سد وادي زازة وسد وادي القطارة .

ثانيا : دراسات تقييم المصادر المائية.

أجريت دراسات عدة لتقييم مصادر المياه ولكنها لم تكن بالمستوى المطلوب من العمق والشمولية لتغطية كافة جوانب الموضوع.

ثالثا : استنزاف بعض المصادر المائية.

أدى التركيز على بعض الأحواض المائية بالمنطقة إلى استنزاف مخزونها المائي نظراً لعدم توفر مصادر مائية بديلة و مواتية في مناطق الاستخراج.

رابعا : أدى استنزاف المياه الجوفية بالإضافة الى طرق الري القديمة (الري بالقنوات المفتوحة) إلى تردي نوعية المياه الجوفية في منطقة سهل بنغازي حيث ارتفعت الملوحة من 300 إلى 3500 جزء بالمليون كما ارتفع تركيز النيترات ليتجاوز 70 جزء بالمليون. كذلك أدى طرح النفايات الصناعية والمنزلية بمختلف أنواعها دون معالجة في منطقة سهل بنغازي إلى تلوث المياه الجوفية في الطبقات العلوية بكافة أنواع التلوث .

خامساً : عدم استيفاء الكلفة الحقيقة للمياه من خلال التعرفة المعمول بها حاليا , و عدم رغبة المواطن او المزارع الالتزام بالمعايير المستجدة.

- النتائج والتوصيات

1. النتائج

- ان المصدر الرئيس الممول لمنطقة الدراسة هو المياه السطحية والمتمثلة بالامطار والمياه الجوفية ، ونستنتج بان الأودية هي أودية موسمية الجريان.
- المياه الجوفية بمنطقة الدراسة تتعرض لكثير من المخاطر التي يجب احتواؤها ومكافحتها للمحافظة على هذا المورد الثمين.
- الافراط في استنزاف المياه الجوفية ادى الى انخفاض سريع في منسوب المياه مما نجم عنه جفاف وتملح الكثير من الابار الجوفية وأدى تدني مستوى المياه الجوفية الى تزايد نسبة الملوحة فيها وذلك بسبب تسرب مياه البحر المالحة الى الابار خاصة في سهل بنغازي .والمشكلات الاخرى التي برزت في هذا المجال هجرة الايدي العاملة الزراعية باتجاه المراكز الحضرية مما ادى الى تدمير مساحات واسعة من الاراضي الزراعية وتحولها الي تجمعات سكنية.

2. التوصيات

- الاستفادة من المقومات الطبيعية التى تمتلكها المنطقة فى تنمية النشاط الاقتصادى بها من خلال تنمية النشاط الزراعى والتعدينى ، وتشجيع الاستثمار فى تلك الأنشطة .
- محاولة الاستفادة من تحلية مياه البحر فى أوجه النشاط البشرى المختلفة ،والبحث عن المياه الجوفية فى بطون أو قيعان الأودية وسهل بنغازي ، وهى المناطق التى تلائم ممارسة النشاط الزراعى .

المراجع:

أنس محمود بكار (2007): استنزاف المياه الجوفية بسهل بنغازي، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، بنغازي - ليبيا .

خلف حسين الدليمى (2009): التضاريس الأرضية دراسة جيومورفولوجية عملية تطبيقية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

علي محمد الفيتوري (2015م): الخصائص المورفومترية والهيدرولوجية لحوض وادي القطارة, المجلة الليبية العالمية، العدد الثالث ، سبتمبر لسنة 2015م، كلية التربية ، جامعة بنغازي.

ـــــــــــ (2014): توظيف نظم المعلومات الجغرافية والأستعشار من بعد في دراسة مورفومترية وهيدرولوجية لبعض وديان الهضبة الأولي بالجبل الاخضر – شمال شرق ليبيا، المجلة الدولية للبيئة والمياه، المجلد 3، ص.ص. 70-84.

فخري نوري بركات (2013): تلوث المياه الجوفية سهل بنغازي، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، بنغازي- ليبيا .

مركز البحوث الصناعية، خريطة ليبيا الجيولوجية مقياس 1:250.000، الكتيب التفسيرى، لوحة بنغازى من 34- – 14 طرابلس، 1974.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

عوامل قيام الحضارات بين الأحادية والتعددية

د. السعيدي أمبارك عبدالكريم.

(محاضر بقسم الفلسفة - كلية الاداب - جامعة بنغازي – ليبيا)

عوامل قيام الحضارات بين الأحادية والتعددية

ملخص البحث:

لكل أمر أسبابه ، وكذلك الحال في مسيرة الحضارات ، هناك عوامل لقيامها ونهيارها ، وكل الفلاسفة يقرون بذلك إلا أن بعضهم ذهب إلى القول باحدية العامل ، ويذهب البعض الآخر إلى وجود عوامل عدة تعمل في صورة تفاعلية موحدة ، يكون فيها للعوامل الروحية الدور الأبرز بوصفها القوى الدافعة للإنسان .

المقدمة :

البحث في العوامل أو الأسس التي تقوم عليها الحضارات يعني بطبيعة الحال ، معرفة ماضي الإنسان بما فيه من تجارب وظروف عايشها ، وأفعال مارسها ، من أجل الاستفادة منها وبمعنى أخر ، معرفة الماضي من أجل الحاضر والمستقبل، فالحضارة هي غاية أي اجتماع بشري مستقر ، انهيار حضارة أي مجتمع هو سقوط لوجودها المتميز ، ومسخ أو دوبان لشخصيتها.

فأي إجتماع بشري بلا حضارة لها صفة التطور،سيكون اجتماعاً تغلب عليه صفة البدائية ، وتسوده شريعة الغاب ، من هنا جاء قول(بن نبي) [1]" إنني أو من بالحضارة على أنها حماية للإنسان ، لأنها تضع حاجزا بينه وبين همجيته".

ولهذا فإنه من الضروري معرفة الأسباب ، أو العوامل التي بموجبها يتشكل بناء حضاري شامل . إلا أن البحث في الأسباب يستدعي عدم التوقف عند الصور الظاهرية للأسباب.

فكل حدث له سبب ظاهري ، وأخر خفي، أكثر دقة ووجاهة فإذا كانت الحرب العالمية الأولي سببها الظاهري حادثة الفيلة في سيراجيفو . والحرب العالمية الثانية تعود إلى غزو النازين بولنده ، فإن الأسباب الكامنة وراء الحربين تعود للمنافسة بين القوى العالمية ، والإطماع الاقتصادية. والسعي للهيمنة على المواقع ذات الأهمية الجغرافية في العالم. إذ أن حالة العداء كانت متوفرة وليست في حاجة إلى مبررات. فالتاريخ الحضاري كما يصفه ابن خالدون[2]" في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولي ... وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ، ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق " فالنفاد إلى بواطن الوقائع هو ما يجدد الدوافع الكافية وراء الأحداث فـ " طعن بروتس يوليوس قيصر أو دخل نابليون مصر عام 1798 فضلاً عن أن مثل هاتين الواقعتين لا تشكل تاريخاً وإنما مادة التاريخ ذلك أن التاريخ في التعرف على الدوافع الداخلية التي كانت تدور في عقل كل من بروتس وبابليون حين طعن الأول قيصر وحين اختار الثاني مصر كميدان للصراع مع انجلترا"[3] وأن كان هذا مثال قد يطاله الاعتراض ويقال بأنه يمثل حالة واحدة وهي الحرب ولاياخد في اعتباره حالة البناء ، كما قد يتبادر لأذهان البعض إلا أنه يعمل في طياته البناء والدمار فالأسباب أو العوامل السالفة الذكر تعمل في اتجاهين متعاكسين ، فالسعي من أجل السيطرة على الغير استناداً إلى النعرة القومية سواء من أجل أهداف ثقافية أو اقتصادية هي في حد ذاتها بناء للقوي ودمار للضعيف .

أن هذا ليبعث على التساؤل عن مدى سيطرة ركيزة القوة في تحريك دواليب التاريخ ؟

النظرة الأحادية للعوامل :

إذا كانت القاعدة الأساسية في القانون الروماني تري " إن القوة تنشئ الحق وتحميه. وإذا كانت الفلسفات القديمة مثل فلسفة الجمهورية لأفلاطون ترى أن لا مكان للعجزة في المجتمع ،وتدعو للتخلص منهم ، والفلسفات الحديثة مثل الدرونية ترى أن البقاء للأقوي. مع بعض النظر عن تقبل اوستهجان المجتمعات لها أي مفهوم القوة ، مازل مسيطر بشكل أو بأخر بالرغم من أن الكل يسعى للسلام .ولكن حسب رؤيته الخاصة له ، أو بمعنى بما لا يتعارض مع مصالحة .

وإذا كانت رؤية القوى على هذا النحو ، فأن المجتمعات العاجزة قد تبرر ضعفها بأن إلا قدر أو المصادفة قد اعترضت سبيلها ، وكانت سبب ضعفها وفشلها في مضاهات المجتمعات الأخرى في سرعة تطورها .ولعل هذا ما يفسر حيرة (فوكوياما) إذ قال[4] " كل هذه التطورات شديدة الاختلاف في التاريخ الرهيب للنصف الأول من القرن حين بزغت حكومات يمينية ويسارية عديدة توحي بالحاجة إلى إعادة النظر في مسألة ما إذا كان هناك خيط خفي يربط بين هذه التطورات ، أم أنها مصادفات أتسمت جميعها بأنها أمثله لحسن الحط "، ويمكن إرجاع الاستناد إلى الصدفة في التاريخ إلى أنها تشير إلى أن تلك الفترة هي فترة الاضطربات والضعف ، حيث يصعب ضبط الأمور في تلك المجتمعات و يعجز المفكرين عن استيعاب الأحداث التي تبدو لا منطقية وغير متجانسة ، فعندما نجد (شبنغلر) يري أن اللامتوقع هو الذي يحكم التاريخ .ونتسأل من الظروف التي عاش فيها .إن تلك الفترة التي عاش فيها هي فترة الحرب العالمية الأولي وما بعدها ، وهذه الفترة يسودها اللاثبات وعدم الاستقرار ، ولذلك ليس من الغريب أن يري إن " الإدارة البشرية لا تقوى على قلب مجرى الأشياء الحتمي" [5] أن هذا يعني أن هناك عوامل غير الصدفة لبعت ذلك الدور في تحديد الوضع الحضاري للمجتمعات، ولازالت تلعب نفس الدور **فما هي تلك القوة التي تصنع الحضارة** ؟.هل هي مجموعة من القوي أم قوة واحدة .

إذا نظرنا في أراء الفلاسفة والمفكرين نجدها تختلف من حيث تحديدها. فمنهم من ينظر إلى الأمر على أنه يرجع إلى عوامل عدة ومنهم من ينظر إليه على أنه يرجع إلى عامل واحد. ومجمل هذه العوامل يتلخص في الأتي : إما في الظروف المحيطة من بيئة أو أحوال اقتصادية، ومنهم ما يرجع الأمر إلى طبيعة الجنس ، ومنهم من يرجعه إلى أمور تخص جوهر الإنسان من الإرادة والإصرار على التحدي أو إلى قوة المجتمع وروحه القومية ، أو دور الإبطال أو إلى القيم الاجتماعية التي توفر وضع مناسب لبناء حضارة متينة ، بالإضافة إلى ذلك هناك من يري أن الأمر يرجع إلى عاملين أواكثر.

وسنتناول هذه الآراء لنرى مدى ما تحمله من الصحة وستبدأ بأول هذه الركائز التي تمثل جزء من العوامل الخارجة عن الإرادة الإنسانية.

أولا: عامل الجنس:

يري البعض إن الله أو الطبيعة قد وهبت لجنس معين قدرة ذهنية، وجسمانية، فاقت غيره من الأجناس ، وهذه القدرة أهلته لبناء حضارة وصناعة تاريخ متميز عن غيره من المجتمعات التي هي أقل منه نوعاً .وبالتالي ليس في مقدورها أن تظاهيه في صناعة الحضارة، وهذا يعني إن القوة تكمن في الجنس ، وهي حالة تتسم بالخلفة بالإضافة إلى أنها تستند إلى أحادية في القوة .

ويستند هذا العامل إلى صفات موروثة متمثلة في صفات نفسية ،وأحوال روحية ,وهذه الأحوال تنعكس إلى صفات بدنية يمكن ملاحظتها ،ومن هذه الصفات لون العين والشعر والبشرة .وأكثر من ينادي بهذه النظرية المجتمعات الغربية ، وقد يرجع ذلك إلى الفترة التي حقق فيها الغرب نجاحات عدة في الوقت الذي كان العالم فيه في حالة من الجمود - هذا عن العصر الحديث أما عن القديم فإن قلة الاتصالات وعدم اكتشاف جزء كبير من العالم تجعل من هذه النظرة محدودة وضيقة . لكن إذا تسألنا عن التسلسل الحضاري لهذه النظرة فإننا نجد أن هذه "النظرية ..... تضع على منصة الشرف السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء والرأس الطويل ، التي يدعوها البعض بالإنسان النوردي [6] ، ويدعوها نيتشه بالوحش الاشقري" [7].

لكن النظر في هذا الرأي يوضح مدى هشاشته ، فمن الناحية الأولي إذا نظرنا إليه في الفترة التاريخية القديمة جداً ، فإننا نجد ما ينقض هذه الدراسة هو أن أغلب أجزاء العالم لم تكتشف الأحديثا. ومن ناحية أخري فإن الحضارة البابلية والآشورية والفرعونية كانت غاية في الإبداع والنظام ،فحدائق بابل المعلقة والاهرامات الفرعونية ، مازالت حتى الآن تعتبر من عجائب الدنيا السبع التي لم تبنى حضارة ما مثلها مع العلم أن أكثر الحضارات استمرار وامتداد في التاريخ ، هي الحضارة الفرعونية ، فهل هذا يدعونا إلى أن نبحث في طبيعة الجنس العربي أو الفرعوني المحصور في منطقة وادي النيل لتحدد طبيعته البدنية ونحددها على أنها تلك الصفات الجوهرية الموروثة لبناء حضارة؟ أما عن فترة العصور الوسطي فإننا نجد أن أوربا كانت تعيش في حالة من الضياع وسادت فيها الهرطقة والخرافة ، فإذا كانت الشخصية الحضارية كامنة في صفات موروثة فإنها لابد أن تكون باقية بقاء الوارث.

أن هذا يدعو إلى أحد الأمرين أما إيجاد مبرر قوى يبرر سبب إختفاء عنصر الوراثة في تلك الحقبة التاريخية ، وإما أن يعتبر ذلك العنصر غير جدير بأن يكون الفاعل في الحضارات؟ .ولعل الرأي الأخير أكثر فاعلية ومصداقية ، بدليل إن أعظم الحضارات لم يقم بها الجنس الأصفر، بل ظهر في اثينا قديماً ، ثم روما التي كانت معماريا من أكثر المجتمعات ازدهاراً. وكذلك الأمر في النحث وبقية العلوم في العصور الوسطي ، حين كانت أوربا في العصر المظلم وسيطرة الكنيسة ، وكان العلماء فيها (ومنهم كوبرنكس) قد قدموا للعالم اكتشافات غيرت نظرة العالم للكون.

أن ما ورد يجلعنا نتسأل أما أن يكون المنادون بهذه النظرية قد وقعوا في وهم القبيلة أو التفخيم [8]، وأما أن يكون لديهم مقياس آخر للحضارة غير ازدهار المجتمعات علمياً وثقافياً وتماسكها اجتماعياً وعقائدياً واقتصادياً . بمعنى آخر اعتبار التاريخ تاريخ الغزو والحرب ؟ وفي هذه الحالة فإن النظرة قاصرة وفي أسوء الأحوال خاطئة . فمن الناحية الأولى قاصرة ، إذا اعتبرنا أن حالة الحرب والقوة العسكرية تمثل استعداد الدولة أو المجتمعات للدفاع عن أمنها ، أو لرفع شعار الحرب من أحل السلام ، أي للضرورة التي لامناص منها.

أما من الناحية الثانية خاطئة لأن الحضارة هي بناء ، والبناء يعنى الاستقرار . فالإنسان من نشأنه يسعى إلى أفضل سبل الحياة ، وليست الحرب والوحشية بأفضل سبل الحياة، أن عظمة روما مما كانت في أمنها ،حيث توفرة سبل الإبداع والبناء ولكن الخراب والانهيار كان بسبب الحرب وذلك في موقعة كاتأي، [9] في حرب ضد قوات القائد هانيبال.

إن عامل الجنس لعب دور كبير في الحملات الاستعمارية ، وقد أخذ مبرر لقيام حضارات على أنقاض مجتمعات ومحاولة لتبرير يقضة بعض المجتمعات من جديد ، فقد اتخذ مبرر لقيام حضارة روما من جديد بعد انهيارها في11ق م ، حيث راء البعض ، بأنه يرجع إلى سكب دم جديد من الجنسي الوحشي في حين أن الحقيقة إن "الرد الطبيعي ، انتفاء ذلك : إذ يبد أن المؤرخين، يجمعون على أن احتياج فرنسا الثورية النابليونية لإيطاليا أذبان القرن التاسع عشر"[10].

ثانيا عامل البيئة:

إن الأمر الذي لا يمكن تجاهله إن الإنسان يبني حضارته على الأرض بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجغرافيا فمن يريد أن يضع حدث معين مهما كانت ضئالته فإنه محتاج بطبيعة الحال إلى مكان وزمان ليضع ذلك الحدث. لأن الأمر متعلق بعملية واقعية معاشة. فالفعل الحضاري بدون

الجغرافيا مثله المضمون بدون شكل ، والجغرافيا بدون الفعل الحضاري تمثل الشكل الساكن الفارغ من المحتوي.

فالنقاش حول حدث ما يفرض علينا أن نتسأل أين ؟ كيف ؟ فالبعض ينظر لـ" صور الحياة الإنسانية على أنها انعكاس للأوضاع الجغرافية والمناجية لا تختلف في ذلك عن حياة النباتات وهذا يضمن أن التغيرات التاريخية أن هي إلاشكال مختلفة لشئ واحد لا يتغير هو الطبيعة الإنسانية في استجابتها لمختلف المؤثرات "[11] وهذه النظرية تمثلك رصيد وتاريخ عريق وقد تكون لاقت استحسان أكثر من سابقتها. ربما لأن الأولى واجهة استهجان من الناحية الأخلاقية ، لما تحمله من تعالى للبعض وإنقاص من الأجناس الأخرى .ومن الناحية العلمية لوجود عدت ثغرات يصعب سدها.

لكن النظرية الثانية تجعل مركز القوة والضعف ليس في الإنسان ، بل في قوى أخرى إلا وهي الطبيعة ، فهي بذلك من الناحية الأخلاقية والنفسية ، ترمي بالعيب بعيد عن كاهل الإنسان لتحمله للطبيعة أو البيئة .أو بمعنى أخر على قوى غيبية وضعته في هذه الظروف. ومن هنا نلمس في هذه النظرة طابعاً قدرياً ، فما دام المناخ قد فرض أمبروطوريته، فالجغرافيا بما تحمله من مناخ تحدد طبيعة البشر في " جدوبة الاراضين تجعل الناس ماهرين زاهدين جلاداً على العمل فجدا صالحين للحرب ، فيجب أن يحصلوا على ما تضن الأرض به عليهم ، وبتنعم خصب البلد مع يسر، بنعومة وببعض الحب لحفظ الحياة "[12] حسب قول مونتسيكو[13].

إذا كان الأمر كذلك فإن تأثير غيرها من العوامل للإيكاد يبين ، بما فيها فاعلية الإنسان. وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة ، فإن الباحث التاريخي لن توجهه أي مشكلة في تقصي الأوضاع الحضارية لأي مجتمع من المجتمعات البشرية ،بل يمكنه معرفته بمجرد معرفة أحول الجو والطبيعة .وهذا أمر يحمل في طياته محادير ، أن لم يكن مغالطات عدة.

فهيبوقراط في رسالته " تأثير الجو والماء والمواقع" قد قسم الإشكال البشرية حسب بيئتهم حيث يقول " يمكن تقسيم الإشكال البشرية إلى النوع الجبلي الغزير المياه ، والنوع ذي التربة الضعيفة عديمة المياه ، ونوع المراعي ذات المستنقعات ، ونوع السهول المستصلحة جيدة الصرف " [14] ويصف أشكال الأبدان حسب طبيعة البيئة من الحشنة إلى اللينة السهلة الانقياد ، ويري أن الطبيعة الإنسانية تتغير حسب طبيعة البيئة .

وتذهب بعض الآراء إلى أن وأدى النيل وأثره على طبيعة المصريين ، والحياة في السهل الأوراسي وأثره على الاسقوديين [15] ، ونجدها أيضا عند(ابن خلدون) وأن كان لا يجعل منها العامل الوحيد حيث بعد أن قسم المناطق إلى حارة وباردة ومعتدلة ، وتحديدها في سبعة مناطق ، رأى أن المنطقة التي تقع في الوسط أكثر المناطق اعتدالاً وكلما زاد الابتعاد عن الوسط قل الاعتدال. ولهذا الاعتدال دور كبير في الحياة ، حيث يرى إنه السبب في جعل " العلوم والصنائع و الملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال والحيوانات وجميع ما تتكون في هذه الأقاليم الثلاثة وسكانها من البشر اعدل أجساما وألوانا وأخلاقا ، واديانا حتى النبوات فإنما توجد في الأكثر فيها "[16].

مما لاشك فيه إن البيئة تلعب دور هاماً،باعتبارها أحد الإمكانات والعوامل الأساسية في الحياة.فمثلا "حرارة الأمطار الاستوائية وما يجتاح تلك الأمطار من طفيليات ، لا تقع تحت الحصر ، لا تهيئ للمدينة أسبابها. فما يسود تلك الأقطار من خمول وأمراض وما تعرف به من نضوج مبكر وانحلال مبكر من شأنه أن يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام

المدينة" [17]. فهذا المثال ينال من الصحة نصيب وافر ، ولكن هذا لا يعنى بأن البيئة هي العامل الوحيد ، بل أن هناك عوامل آخر ساهمت في ذلك أذان شعوب كثيرة واجهت ظروف صعبة ، ولكن كانت لها القدرة على التغلب عليها ، بعد أن تمكنت من معرفة أسرار الطبيعة ، وحاولت تسخيرها للوجهة التي تريد ، وإذا قارنا بين المناطق ذات البيئة الواحدة فإننا نجد حضارات ذات طابع مختلف رغم وجود بيئة واحدة . فحضارة وادي النيل كانت لها طبيعتها الخاصة دامت الألف السنين . في حين إن حضارة وادي الأردن المجاور لها رغم تشابه الطبيعة فيها إلا أنها لم تكون موطن أصلي لأية حضارة .بل أنها حتى الثقافات الموجودة بها كانت مستوردة استجلبها السومرين معهم . وكذلك الأمر في مناطق أخري.ففي غابات"أمريكيا الشمالية قبل منطقة اللانوس في منزويلا والمبمياس في الأرجنتين ، ومراعي استراليا لم تنجب نوعاً خاصا بها من المجتمعات البدوية" [18] رغم وجود بيئة رعوية.

إن البيئة لها تأثيرها على الإنسان في تكوين نمط حياته ولكنها لاتصنعة. وقد يكون مرجع ذلك إلى أن للإنسان القدرة ، وكذلك للموقع الجغرافي دور في تحديد طبيعة الحياة الاجتماعية من حيث وجود مواقع طبيعية توفر لها الحماية الكافية من الاعتداءات الخارجية، وتوافر الإمكانات المعيشية . ولكن الأمر الذي نود تقريره " أن المناخ الجاف لا يصنع المستبد هكذا بكل الأحوال .ولا الملك نتيجة المناخ المعتدل لا يؤثر المناخ اللأعلى " مزاج" الناس عبر تحول فيزيولوجي يؤدى إلى تقلص أو تمدد الحدود القصوى . وبهذا يؤثر على الحساسية العامة للفرد ويسبغ عليه حاجات وميول خاصة " [19].

إن أقصى ما يقال عن البيئة والأساس الجغرافي أنه يوفر ظروف معينة للإنسان ، قد تكون هذه الظروف قاسية ،وقد تكون حسنة يتعامل معها حسب قدراته وبذلك يتحدى مصيره. فنفس الموقع قد يعطي صورتين متناقضتين، مما يشير إلى وجود قوى وعوامل آخر. ومثال على ذلك " أن جو" ابونيا "قد أسهم في إضفاء الصفاء والرقة على أشعار هو ميروس ولكن هذا الجو وحده لا يخلق شعراء من طراز هو ميروس . كما أنه لا يظل يأتي بمثلهم ، ففي العهد التركي لم يظهر شعراء "[20].

إن هذا العامل ، قدر ما يؤكد أن له دور في صناعة الحضارة فإنه لا يمكن أن يكون القوة الوحيد في صناعة الحضارة فمن الوضح أن هناك شئ ما أو قوى أخرى لها دور في بناء الإنسانية وانهيارها .

إن الأحادية في القوة في العنصرين السابقين كانت أهم أسباب القصور فيهما على الرغم من وجود قوة كفيلة بأن تلعب دور في رسم التاريخ الحضاري ، ولذلك لا يمكن أن يكون هو تلك القوة الوحيدة التي ينطبق عليها القول الروماني بأن " القوة تنشئ الحق وتحمية " وكذلك ستناقش عامل آخر في هذه الفقرة لنري مدى تأثيرة في صناعة الأحداث.

ثالثاً: القوة الاقتصادية ..

الفرد أو المجتمع لا بدله من رصيد اقتصادي يسنده في الحياة . فالمال عصب الحياة حقيقة لا يمكن ألتغاض عنها ، فالإنسان مند بدأ الخليقة بدأ بالبحث عما يسد رامقة ،إلى أن وصل إلى مرحلة يخرن فيها الزائد عن حاجته .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هو إلى أي حد تؤثر القوة الاقتصادية في البناء الحضاري باعتبارها وسيلة من وسائل الحياة ؟

إن أكثر النظريات تركيز على القوة الاقتصادية هي النظرية الماركسية" فالبناء الاقتصادي للمجتمع – يقول ماركس – هو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية والتي تطابقها أشكال محدودة من الشعور الاجتماعي فأسلوب الإنتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة ليس وحدن الناس هو الذي يعين وجودهم ، بل أن وجودهم هو الذي يعين وجدانهم" [21] إن الاقتصاد دون شك يعزز من وضع المجتمع ويجعل له دور في تحريك العالم المحيط به ، ولكن السؤال يضع نفسه أمامنا ويستدعنا للوقوف عنده هو لماذا توجد مجتمعات تملك من الثروات ما يكفل تحقيق موقع ريادياً في العالم لكنها أكثر المجتمعات تخلفاً ولم تنشأ في أراضيها حتى الآن حضارة تذكر؟ مثال على ذلك أوسط أفريقيا. رغم كثرة الخيرات بها تحت أقدام مجتمعاتها مازلت تعاني التخلف وتحتاج إلى قرون للتخلص منه في حين إن مناطق أخرى لا تملك من مقومات الحياة الاقتصادية إلا القدر اليسير لكنها صنعت لنفسها مكانة ريادية في العالم ، فاليابان مثلاً تستورد موادها الخام من الخارج لكنها تغزو العالم بعلمها الذي هو سرُ تقدمها ، وجعلها سيدة على الدول التي تمدها بالمواد الأولية.

قد يجادل البعض مدلل على عكس ذلك بالقول إن الاتحاد السوفيتي لم يسقط ويتفكك الابسبب انهياره الاقتصادي ، ولكن السؤال الذي نستشفه من حديثة ، لما سقط أو بالأصح تفكك رغم وجود الثروات الاقتصادية من ذهب ويورانيم وتجارة سلاح ، وغيرها من الإمكانيات ؟ إن هذا يشير إلى وجود خلل داخل المجتمع ذاته ، أو بمعني آخر يشير إلى وجود قوى أخرى أو علاقة أخرى تحكم سير المجتمعات جعلت من اليابان في وضعها الحالي ، وكانت سبب في انهيار الاتحاد السوفيتي .

من جهة آخر إذا نظرنا إلى الفترة التي نشأت فيها هذه النظرية في أوربا لوجدنا أن الوضع الاجتماعي الطبقي ، يجعل من أغلبية المجتمع الطبقة العاملة طبقة مضطهدة ، تعاني البؤس والحرمان ، ووجد ماركس إن من بمارس السيادة ويملك القوة هم البرجوازيون المسيطرون على عصب الاقتصاد ، ومع نظرة بسيطة للتاريخ وجد تطور متزامن بين الحالة الاقتصادية وتقدم طبيعة الحياة الاجتماعية ، فالطاحونة الهوائية رفيقة الإقطاعي ، والمصنع رفيق البرجوازي، والريف موطن الإقطاعي والمدينة الصناعية موطن البرجوازي، لكن من طبيعة الحياة الاجتماعية أنها تتغير ومعها القيم الاجتماعية بتحسن الوضع الاقتصادي منها والفكري.

وبالإضافة ذلك أن هناك ظروف أهم جعلت من العامل يتقبل الظلم والحرمان دون أن ينتفض في وجهه ، فإذا تسألنا لماذا قال ماركس " الدين افيون الشعوب " و" لا إله والحياة مادة "علينا أن نتسأل ماذا كان يعني الدين في تلك الفترة ؟ المسيحية في تلك الفترة تدعو للتسامح إلى حد القول أن من صفعك على خدك الأيمن ادر له خدك اليسر ،هذا ما جعل العامل يتقبل الظالم بصدر رحب من ذلك البرجوازي أيمانا منه بأن هناك إله عادل سوف ينصفه في الحياة الآخرة وليس فقره سبب ذلك الضعف .بالإضافة إلى ذلك إذا صرفنا النظر عن ظروف نشأتها،وناقشنا فكرتها فإننا نجد أن القول بإن التغير الاجتماعي ينجم عن الصراع الطبقي القائم على القوى الاقتصادية تعوزه الصحة " بسبب تصوره المحدود للقوى المؤثرة ، وبسبب ما تنطوي عليه نظرية العمل للقيمة من مغالطة في الحقائق عندها تذهب إلى إن العمل هو المصدر الأوحد للقيمة "[22] لأن القيمة في حد ذاتها مفهوم اجتماعي ، وجداني وليس شئ حس مثل الاقتصاد ، وهذا يعنى أن هناك عوامل أخرى تدفع القوى الاقتصادية ، مثلما تدفع غيرها

في اتجاه ما أو بالأصح تدفع الإنسان إلى عمل ما اقتصادي ،أو فكرى أو سياسي ، فالقيمة هي التي حددت حاجة الإنسان ، ودفعته للعمل نحو تحقيق تلك الغاية .

إن العيب يكمن في نفي جوانب لها تأثيرها في الواقع الاجتماعي. فابن خلدون مثلا رغم أعطائه للحياة الاقتصادية دور في التطور التاريخي للمجتمعات ، إلا أنه لم يجعل منه الوحيد ، وكذلك الأمر عند غيره من المفكرين ، فالاقتصاد جزء من القوى التي لاغني عنها . وبالرغم من أن ابن خلدون قد أخذ عليه البعض أنه من أنصار المادية بسبب بأكيدة على الدور الاقتصادي عند انتقال المجتمع من البدور إلى الزراعة ، أو المدينة ، إلا إن فكرية لا تحمل مدلولاً اقتصاديا فحسب بقدر ما تحمل مدلولاً اجتماعياً آخر وهو الاستقرار من عدمه باعتباره أساس الحضارة . فالرحيل باعتباره طابع اجتماعياً يمنع الإنسان من أن يضع خطة زراعية بسبب عدم الاستقرار الذي يمثل سبيل من السبل التي واجه بها الإنسان الطبيعة ، والحياة بصفة عامة ، ثم أن انعدام الاستقرار يجعل من المعالم الحضارية المادية – والتي تحتاج إلى الاستقرار – مستحيلة التحقيق إذا استتبنا بعض الفنون ،والأفكار التي يتوارثها الأجيال ، لمعالجت ظروفهم الاجتماعية والبيئة .ومن أجل التكيف معها جعلتهم "يتخذون البيوت من الشعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة – والذين – قد يأوون إلى الغيران والكهوف" فاجتماعهم هذا انماهو " بالمقدار الذي يحفظ الحياة "[23].

فالعصبية لم تقيم لغرض الحاجة الاقتصادية فقط ، بل قامت من أجل الحماية أيضا ، وكذلك لحاجة الإنسان للإنسية وبسبب الغريزة الاجتماعية " أن قيام أحدى العصبيات بالثورة والمطالبة غالباً ما يقترن بنقص في موراد عيشها، أما بسبب عوامل طبيعية كالجفاف أو أن تدخل السلطة المركزية (جمع الضرائب) ..... كما قد يصاحب ذلك كله قيام دعوة دينية أصلاحية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر" [24].

إن هذا يشير إلى الإحساس بالظلم فيدفع إلى الثورة لرد الحق الاقتصادي بتفشي الفساد الأخلاقي ، وهذا يعني إن هناك عامل جديد نتلمسها في البيئة وفي الاقتصاد تولد حركة مستمرة لذى الإنسان وهي الحاجة إلى الاستقرار وهذا يولد صورة جديدة تشمل جميع العوامل السابقة في إطار جماعي اجتماعي ، وهذه القوة هي القوة التي لدى الإرادة الإنسانية . في حركتها بين الفعل ورد الفعل من أجل تحسين الحياة والوصول إلى وضع حضاري يحقق الأمان والاستقرار.

الإرادة الإنسانية (التحدي والاستجابة):

إن الإنسان بقيامه بالفعل يصنع الحضارة سواء أكان ذلك تعبيراً عن ضعفه ، أو عن قوته . من ناحية ، أو عن همجيتة وتحضره من ناحية أخرى .فكل ما يوجد من أمكانات عقلية أو جسدية أو موارد اقتصادية ، أو ظروف بيئية ، تمثل أداة لذى الإنسان إذا أحسن السيطرة عليها. ومن هنا تبرز قدرة الإنسان على التحدى ولعلنا نجد في نفس البيئة تقوم حضارة قوية ، وأخري ضعيفة ، وفي نفس الوقع الاقتصادي نجد حضارتين مختلفتين ، مما يشير إلى إن الحضارة أو الحياة البشرية هي صراع بين قوي عدة بين الطبيعة والإنسان وبين الإنسان ونفسه. فالصراع هو المسلك الذي يحدد مدى قدرة الحضارة على الصمود وتكوين ذاتها " أن المغامرة من أهم العناصر الجوهرية في تكوين الحضارة بل هي على العموم السعي وراء أنواع جديدة من الكمال وتتمثل فيها تلقائية السعي وحدته ويرفع من وعيها على التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون "[25] وبما أن الحضارة تعتمد على الصراع (الفعل و درد الفعل) فهي تعني الإحساس بالخطر وبالتحديد كما يعرفه(شينجلر) حالة من الجزع والخوف على المصير الذي يدفع بالإنسان إلى العمل من أجل حماية نفسه وتحصينها . فالإحساس بالخطر

غالباً ما يثير الحيرة والقلق لدى المجتمعات والأفراد مما يدفعها على استخدام مهاراتها لمواجهتها "ففي سبيل ممارسة الحرية النسبية في سن الرشد لابد من التضحية بأمن الطفولة " [26].

أن الإنسان يرغب في الوئام والسلام ، لكن الضرورة تدفعه في تجاه الصراع الذي تنضج فيه هوية المجتمع الحضارية وتتحدد معالمها ، حيث نجد المجتمعات والأفراد نفسها تقف أمام ظروفها ، وإمكانيتها من جهة ، والبيئة من جهة أخري. لترى وتُرى العالم مدى قدرتها على التحدي في جبهات عدة ،اقتصادية وسياسية وعلمية ، في إطار مجتمع متماسك له القدرة على الأخذ والعطئ.

إن التاريخ أو الزمن بتعبير الدق هو الرحم الذي تكونت فيه الحضارة فهي لم تبرز للعيان فجئة دون مخاضي كأنها طفرة بل تمت بحد الجهد بتأثيرات عدة فـ" صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة :

أ) تأثير عالم الأشخاص.

ب) تأثير عالم الأفكار.

ج) تأثير عالم الأشياء.

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص."[27] أن هذا يعني إن الحضارة نتاج اجتماعي يستلزم توازن بين القوى الفكرية والعقائدية والمادية ولا يمكن أن تكون شئ غريب من المجتمع. فهي ليست شئ يمكن استحضار من مجتمع أخر، لأنه يؤدى إلى مسخ وتذويب للمجتمع ، وهذا ما يحدث مع تلك المجتمعات التي لا تقوى على تحدى الظروف ، والتي قد تفقد صفتها الاجتماعية ، وتدوب في مجتمعات أخرى .

أن القوة التي ينطبق عليها بأنها تنشئ الحق وتحميه هي قوة التحدي التي هي بناء من قوى عدة فهي الجمع " بين العلم والضمير وبين الخلق والفن ، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة حتى يتسنى له أن يشيد عالمة طبقاً لقانون أسبابه ، ووسائله وطبقاً لمقتضيات غاياته ، أن الذي يريد أن يعيد للعالم شبابه لابد أن يكون إنسانا جديد قادر على حمل مسؤوليات وجوده مادي وروحياً كمثل وشاهد [28].

إن هذا ما جعلنا نبتعد عن الأحادية ،ونبدأ البحث على أساس آخر غير أحادية البيئة أو الجنسي أو الاقتصاد ،ذلك الأخر هو أساس الإرادة الإنسانية في استجابتها للتحدي ، وهذا الأساس يمثل مجموع وليس أحادية تهدف إلى تبرير ، تشوبه نزعة عنصرية أو اتكالية أو نتيجة رد فعل بسبب رفض واقع معين ، ولذلك اتخذت الإرادة الإنسانية في صورتها السابقة ، بالإضافة إلى أنها مستندة إلى المجتمعات .

فالتاريخ هو تاريخ مجتمع في صراعة مع نفسه ومع الطبيعة ومع غيره من المجتمعات ، والعلاقة فيها ، هي في أساسها علاقة قيم وأهداف تلك القيم التي تحدد الوجهة المراد سلوكها ومدى تماسكها يحدد مدى قدرة الإنسان على التحدي، بالإضافة إلى أنها علاقات بين مراحل الحياة النفسية كالعلاقة ، مثلاً بين الشعور والتعبير ، بين الإشارة والاتصال ، بين

والفعل ، بين الفعل والفرض العام . وكل تعبير عن الحياة يستمد معناه من الطريقة التي ساهم بها في قضية وأكثروضوحاً [29] وكل هذا يستدعي أن نستنبط تلك العوامل من المجتمعات باعتبارها الدائرة التي تقع فيها الأحداث التاريخية .

فإذا نظرنا إلى أي مجتمع لنعرف الحيثيات التي يقوم عليها لوجدنا في أساسها هو المجتمع نفسه ، أو بالأصح تكوينه هويته القومية التي تندرج تحتها العشيرة والقبيلة والأسرة والفرد ،وكذلك بيئته وموقعه الجغرافي بالإضافة إلى قوية الاقتصادية والسياسية وقوته العقائدية والدينية التي تكونت واقعيا بعد وجوده الاجتماعي.

وسنتناول هذه العناصر بالتحليل ثم نورد مثال من الحضارات التي شغلت مساحة من الزمن لترى من خلالها مدى قوة الدور الذي لعبه كل من هذه العوامل في نشأتها وتدهورها.

أولا : البيئة الاجتماعية :

إذا نظرنا إلى المجتمع الإنساني منذو هبوط أدم عليه السلام فأننا نجد أن سبب الهبوط هو الصراع الذي أدى إلى مخالفة الرب ، حيث الصراع بين الخير والشر الذي يتضح جلياً بعد ذلك في الصراع بين قابيل وهابيل بين حضارة الرعي والزراعة . فأساس هذا التكوين البشري الاجتماعي هو الصراع ،وهذا الصراع في أساسه ظاهرة طبيعية سببه الحاجة المعرفية كما هو مع آدم عليه السلام أو غيرها من الحاجات التي تتطلب مواجهة الآخر من إنسان أو طبيعة .

وإذا نظر إلى تكوين المجتمع فإن أول ما ينشأ بعد الفرد الأسرة حيث يكون الأمر طبيعياً متمثلاً في غريزة الجنسي والتكاثر ، وغالباً ما تكون الرابطة رابطة أدبية طبيعية يسودها سلطان الإبوة والأموية والحاجة إلى الرعاية ثم يتكون المجتمع. حيث تتسع الدائرة بتعدد الأسر والقبائل مما يؤدي إلى نشوء المجتمعات في انضج صورها وهم الأمم أو القوميات حيث يكون بالمكان مشاهدة صور الصراع وعوامل نشؤه فالحاجة إلى الأمان والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. بالإضافة إلى النمو طبيعي في العلاقة القومية جعل منها تمثل وحدة متكاملة ، يتوفر فيها جلّ إمكانات الحياة وأن لم تكن بأكملها.

هذه البنية الاجتماعية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية ويري فيها(شبنجلر) صورة الجزع أو الخوف على المصير وصورة التحدي والاستجابة عند (توينبي)، وعالم الأشخاص عند (مالك بن نبي) في معادلة الحضارة وفي هذه الوحدات الاجتماعية تبرز صور الصراع بين جدب وطرد ، وتحدي واستجابة ، حيث تنقسم المجتمعات الإنسانية إلى قوميات لها ميزاتها وخصوصيتها من أديان وعرف وثرات وتقاليد تكون شخصيتها الثقافية والنفسية والإيديولوجية .

ولعل سائل يتسأل أليست الأمبروطريات والدول التي تحول مجتمعات أو قوميات عدة تبرز فيها صور التحدي والاستجابة؟ بلا تتضح فيها ، لكن ليست تلك الصور قائمة على بناء طبيعي ، بل تمثل واقع اصطناعي فرض بالقوة هذا من ناحية ، من ناحية أخري فإنه يمثل بدرة الانتحار لتلك الإمبروطرية ، والسبب في ذلك اختلاف القيم والثقافات والنفسيات ، وبمعني أخر اختلاف في البنية الاجتماعية مما يؤدي إلى التمزق الداخلي ، وذلك بسبب انعدام وجود روابط طبيعية .ولذلك فإن فكرة مجتمع إنساني موحد يمكن التسليم بأنها فكرة طوباوية غير قابلة التحقق ، وإذا سألنا عن السبب ، يكون سببه انهيار القاعدة الطبيعية التي يتحرك من خلالها العالم ، فإذا أردنا مثل هذه الوحدة فإننا ستكون أمام خياران ، إما أن نبحث عن نقيض لعالمنا الموحد ليمثل نوع من التحدي الاجتماعي يشكل نوع من حالة الجزع والحرص الباعث

على الحركة، وإما أن نعود إلى نقطة الانطلاق (البدائية) والسبب أن المجتمعات لا تقبل بسهولة مسخ شخصيتها حتى وأن كانت عاجزة ، فأنها تحاول النهوض ، ولذلك فإن الهيئات الدولية غالباً ما تكون عاجزة عن فرض قوانينها على الدول المشتركة فيها لأن القوي القومية لا تتنازل عن قوتها وسيادتها ، أن أقوي صور الشئ ونقيصة تتضح عالمنا في شكل الأقطاب ، وغالباً قطبان يمتلكان من القوة ما تكفي لأن تكون لهما السيطرة ، والشواهد كثيرة منها مصر وبلاد الرفدين ، الفرس والروم ، الدولة الإسلامية (العرب) والروم ، الاتحاد السوفيتي – وأمريكيا ، وتبقي باقي المجتمعات تدور في تلك أحدى الدولتين وتحاول صناعة شئ في التاريخ.

وإذا أخذنا مثال على تلك القوميات التي حاولت أن تنظم بقية القوميات إلى أمبرطوريتها ولتكن الأمبرطورية الرومانية في عهد الاسكندر المقدوني ، أن الدولة الرومانية في عهده حوت قوميات عدة وحاولت فرض الثقافة الرومانية عليها، لكن ذلك أذى إلى انتفاضات عدة سببها شعور تلك القوميات بالامتهان ومحاولت طمس شخصيتها .وذلك عن طريق السيطرة بالقوة. فكانت محاولة المكلويون تم الإيرانيون والسوريون والمصريون وأن كان مصير هذه الانتفاضات الفشل بسبب قوة التحدي الموجهة من الأمبروطورية الرومانية إلى أن جاءت الانتفاضة العربية الأخيرة في الفتح الإسلامي[30] بالإضافة إلى ذلك أن الامبروطورية تفسها تواجه صراع ثقافي سببه اختلاف بنية المجتمعات واتساع رقعتها مما يصعب السيطرة عليها ، ويؤدي إلى وجود حالة اضطراب وقلاقل داخل الدولة أو المجتمع .

وكذلك الحال أدى اتحاد عدة موميات داخل الدولة الإسلامية إلى وجود صراع داخلها كان السبب في تفككها وذلك نتيجة لصراع تلك القوميات على السلطة وخصوصاً بحدا انتفاء الخطر الخارجي عن الدولة الإسلامية ولو إن الإسلام بقي كدين لقوميات تتمتع تحياتها الاجتماعية الخاصة باعتبارها خصوصة لتلك القومية . وبقي الدين يمثل دائرة وسعة لقوميات عدة ولكن ليس في أيطار الدولة بل في أيطال العقيدة التي تستدعي الضرورة الدفاع عنها والتشير بها دون محاولت طمس شخصية القوميات لأن ذلك يؤدي إلى الصراع القومي.

خلاصة ذلك الصراع في الامبروطوريات التي تنظم قوى قومية عدة هو انعدام حالة الاستقرار الذي يعد أساس هام لنشؤ أي حضارة . والاستقرار بمعناه الشامل هو ذلك الذي يكون فيه المجتمع مستقر " من الناحية الطبيعية التي تتوفر فيها المياه المساعدة على تكوين حضارة مدينة بينما المناطق الصحراوية والتي يغلب عليها الجفاف تتباطئي فيها يختص بالواقع السياسي فإن المناطق التي تجتاحها الحروب والفتن والاضطرابات العسكرية "[31] حيث ينعدم فيها الشعور بالأمن والاستقرار ، وذلك فإن ابن خلدون عندما اعتبر أن حياة البدو بعيدة من المدينة والحضارة بسبب انعدام الاستقرار أما بسبب مطاردة المناطق التي تتوفر فيها المياه ، وأما بسبب الحروب وأما لأنها لم تصل إلى الكثافة السكانية اللازمة والتي تؤدى إلى تكوين ما يسمي بالعصبة التي تكفل لها الحماية وما تحتاجه من حاجيات أخرى. والعصبية هي التي تنشاء من علاقة الدم وصلة الرحم وهي صفة طبيعية لدى البشر وليست تكوين اصطناعي مثل الدولة ، والرابطة العصبية أو القومية تبرزو واضحة " عندما تبلغ الشعوب درجة معينة من الترابط والقومي وحسن الوعي عندئذ يبدو متعدراً على شعوب أخرى أن تتحكم فيهم إلى الأبد "[32] ، وهذا الوعي القومي هو الذي يجعل أي مجتمع يكتسب صفة المجتمع ويجعلها تسرع في الحركة من أجل تغير حالها إلى التقدم. فما هي تلك السبل التي تيسر للأمة حركتها في طريق التقدم؟

متعقدات الأمة :

يقصد بمعتقدات الأمة مبادئها الدينية وأعرافها وعاداتها وتقاليدها ومبادئها السياسية باعتبارها تكون التركيبة الروحية والنفسية والأخلاقية للأمة.

يقول مونتسكيو[33]" أن قوة المبادئ تجر حلفها كل شئ هذا هو الدرس الكبير للكتاب الثامن الذي يفتح بهذه الجملة أن فساء كل حكومة يبدأ دائماً تقريباً بفساء المبادئ". وإذا بحثنا عن تكوين يحوي على عبر وإرشادات ونصوص للعقاب والقصاص من المدنيين ، وقبل كل شئ يشكل جانب روحي مقدس لذي الإنسان يمثل محاولة المساس به خطر يؤدي إلى رد فعل غالباً ما يصل إلى حالة الحرب ، على اعتبار أنه قضية غير قابلة للنقاش ، ويعتبره تونيبي أساس من أسس قيام الحضارات ، حيث أن كل حضارة تحتاج إلى دين جديد من أجل رقيها وتقدمها ويعطينا التاريخ دلالة في الدافع الإنساني الحضاري في القبائل العربية قبل الإسلام.

فقد كان ظهور الإسلام باعث للقوة في شبه الجزيرة العربية وسبب لوحدة العرب ، وعاملا ودافعاً لنهوضهم . فكان الدين بسبب في ظهور الدولة الراعية للحضارة الجديدة بما فيه من قيم وروحاً جديدة واجهت قوتي الفرس والروم.[34]" فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني "[35] .

والحال نفسه في مجتمع الحضارات مثّل فيها العنصر الإلهي عامل هاماً، فمنهم من آلة الملول ، وتعزى للإله الأمور الخارقة التي يصعب تفسيرها فلقد كان المؤرخون القداما من المصريين والبابليين واليونانيين ، يرون أن السبب الرئيس للتغير في التاريخ هو بسالة عظماء الايطال والكهنة والملوك ، أما التطورات التي لم يستطيعوا تفسيرها بتلك الطريقة فكانوا في الغالب يعزونها إلى لرادة الآلهة . فالمجتمع الإنساني ينظر إلى القوة الآلهة دائما على أنها تلك القوة القاهرة الرادعة المسيطرة وفوق كل القوي ،وتمثل في النصوص جانبي الشئ ونقيصة ، الرهبة والخوف من جهة ،والرحمة والرأفة من جهة أخرى ، بالإضافة إلى أنها تدفع الأمة للقيام بما قد لاتقوى على القيام به بدونه ، ولذلك فإن جلّ المجتمعات المترنحة والمتجهة نحو الاضمحلال تكون قد وصلت إلى حالتها تلك غالباً بسبب فقدانها التدريجي إلى وأعزها الديني والذي ينعكس بالضرورة على اخلاقيتها ونفسية تلك الأمة ، فيكون مصيرها الضياع.

ويمكن أن يكون الدين عامل توحيد بين قوميات عدة لكن الصراع القومي لا يختفي ومثال ذلك الدين الإسلامي دين يعتبر الأخوة في الدين أساساً لكن رغم ذلك لم تنتهي الصراعات للقومية كما هو واضح في الصراع من أجل الخلافة ومراتب الشرف .والسبب أن لكل قومية تراث وثقافة اجتماعية خاصة بها ليس من البساطة بمكان التخلص منها لأنها بناء نفسي وعقلي ممتد في جذور تاريخ أولئك القوم.

فا الأعراف جزء أصيلٌ من هوية الأمة. متكون من عادات وتقاليد فهي كما صفها مونتسكيو بأنها أكثر تأثير من القانون بل تؤثر فيه .حيث يقول [36] " أن العادات أكثر تنظيما لأعمال الإنسان ،و ..... أكثر سيطرة على السلوك الباطنئ وأن الثانية أكثر سيطرة على السلوك الخارجي" فالعرف فهو ماتعراف عليه أفراد المجتمع ، ويمثل قانون غير مكتوب ويمتلك من القوة ما يجعل من الصعوبة التمرد عليه. والسبب بصرف النظر عن كونه نتيجة طبيعية ناتجة عن العلاقات الاجتماعية ، فإنه أيضا نابع من حاجة الفرد لجماعة تحمية وتشد أزره ، وقلما يتمرء احد عليه ، فهو جزء من تكوين المجتمع المورث ودليل قوته ، باعتباره جزءٌ من ثراته الروحي المعنوي والروحي الذي يحتكم إليه وقت الحاجة ويوطد العلاقة بين الأفراد فيما بينهم من جهة ، وبين الأفراد والأمة من جهة أخري.

دور الأفراد (الأبطال)

يؤرخ البعض في كتابة التاريخ باسم بعض الأفراد سواء أكانوا ملوك أو أفراد أبطال والسبب في ذلك يرجع إلى دورهم في صناعة الأحداث وتقديس مجتمعاتهم لهم، بسبب ما أدوه من تضحيات جليلة من أجل مجمعتهم ، وهؤلاء الإبطال هم أكثر وعيا وشفافية وإحساسا بقضايا مجتمعاتهم.

إن البطل غالباً ما يظهر في تلك القدرات التي يحصل فيها انسداد في مجري التاريخ القومي ، وهؤلاء الإبطال لا يؤثروا في التاريخ إلا بشكل جزئي، ولكن الجزء الهام من الاتجاه العام للمجتمع ، ولكن التمجيد يجعل منه صانع للتاريخ بصفة عامة لذي الجماهير في حالة نجاحة " فلا مجال للقول أن البطل معجزة عصره لأن ذلك ليس الاتمجيد سادج يشع ... مشاعر جماهير يعوزها الوعي التاريخي الناضج

إن البطل لا يستطيع التأثير في التاريخ مالم يكن الزمن مواتيا له وما لم تكن الظروف مهيأة لظهوره فضلا عن أن البطولة يحددها نوع العالم الذي ينشأ فيه البطل أو الزعيم ". [37] وغالباً ما يكون مصير هؤلاء الإبطال تعيسا فمنهم من قتل مثل بوليوس قيصر،ومنهم من مات في سن مبكرة مثل الإسكندر الأكبر ومنهم من نفي مثل نابليون الذي نفي إلى سانت هيلانة.

فعامل الجدب والطرد يحكم العلاقة بين الفرد (البطل) ومجتمعه حيث تبرز فيه قوة المجتمع الذي هو عبارة عن فراد تربطه رابطة اجتماعية ،وقوة الفرد الذي يمثل ذاته في الوقت ذاته جزء من المجتمع ، وينضح ذلك من خلال حاجة المجتمع وتقبله له من ناحية ،ومن ناحية قدرته على اقنع مجتمعه أو جره خلفه ليخرجه من الأونه الجرحة التي يعيشها .

قوة الاقتصاد :

بالإضافة إلى ما سبق قوله فإن اقتصاد الأمة يلعب دور هاما إذا أحسن استخدامه وقد يكون سبب تعاسة وهلاك .حيث إذا لم تكن تلك المجتمعات وأفية متماسكة فإنه يكون في جلّ الأوقات سبب في طمع الشعوب الأخرى فيها ،ويجعلها عرضة للغزو والاستعمار .والشواهد على ذلك كثيرة منها الحملات الاستعمارية على جنوب شرق أسيا والشرق الأوسط. حيث كان السبب الرئيسي فيها هو نهب الثروات فكانت بريطانيا تأتي بالتوابل من الهند مثلا ، بالإضافة إلى ذلك أنها قد تكون سبب تفسخ الأمة وانحلالها أو لم يحسن المجتمع استغلالها فـ" الثرف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها .والسبب في ذلك أن القبائل إذا حصل لهم الملك والثرف كثرت التناسل والولد والعمومية فكثرة العصابة ... فازدادوا عددا إلى عددهم وقوة إلى قوتهم" [38] فقوة الاقتصاد قوة للمجتمع إذا أحسن استخدامه حماه من الأعداء ، لكن محتاج إلى عقل بشري يحسن استخدامه، وذلك بالاعتماد على تماسك المجتمع عقائدياً ودينياً ومدى صلابة وتماسك قيمه .

عينة تطبيقية (حضارة مصر القديمة وبلاد مابين النهرين):

سبب اختيار هذه العينة على وجه التحديد يرجع إلى إن الحضارتان قامتا في فترة باتت منصرمة بالإضافة إلى أن المدة الزمنية التي عاشتها كانت طويل جداً من الألف سنة قبل الميلاد إلى نهاية الألف الأخير، بالإضافة إلى تباين تأثير العوامل السابقة في تكوين حضارة كل منهما .

والسؤال الذي نود طرحة للإجابة عليه هو لماذا كانت حضارة مصر أكثر تقدما وأكثر استقرار ؟

وإذا بحثنا عن إجابة من خلال واقع الحضارتان استناد إلى العوامل السابقة لنرى أثرها مجتمعة عن طريق المقارنة بين الحضارتين. وأول هذه العوامل عامل البيئة .

إذا نظرنا إلى موقع مصر فأننا نجدها تقع في منطقة تكاد تكون في موقع حسن للغاية حيث أن البيئة فيه توفر سبل عظيمة للاستقرار الذي هو أول درجات الوصول إلى الحضارة. إذ يكن القول حيث الاستقرار يمكن أن تكون حضارة ، وبيئة مصر من الناحية المناخية هادئة " مأمونة العواقب هينة الحد قليلة القلب ، ليس فيها صراع الظواهر الطبيعية أو مظاهر الرهبة والصخب والعنف، ما يوجه أهلها إلى اعتياد الصخب والعنف أو يطبعهم بطابع التمرد والقلق" [39] بالإضافة إلى السيطرة على فيضان النهر حيث تم عن طريق التقدم العلمي الفلكي معرفة موعد فيضانة. ففي " عهد السلالة الثالثة أظهرت الملاحظات المتعلقة بالنجوم أن ظهور نجم سير يوس عند شروق الشمس في عرض القاهرة يوافق موعد الفيضان، واستخدمت الأدرة المصرية السنة النجمية على هذه الملاحظة لتصحيح التقويم الرسمي القديم وتعليم الفلاحين موعد العمل في الحقول". [40] بالإضافة إلى ذلك فإن الفيضانات ليست مدمرة بشكل كبير ناهيك عن تحديد موعدها بل أنها تجلب الخير باعتبارها تهب الطمئ للمزارع .

من هنا تتضح أن الطبيعة تبعث في نفس الإنسان المصري الطمنيئنة والاستقرار وخصوصاً إذا زدنا على ذلك أن الحدود المصرية بعيدة عن أي عدوان بسبب حماية الصحراء من ناحية الغرب، ومن ناحية الشمال والشرق يوجد البحر أم عن الجنوب فقد كان يمثل عمق استراتيجي لها. فلم تتعرض مصر إلى عدوان خارجي مؤثر إذا استثنينا الهكسوس. [41] وحتى في هذه يرجع في جُله إلى تفكك داخلي (كما سنبرى فيما بعد) والعبرانيين بسبب بروز ديانة جديدة.

أما عن البيئة في بلاد مابين النهرين فكانت على النقيض عما هي في مصر. فالأرض في العراق ليست منبسطة غالباً كما هو في مصر ،بل تكثر فيها الجبال والأودية مما يؤدي إلى عزل بعضها عن الأخر. بالإضافة إلى إن الفيضانات ليست ثابتة الموعد في النهر الواحد . ناهيك عن كونهما نهران (دجلي والفرات) بالإضافة إلى تفرعاتهما مما أعطي صورة مضطربة لذي الإنسان " ويلاحظ أن لون مياه كلا النهرين يختلف نسبياً عن الآخر أثناء الفيضان لاختلاف جيولوجية منابع كل منهما عن الآخر. هذا بالإضافة إلى كثرة الأمطار والزوابع مما يوحي إلى الإنسان في تلك البيئة غير المنتظمة إلى عدم الاطمئنان إليها [42] بالإضافة إلى ذلك إن تلك الفيضان خلفت ورائها متنقعات و نباتات وأشجار عديمة الفائدة .

أما عن الحدود الطبيعية فليست ذات حماية عظيمة بل إن موقعها بالقرب من منطقة انفجار سكاني حيث الأيرانين وغيرهم من مناطق جنوب شرق أسيا مما جعلها منطقة عديمة الاستقرار.

ثانيا: العامل الديني:

لعبت البيئة دور أساس في تكوين الفكر الديني في مصر وبلاد مابين النهرين. ويتضح هذا الأمر من صورة الإله لدى الإنسان في كلا البلدين حيث القيم الدينية التي تبلورت في كلتا المنطقتين تنم عن اختلاف شاسع. فالقيم والمبادئ الدينية لدى سكان مصر تبدو أكثر طمئنية حيث الطبيعة أكثر رحمة وباعثه على الاستقرار وساعد على ذلك الاستقرار تألية الملك في مصر" حيث كان الملك في مصر " يعتبر إلها على الأرض وكان يقوم بدور الوسيط بين العالم الإنساني.وعالم الآلهة حتى يتمكن من ضمان استقرار وطمئنان وتحقيق المطالب الإنسانية لدى السلطان الإلهية "[43] ومن أهم المبادئ والقيم الدينية في مصر ظهور فكرة عالم الآخرة حيث

يوجد الثواب والعقاب. وهذا يجعل الإنسان يحسب حساب لذلك العالم وبالتالي يكون أكثر واحترام للآله الذي هو الملك لذي الإنسان المصري فالتكرار المنتظم في البيئة المصرية من موعد فضالنا الذيل إلى التوقيت السليم الزراعة المحاصيل وجنيها كل ذلك أوحى بفكرة وجود عالم أخر ووجود قوة إلهية تسير هذا الكون . كل هذه القيم الدينية الواضحة الغير مضطربة ساهمت في وجود كيان اجتماعي حضاري مستقر.

أما في العراق (بلاد مابين النهرين) فإن الفكر الديني فيها كان مضطرب اضطراب الطبيعة فيها .وكذلك مختلف باختلاف الشعوب التي عاشت فيها .

فمن ناحية الطبيعة فإن طبيعة بلاد مابين النهرين لم تكن مستقرة ولا عطوفة رحيمة. بل كانت مضطربة قاسية (كما أسلفنا عند الحديث عن البيئة) فكانت القيم الدينية في العراق تميل إلى القسوة والفردية التي زاد من حدتها كون المنطقة حدودية مع شعوب إيران وتركيا .[44] وهذه المناطق ذات كثافة سكانية عالية. بمعنى أخر تعاني من انفجار سكاني فكان ذلك بسبب في عدم وجود استقرار في بلاد الرفدين . حيث أن تلك المنطقة كانت موطن لعدت شعوب منها الاشورين والكلدانين والبابلين والعلامين. وهذا يعني انعدام الاستقرار بالإضافة إلى ذلك إن الملك في بلاد ما بين النهرين لم يصل إلى مرحلة التأليه بحيث يحضى بقدسية عالية على اعتبار أن أعلى قيم لذي الإنسان هي قيم العبادات الإلهية .

كل ذلك جعل صورة الإله في تلك المنطقة مضطربة وقريبة للقسوة منها للاستقرار والطمئنية .

العامل الاقتصادي:

كان للسيطرة على نهر النيل ومعرفة مواعيد فياضانه أثر كبير تنظيم الزراعة في مصر، بالإضافة إلى قوة الدولة التي كانت تقوم تخزين المحاصيل وتوزيعها حيث كانت السيطرة مركزية. وفي يد الإله الملك وكان الدولة بالإضافة إلى الزراعة مهتمة باستخراج المعادن الطبيعية ولذلك فإن الاقتصاد كان دعامة من دعامات الحضارة المصرية بسبب السيطرة المركزية عليه .وخير مثال على ذلك إن الفترة التي دخل فيها الهكسوس مصر لم يكن السبب قبل قوة الهكسوس سوى انعدام المركزية في مصر (أواخر ق 18 ق.م) .ومن الجانب الاقتصادي يتمثل عنصر انعدام المركزية في "الإعفاءات الغربية لبعض المعابد والمقربين قد أضافت أيضا إلى تخرج نظام الملكية الإلهية قرب نهاية الدولة القديمة" [45] ذلك لأن أكثر العوامل خطورة على الدولة العوامل الداخلية .

أما في العراق (بلاد مابين النهرين) فإن الناحية الاقتصادية تختلف باختلاف الشعوب الذي كانت فيها مثلا " كان البابليون شعباً من الزراع والتجار وكانوا أجل قدراً في أوضاعهم العامة من فن الحرب . أما الاشورين فعلي النقيض كانوا منذ البداية إلى النهاية سلالة حرب" [46] بالإضافة إلى ذلك فإن شعوبها في أغلب الأحيان كان اقتصادها يعتمد على الغزوات والحروب بالإضافة إلى بعض المحاصيل من مياه نهري دجلي والفرات إذا لم ينألها الفيضان .

العامل السياسي والاجتماعي:

إن التحدي للواقع السياسي والاجتماعي داخليا وخارجياً تختلف حدته في كلٍ من المنطقتين بين التحدي المعقول المثير الباعث للحركة من جهة في مصر. وبين التحدي القاسي الذي غالباً ما يكون عامل دمار في بلاد مابين النهرين .

فلو نظرنا أولا للواقع السياسي الداخلي في كليهما فإننا نجد هذا الفارق بين هذين النوعين من التحدي . ففي مصر لم تكن هناك شعوب عدة في المنطقة وهذا ما يقوي الروابط الاجتماعية والسياسية بسبب وحدت القيم والمبادئ في المجتمع [47] من ناحية أخري فإن القيم الدينية التي تجعل من الملك أله ويجمع لديه جميع السلطات باعتباره اله خلق نوع من القدسية الخضوع وانقياد للملك . فالحلافات والصراعات لم تكن من القوة بحيث تدمر المجتمع أو الدولة (إذا ستتنيا الفترة التي دخل فيها الهكسوس مصر وهي الفترة التي يطلق عليها عصر اللامركزية الثانية ق 18 ق م) [48] حتى الصراعات التي كانت تدور بين الكهنة في المعابد كانت نوع من التنافس للتقرب الملك .وهي بذلك تتجه لتصب في مصب واحد وهو سلطة الملك الإله الذي هو أصلها ومنبعها. فحركة المجتمع وفاعليته حافزها رضاء الإلة. وساعد على ذلك الكثافة السكانية التي ساهمت في تذويب الهجرات السكانية البسيطة التي وفدت إلى مصر دون أن تشكل كيان غريب دخل المجتمع قد يؤدي إلى تمزقة .

أما بلاد مابين النهرين فإنها تمثل منطقة صراعات سياسية واجتماعية داخلية سبب وجود كيانات اجتماعية مختلفة في العادات والقيم واللغة في منطقة واحدة فكان من الطبيعي إذا أضفنا إليه ما سبق عن البيئة أن تكون منطقة صراع. فعلي سبيل المثال من ناحية اللغة " لوحظ.... أن من أسماء العالم الرئيسية في الأرض العراق والتي تضمنتها النصوص السومرية نفسها ما يختلف في الفظة عن مفردات لغة أصحابها ويختلف عن المسميات اللغة السامية في الوقت نفسه ، مثل أسماء، دجلة (اديقلات)، الفرات (بورا نون بورنونا) .....الخ بالإضافة إلى ذلك اختلاف أشكالهم وملامح الوجه فقد " جمعت خصائص الرؤوس السامية الطويلة بين خصائص أصحاب الرؤوس العريضة من غير السامين ، وهذه ظاهرة يمكن أن تقرن بما أسلفناه عن تصوير بعضهم بأنف أقنى .وهي أنف غير مألوفة كثير في ملامح السامين" [49] وهذا الاختلاف بين شعوب المنطقة جعلها منطقة خصبة للصراعات الداخلية التي سهلت أمكانية الغزوات الخارجية من شعوب المناطق المجاورة. ولم تشهد العراق وحدة سياسية دامت طويلا إذا استثنينا فترة الحكم الإكدى (340 -2180 ق م) وعلى وجه التحديد قترت حكم أسرة " اورنمو" قبيل (ق 21 ق م) حيث تمت إصلاحات قام بها أور الثالث وأسرية حيث تم توحيد البلاد " وتجنبت أور إلى حدما العوامل الوخيمة التي نخرت في كيان الدولة الاكدية من قبلها نتيجة للتفرقة بين السومرين والسامين ..... ماستعانت بالعنصرين في جيشها وفي مناصبة الإدارة. وجمعت بين اللغتين السومرية والإكدية في بعض الوثائق الرسمية والأدبية ، وتسمي بعض ملوكها بأسماء سامية الصفة مثل شوسين ، وأبي سين" [50] ولكن حتى في هذه الوحدة لم تختفي الصراعات بسبب اختلاف القيم .والدليل عجز الدولة عن توحيد اللغة التي هي في حقيقتها تعبير عن تكوين نفس اجتماعي تبلورت منه قيم خاصة بكل مجتمع يستحيل طمسها .

الخاتمة:

يتبين مما سبق إن الحضارات بوصفها جهد إنساني تستند إلى عوامل عدة ، وليس عامل واحد بمفرده . وخصوصاً تلك العوامل ذات العلاقة بالتكوين الروحي للمجتمع.

فالحضارة هي نتاج لتضافر جهود أفراد المجتمع وليست معطي خارجي من الطبيعة . فالطبيعة تهب الإمكانات التي تسهل الجهد الإنساني ، كذلك الأمر بالنسبة للقوى الإلهية ، تهب الإنسان الظروف والأسباب بمختلف صورها بما فيها العقل ، لترى كيف يتفاعل الإنسان معها لتبث وجوده.

لذلك كانت العوامل ذات الطبيعة الروحية أكثر تأثير لدى المجتمعات في قيام الحضارات وفي انهيارها من قديم الأزل . فإذا لم يكن القيم الروحية على درجة عالية من التماسك والاهتمام لدى المجتمع ، فإن الامكانات المادية قد تكون سبب وعامل في هلاك المجتمعات.

الهوامش:

1) السحمراني ، أسعد –مالك بن بني مفكر إصلاحي - دار النفاش بيروت ،ط2-186 ، ص143.

2) ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988، ص3-4.

3) صبحي ، أحمد محمود - في فلسفة التاريخ ، ط2، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، 1989- ص49.

4) فوكوياما – نهاية التاريخ وختام البشر – ترجمة – حسين أحمد أمين – ط1-دار الثقافة – القاهرة - 1992 ،ص10.

5) بيكون ،غايتان – ترجمة – لجنة من الأساتذة الجامعين ، آفاق الفكر المعاصر ، منشورات عويدات- الطبعة الأولي 1965، ص350 .

6) عبارة مقتبسة من هوراثيوس .

7) توينبي – مختصر لدراسة التاريخ –ج1 – فؤاد أحمد شبل – جامعة الدول العربية -1964 ، ص87- 88.

8) راجع ،صبحي ، أحمد محمود – مرجع سبق ذكره ،ص156.

9) كاناي .مدينة في جنوب إيطاليا انتصر فيها هنبال على الجيش الروماني عام 216 ق م.

10)توينبي – مرجع سبق ذكره ج1 - ص419.

11)كولنجرد ، ر،ج - فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل – لجنة التأليف والنشر والترجمة -1968 ،ص153.

12)مونتسكيو - روح الشرائع ، ترجمة ، عادل زعيتر ،-ج1 ،دار المعارف ، القاهرة ،1953، ص404.

13)مونتسكيو مفكر وفيلسوف وباحث سياسي ومن أهم كتبة روح القوانين والشرائع ويعتبر أول وضع مبداء الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية.

14)توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص94.

15)الاسقوديين ،نسبة إلى الإقليم الواقع شمال البحر الأسود، وبحر قزوين وبحر أورل .

16)ابن خلدون – المقدمة ،ص82.

17)ديورنت ، ول - قصة الحضارة ، ج 1 ، ترجمة ، زكي نجيب محمود ، دار المعارف القاهرة ،1972، ص 4.

18)توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص96.

19)لتوسير ، لوي – مونتسكو والسياسة والتاريخ – ترجمة – نادر ذكري ، دار التنوير ، بيروت -1981 ،ص54.

20)هيجل .ج.ف - محاضرات في فلسفة التاريخ ج1 ، ترجمة . أمام عبد الفتاح أمام – دار الثقافة – القاهرة . ب ت . ص 180.

21)خوري ، منح – التاريخ الحضاري عند توينبي – دار الملايين بيروت 1966،ص101.

22)تحرير –هيوج ، اتك . دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ،دار الملايين، بيروت 1963. ص123.

23)الجابري ، محمد عابد - فكر ابن خلدون (العصبية والدولة) ، دار النشر المغربية ، الطبعة الثانية- 1982، ص402.

24)المرجع السابق ص400.

25)جونسون ، أ،هـ ، فلسفة الحضارة عند ويتهيد ، ترجمة ، عبد الرحمن باعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1965، ص16.

26)المرجع السابق ، ص18.

27)بن نبي ، مالك – ميلاد مجتمع – ترجمة ، عبد الصبور شاهين – دار الفكر القاهرة ط3 -1986، ص27.

28)بن نبي ، مالك ، وجهة العالم الإسلامي - ترجمة ، عبد الصبور شاهين- دار الفكر – دمشق ط3 – إعادة 2000 ،ص169.

29)جونسون ، أ،هـ. مرجع سبق ذكره ،ص18.

30)راجع ، توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص239-240.

31)حلاق ، أحسان ، ملامح من تاريخ الحضارة ، الدار الجامعية ،1991، ص12.

32)رواس ،م ، ل - التاريخ أثره وفائدته ، ترجمة ، مجد الدين حنفي ، مؤسسة سجل العرب ،1968،ص25.

33)لتوسير ، لوي – مرجع سبق ذكره ،ص51.

34)راجع ، بن بني ، مالك – ميلاد مجتمع – مرجع سبق ذكره ،ص56.

35)المرجع السابق ،ص57.

36)مونتيسكو – مرجع سبق ذكره ،ج1 ، ص445.

37)صبحي ، أحمد محمود – مرجع سبق ذكره ، ص69.

38)ابن خلدون – المقدمة ، ص174.

39)عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ج1 (حضارة مصر والعراق) ، مكتبة الإنجلو – القاهرة ، الطبعة الثالثة ،، 1973،ص4.

40)تشايلد ، جوردون ، ترجمة ، جورج الحداد، ماذا حدث في التاريخ (دراسة لتطور الحضارة عند العصر الحجري حتى العصور القديمة) الشركة العربية للطباعة والنشر ، ب-ت ،ص119.

41)الهكسوس : ختلفت التسميات التي سموبها فقد عرفهم البعض بالاتريين أو الهند آريين وفي بلاد مابين النهرين عرفوا الكاسين وفي آسيا الصغر الخابيين تم الحيتين وفي سوريا الحوريين أو الخوريين وفي مصر حقاوخا سوف ثم حرف إلى الهكسوس " واتوا إلى مصر بسبب الهجرات من آسيا الوسطي تحت ضغط حروف طبيعية أو بشرية من أوائل ق 2ق م " نظر عبد العزيز صالح – الشرق الأدنى القديم 12 مصر والعراق ،ص187.

42)الناظوري ، رشيد - المدخل للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب شرق أسيا وشمال أفريقيا (الكتاب الأول) ، التشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث إلى نهاية الألف الثالث ق م ، دار النهضة العربية ، ب ت ، ص284.

43)راجع المرجع السابق صـــ 282 .

44)راجع مقدمة ابن خلدون ، صـــ 82 .

45)صالح عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم ، ج1 ، ص183.

46)الناظوري ، رشيد – مرجع سبق ذكره ص288 .

47)بورج ، وي – ثرات العالم القديم- ترجمة ، زكي سوس ، دار الكرنك ،1965.ص41.

48)حتى في فترة ما قبل توحيد الوجه القبلي والبحري كانت القيم الاجتماعية لسكان النيل واحدة.

49)عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ج1 ، حضارة مصر والعراق،ص385.

50)المرجع السابق ، ص 430.

المراجع:

1- ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988.

2- بن نبي ، مالك – ميلاد مجتمع – ترجمة ، عبد الصبور شاهين – دار الفكر – القاهرة ط3 - 1986.

3- ـــــــــــــ، وجهة العالم الإسلامي – ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر دمشق إعادة 2000.

4- بورج ، وي – ثرات العالم القديم- ترجمة ، زكي سوس ، دار الكرنك ، 1965.

5- بيكون ،غايتان – ترجمة – لجنة من الأساتذة الجامعين ، آفاق الفكر المعاصر ، منشورات عويدات ، ط 1، 1965.

6- تشايلد ، جوردون – ماذا حدث في التاريخ (دراسة لتطور الحضارة عند العصر الحجري حتى العصور القديمة) ترجمة جورج الحداد ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، بات.

7- الجابري ، محمد عابد ، فكر ابن خلدون (العصبية والدولة) دار النشر المغربية ،ط 2- 1982.

8- جونسون ، أ،هـ ، فلسفة الحضارة عند ويتهيد ، ترجمة عبد الرحمن باعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1965.

9- حلاق ، أحسان ، ملامح من تاريخ الحضارة ، الدار الجامعية ، ط 1-1991.

10- خوري ، منح – التاريخ الحضارة عند تويبي ، دار الملايين ، بيروت ،1966.

11- ديورنت ،ول قصة الحضارة ، ج 1 ، ترجمة زكي نجيب محمود ، دار المعارف القاهرة ،1972.

12- رواس ،م ، ل التاريخ أثره وفائدته ، ترجمة مجد الدين حنفي ، مؤسسة سجل العرب ،1968.

13-السحمراني ، اسعد مالك بن نبي مفكر إصلاحي ، دار النقاش ، بيروت ، ط 2،1986.

14- صالح ، عبد العزيز الشرق الأدنى القديم ، ج1 (حضارة مصر والعراق) مكتبة الإنجلو – القاهرة ، ط2 ، 1973.

15- صبحي ، أحمد محمود في فلسفة التاريخ ، منشورات جامعة قاريونس ، ط2، 1989.

16- صدقي ، عبدالحميد تفسير التاريخ ، ترجمة ، كاظم الجوادي ، دار الكويت للطباعة والنشر ، ب ت.

17- فيشر ، هـ.أ.ل تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ترجمة أحمد نجيب هاشم . وديع الصباغ ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط8.

18- كار ، ادوار ماهو التاريخ ، ترجمة ، ماهر كيال ، بيار عقل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط3 ، 1986.

19- كولنجرد ، ر،ج فكرة التاريخ ، ترجمة محمد خليل بكير ، جامعة الدول العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر) 1968.

20- مونتسكيو روح الشرائع ، ج1 ، ترجمة عادل زعيتر ، دار المعارف ، القاهرة، 1953.

21- لتوسير ، لوى ، مونتسكيو السياسة والتاريخ ، ترجمة نادردكرى ، دار التنوير ، بيروت 1981.

22- الناضوري ، رشيد المدخل للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب شرق أسيا وشمال أفريقيا (الكتاب الأول) دار النهضة العربية ، ب ت .

23- هورس ، جوزف قيمة التاريخ ، ترجمة الشيخ نسيب وهيبة الخازن مكتبة الحياة، بيروت ، ط1 ، 1964.

24- تحرير ، هيوج ، اتك دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1963.

25- هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ج1 (العقل في التاريخ) دار الثقافة ط 2، ب ت.

26- وايتهيد ، الفرد نورث مغامرات الأفكار ، ترجمة أنيس زكي حسن مكتبة الحياة ، بيروت ، ط2، 1966.

27- ويدجيري ، البان ج المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفشيوس إلى توينبي ، ترجمة دوفان قوقوط ، دار القلم ، بيروت ، ب ت.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

دراسة تأثير المواد الفعالة المستخلصة من بذور الخردل الأبيض Brassica alba بواسطـــة مذيب الكلـــــوروفورم على بعض الأنواع البكتيرية الممرضة

أ. رمضان محمد عبدالرحمن بوحنتيشة.

(عضو هيئة تدريس بقسم الأحياء - كلية التربية - جامعة عمر المختار – البيضاء - ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

دراسة تأثير المواد الفعالة المستخلصة من بذور الخردل الأبيض Brassica alba بواسطـــة مذيب الكلـــــوروفورم على بعض الأنواع البكتيرية الممرضة

الملخص:

أجريت دراسة تطبيقية لمعرفة مدى تأثير مستخلصات الكلوروفورم Chloroform extract لبذور نبات الخردل الأبيض *Brassica alba* على ثلاثة أنواع من البكتيريا وهي: البكتيريا العنقودية الذهبية *Staphylococcus aureus* والبكتيريا الغائطية *Escherichia Coli* وبكتيريا الليستيريا ذات النشوء الخلوي وحيد النواة *Listeria monocytogene* ، وذلك عند استخلاص مكوناتها النشطة الفعالة على ثلاثة فترات زمنية مختلفة (24 – 48 – 72 ساعة) وقد بينت هذه الدراسة أن للمستخلصات تأثيراً مثبطاً وبنسب متباينة على أنواع البكتيريا محل الدراسة ، حيث ظهر أن المستخلص ذو الفترة الزمنية 72 ساعة كان الأقوى من حيث التأثير التثبيطي . وكانت النتائج المتحصل عليها من خلال هذه الدراسة قريبة إلى حدٍ ما من تلك النتائج التي بينتها القدرة التثبيطية لكلٍ من المضاد الحيوي الإمبيسيلين Ampicillin والسيفاتكسين Cephataxin على نفس الأنواع البكتيرية سالفة الذكر . حيث أظهرت الدراسة قيماً تقريبية للتراكيز المنخفضة المثبطة لكل مستخلص ، وكذلك تبين أنه ما من سمية مطلقة لهذه المستخلصات Extracts على دم الإنسان Human blood.

Abstract

An Empirical Study was conducted to find out what the impact of Chloroform extract of the seeds of the plant white mustard (Brassica alba) on three types of bacteria namely: Staphylococcus aureus and Escherichia Coli and Listeria monocytogene, so when you draw effective active ingredients in three different time periods (24- 48 - 72 hours), this study has shown that the inhibitory effect of extracts and varying percentages of the types of bacteria under study, where he appeared to extract a time period of 72 hours was the strongest in terms of the inhibitory effect. The results obtained through this study close to some extent from those results outlined by the inhibitory capacity of each of the antibiotic Ampicillin and antibiotic Cephataxin on the same aforementioned bacterial species. The study showed an approximate values of each extract low inhibitory concentrations, as well as showing that there is no absolute toxicity of thes extracts e on human blood.

المقدمـــــة Introduction

عثر الإنسان الأول على كثير من الأعشاب العطرية Aromatic herbs وتوصل إلى معرفة خصائصها الحيوية، وقام باستخدامها في عمليات التطبيب وتعطير الجسم (رياض 1969 م). ومع مرور الزمن تطور استعمال الأعشاب حيث بدأت الشركات الدوائية الكبرى في صناعة وتقليد ما يماثل المركبات الطبيعية صناعياً (منصور 1990 م). وقد أثبتت التجارب أن المادة الفعالة Active ingredient المخلقة معملياً لا تعطي نفس التأثير الفسيولوجي Physiological effects الذي تعطيه ذات المادة المستخلصة من النباتات الطبيعية (أبوزيد 2000م) ، لذلك آثرنا في هذا البحث أن ندرس تأثير مستخلصات بذور الخردل الأبيض كنبات طبيعي لمعرفة ما مدى تأثير مكوناته الطبيعية على حيوية بعض الأنواع البكتيرية الممرضة ومقارنة ذلك مع النتائج التي تظهر من خلال تجربة التأثير التثبيطي لنوعان من المضادات الحيوية المستخدمة على نفس الأنواع البكتيرية المستهدفة بالدراسة ، وكذلك محاولة معرفة ما مدى سُمّية هذه المستخلصات وتأثيرها على دم الإنسان . وبما أن هذه الدراسة تخص نبات الخردل الأبيض فقد وجب وصفه وإعطاء نبذة تعريفية بسيطة عنه .

نبات االخردل الأبيض *Brassica alba (Mustard)* :

هو نبات حولي شتوي أوراقه بسيطة ريشية التعــرق Pinnate venation متبادلة، الأزهار صفراء ذهبية ينتج عنها خرادل تحمل من 10- 12 بذرة (سلامة 1994م) حيث تحتوي بذور هذا النبات على زيوت ثابتة ومواد هلامية علاوة على 25% بروتين (kelmanson *et al.*,2000) .

الهدف من هذه الدراسة *The aim of this study* :

1. أول أهداف هذه الدراسة هو معرفة مدى التأثير التثبيطي لمستخلصات الكلوروفورم لبذور الخردل الأبيض *Brassica alba* على ثلاثة أنواع من البكتيريا وهي :

Staphylococcus aureus ، *Escherichia coli* ، *Listeria monocytogene* .

2. تحديد التراكيز المثبطة الدُنيا لكل مستخلص .
3. اختيار أفضل زمن استخلاص ذي تأثير مثبط لنمو الأنواع البكتيرية التي شملتها الدراسة.
4. مقارنة النتائج المتحصل عليها بالنتائج التثبيطية التي تظهرها مضادات الأمبيسيلين Ampicillin والسيفاتكسين Cephataxin على نفس الأنواع البكتيرية موضع الدراسة .
5. اختبار سُمّية Toxicity مستخلصات بذور الخردل الأبيض على دم الإنسان .

تحضير البذور والبكتيريا لإجراء الاختبار
Seedbed preparation and bacteria to take the test :

جمعت البذور من الأسواق المحلية الليبية Local market وغسلت بمادة الهيبوكلورايت 3% ثم أعيد غسلها بالماء المقطر للتخلص من أثر المادة المعقمة ، بعد ذلك وضعت في فرن عند درجة حرارة 30 درجة مئوية لمدة 5 دقائق وذلك للتخلص من الرطوبة ، ثم طحنت وحفظت في أوعية زجاجية معقمة محكمة الإغلاق (Al-delaimy & Ali, 1969) .

الأنواع البكتيرية التي شملتها الدراسة *Bacterial species studied*:

اشتملت الدراسة على الأنواع البكتيرية الآتية :

Staphylococcus aureus موجبة الجرام وبكتيريا *Escherichia Coli* سالبة الجرام والبكتيريا *Listeria monocytogenes* موجبة الجرام . وقد تم الحصول على هذه الأنواع مُعَرّفة من حيث الجنس والنوع من معمل تحليل مستشفى مركز بنغازي الطبي .

طريقة العمل *Methods* :

تحضير المستخلصات *Prepare extracts* :

تمت عملية استخلاص المادة الفاعلة حسب طريقة (Farag *et al.*, 1993) وذلك بإضافة 10 جرام من مسحوق البذور إلى 200 مل من مذيب الكلوروفورم ، ثم وضعت في الجهاز الهزاز بسرعة 100 دورة في الدقيقة تحت درجة حرارة الغرفة لجعل المستخلص أكثر تجانساً على ثلاث فترات زمنية مختلفة (24 – 48 – 72 ساعة) ، بعد ذلك أخذت المستخلصات الناتجة ، وتم تبخير كل منها على حِدَة باستخدام جهاز التبخير Rotary evaporator ، ثم جفف الراشح في الفرن الكهربائي بدرجة 40 درجة مئوية لغرض الحصول على المادة الخام الجافة على هيئة مسحوق ، ثم بعد ذلك أُخذ مقدار 2 جرام من المادة الخام الجافة وأذيبت في 100 مل من (ماء مقطر مرتين) بحيث يصبح تركيز المحلول الأساسي 2% أو ما يعادل 20 ملغم / مل .

اختبار التراكيز المثبطة الدُنيا *Test minimum inhibitory concentrations* :

حُددت التراكيز المثبطة الدُنيا لمستخلصات بذور الخردل الأبيض ضد الأنواع البكتيرية المستخدمة في هذه الدراسة حسب طريقة (National Committee for clinical Laboratory Standards) حيث حضر محلول من كل مستخلص وذلك بإذابة 10.25 ملجم من المستخلص في 4 مل من المذيب Di methyl sulfoxaid (DMSO) وحضرت سلسلة من التخافيف المتتابعة Serial dilutions على النحو التالي :

(128، 64 ، 16، 8 ، 4 ، 2 ، 1 ، 0.5 ، 0.25 ، 0.125 ، 0.06 ، 0.03) مايكرو جرام / مل ، ثم مُزج 1 مل من كل تخفيف من التخافيف السابقة مع 9 مل من وسط Muller Hintion Agar (MHA) الملقح بمُعلق بكتيري لكل نوع من أنواع البكتيريا المختبرة على حِدَة بتركيز $10^6 \times 1$ خلية بكتيرية / مل حسب ما ذكر (Colle *et al.*, 1996) ، ثم بعد ذلك تم تحضين الأطباق في درجة حرارة الغرفة لمدة 24 ساعة وسجلت بعد ذلك النتائج وحدد التركيز المثبط الأدنى لكل مركب .

المعاملة بالمستخلص Treatment by abstract:

جرى تحضير 120 طبق بتري معقم يحتوي كلاً منها على الوسط الغذائي Muller Hintion Agar وحُضر حسب تعليمات الشركة المنتجة له (Freitas & Silve 2000) ، لُقح الوسط الغذائي بـ 0.1 مل من المعلق البكتيري تركيزه $10^6 \times 1$ خلية بكتيرية / مل . نُشر بعد ذلك باستخدام ناشر زجاجي Glass spreader ، تُركت بعدها الأطباق لمدة 40 دقيقة ثم حُفرت أربع حفر بقطر 8 ملم لكل حفرة باستخدام ثاقب زجاجي معقم وأضيف 100 ميكرون من المستخلص النباتي تركيزه 0.10 ملغ/ مل في كل حفرة باستخدام الماصة الدقيقة Micropipette ، حُضنت جميع الأطباق في درجة حرارة 37 درجة مئوية ثم أُختير 30 طبق من كل نوع بكتيري وقيس قطر منطقة التثبيط وقورنت النتائج مع نتائج التأثير التثبيطي للمضاد الحيوي أمبيسيلين Ampicillin كمضاد حيوي للبكتيريا الموجبة وكذلك مضاد السيفاتكسين Cephataxin كمضاد حيوي لجميع الجراثيم (Yoon *et al.*, 2007) .

اختبار تحديد السُمّية الخلوية Testing to determine the cellular toxicity :

تم تحديد السمية الخلوية Cytotoxicity لمستخلصات بذور الخردل الأبيض وذلك بحسب ما ذكر (Xian *et al*., 1994) ، إذ حضر محلول رينجر الفسيولوجي Ringer solution المعقم ، وذلك بإذابة 0.9 جم من كلوريد الصوديوم (NaCl) مع 0.09 جم من كلوريد البوتاسيوم (KCL) مع 0.024 جم من كلوريد الكالسيوم ($CaCl_2$) و 0.03 جم من بيكربونات الصوديوم ($NaHco_3$) و 0.2 جم جلوكوز في 100 مل من الماء المقطر . تم إضافة 18 مل من محلول رينجر الفسيولوجي إلى 2 مل من دم مسحوب من إنسان ثم حضرت التخافيف التالية (1:1 ، 1:10 ، 1:100 ، 1:1000) للمستخلصات باستخدام ماء مقطر ، ثم وضع 0.8 مل من كل تخفيف في أنبوبة اختبار معقمة وأضيف لكل أنبوب 0.2 مل من الدم ليصبح الحجم الكلي لكل أنبوب 1 مل ، بعد ذلك حُضنت الأنابيب في الحاضنة بدرجة حرارة 37 درجة مئوية ثم تركت لمدة 72 ساعة لملاحظة التحلل الدموي Haemolysis .

النتائج والمناقشة *Results & Discussion*

أشارات النتائج المدونة في الجدول (1) إلى مدى تأثير وفعالية المستخلص البذري على عموم الأطباق البكتيرية حيث تم إعداد 120 طبق بتري كما ذُكر سلفاً واختير منها 90 طبق لإجراء الاختبار أي 30 طبق لكل نوع بكتيري ، فكان متوسط عدد الأطباق الذي تأثر تثبيطياً بالمستخلص على بكتيريا *Staphylococcus aureus* 22 طبق تقريباً وعلى بكتيريا *Escherichia Coli* 27 طبق تقريباً ، أما فيما يتعلق ببكتيريا *Listeria monocytogenes* فقد بلغ متوسط عدد الأطباق التي تأثرت بالمستخلصات 26 طبق تقريباً، وهذا يرجع في حقيقة الأمر لعدم نمو مجموعة من الأنواع البكتيرية في بعض الأطباق وفساد البعض الآخر من جراء التلوث Contamination .

جدول (1) : يوضح فعالية المستخلصات المحضرة وعدد الأطباق البكتيرية التي أبدت استجابة تثبيطية

البكتيريا	عدد الأطباق المختبرة	عدد الأطباق التي أبدت استجابة للمستخلصات			المتوسط
		مستخلص 24 س	مستخلص 48 س	مستخلص 72 س	
Staphylococcus aureus	30	20	23	23	22
Escherichia Coli	30	28	28	26	27
Listeria monocytogenes	30	28	26	26	26

حيث س : ساعة .

يوضح الجدول (2) نتائج التأثير المثبط للتراكيز الدُنيا للمستخلصات الثلاثة (24 ، 48 ، 72 س) لبذور الخردل الأبيض حيث أظهر المستخلص الأول

تركيز مثبط أدنى ضد البكتيريا *St. Aureus* والبكتيريا *E. Coli* والبكتيريا *Li. Monocytogenes* بلغ 2.0 ، 2.0 ، 3.0 مايكرو جرام / مل على التوالي ، في حين قلت نسبة التراكيز المثبطة المنخفضة لمستخلص الـ 48 ساعة لتكون 0.5 ، 0.5 عند اختبارها على البكتيريا *E. Coli* والبكتيريا *Li. Monocytogenes* ، فيما لم تتغير نسبة التركيز المثبط الأدنى للمستخلص عند اختباره على بكتيريا *St. Aureus* *والبالغة* 3.0 مايكرو جرام / مل .

وقد زاد التركيز المثبط في الانخفاض عند استخدام مستخلص الـ 72 ساعة ليصل إلى 0.25 ، 0.125 ، 0.25 مايكرو جرام / مل على التوالي .

ويُعزي ظهور هذه النتائج إلى أن المركبات الفعالة والتي ورد ذكرها في فقرات سابقة والتي يحتوي بعضاً منها على مجاميع هيدروكسيل حرة ومتعددة يزداد تركيزها بزيادة الرج وبتالي تكون مقدرتها التثبيطية قوية حتى في أدنى تركيزها ، وهذا يتفق مع ما خلُص إليه (حسين 1981م)، في حين أن التقليل من زمن الرج يساعد على تكوين أواصر هيدروجينية بين مجاميع الهيدروكسيل الحرة والمتعددة للمستخلص مع مجاميع الكبريت للبروتينات الموجودة في بذور الخردل مما يؤدي إلى تغير طبيعة البروتينات الخلوية التي تساعد على ترسيب مجاميع الهيدروكسيل وبتالي تفقدها جزء من قدرتها التثبيطية عندما تكون تراكيزها منخفضة وهذا يتوافق مع ما بينه (Feeny, 1998).

جدول (2) : يوضح التراكيز المثبطة الدُنيا للمستخلصات المنوطة بالدراسة .

البكتيريا	مستخلص 24 س	مستخلص 48 س	مستخلص 72 س
Listeria monocytogenes	2.0	0.5	0.25
Escherichia Coli	2.0	0.5	0.125
Staphylococcus aureus	3.0	3.0	0.25

حيث س : ساعة .

أما الجدول (3) فيوضح أن مستخلصات بذور الخردل الأبيض أبدت تأثيراً مثبطاً بنسب متفاوتة ضد الأنواع البكتيرية الداخلة في هذه الدراسة ، وكان التأثير التثبيطي الأقوى لمستخلص 72 ساعة في حين كان التأثير التثبيطي الأضعف لمستخلص 24 ساعة ، ويرجع ذلك إلى أن تركيز المواد الفعالة أو المؤثرة على الأنواع البكتيرية قد زاد بنسبة أكبر في مستخلص 72 ساعة منه في مستخلص 24 ساعة وهذا يتفق مع ما ذكره Youssef, (1995). أما محلول الـ 48 ساعة فقد مثل الحالة الوسطية من حيث التأثير ، ويرجع السبب في هذا التأثير التثبيطي إلى أن المواد الفعالة المستخلصة من البذور محل الدراسة ومن اشهرها القلويات والفلافونويدات والفينولات والجلايكوسيدات كما ذكر (Abdul-Rahman, 1995) تلعب دوراً أساسياً في عملية تثبيط تخليق البروتين Protein synthesis أو في التأثير على نفاذية Permeability الجُدر الخلوية للخلايا البكتيرية كما وأن لها قدرة على تحليل الحامض النووي DNA وهذا يتوافق مع ما ذكره (Desta, 1993).

جدول (3) :

يوضح فعالية المستخلصات ضد أنواع البكتيرية ومقارنتها مع تأثير نوعان من المضادات الحيوية .

اسم البكتيريا	مستخلص 24 س	مستخلص 48 س	مستخلص 72 س	Ampicillin	Cephataxin
Listeria monocytogenes	9	19	25	42	18
Escherichia Coli	11	20	25	--	28
Staphylococcus aureus	7	15	30	34	20

قطر التثبيط مقاس بوحدة (ملم) . حيث س : ساعة .

أما من ناحية السُمية فلم تُظهر المستخلصات الثلاثة أي سمية خلوية تذكر عند اختبارها على دم الإنسان . حيث أنها لا تسبب تحلل كريات الدم أو أي تغير أخر ملحوظ على عينة الدم وذلك خلال فترة الاختبار التي تُقدر بحوالي 72 ساعة ، وهذا يتوافق مع ما ذكرته منظمة الصحة العالمية World Health Organization (WHO) في إحدى تقاريرها الصادرة في عام 2000 .

References

1. **أبوزيد ، الشحات نصر** (1988م) . النباتات العطرية ومنتجات الزراعية والدوائية . الدار العربية للنشر والتوزيع القاهرة ، مصر .
2. **حسين ، فوزي طه قطب** (1981م) . النباتات الطبية ، زراعتها ومكوناتها . دار المريخ للنشر ، الرياض ، السعودية .
3. **رياض ، نجيب** (1969م) . الطب المصري القديم . دار الكرنك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
4. **سلامة ، فوزي محمود** (1994م) . تصنيف النباتات الزهرية . الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
5. **منصور ، عثمان محمد** (1990م) . المستخلص في الطب النباتي والطبيعي . دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

1. **Abdul-Rahman, G.Y.**(1995)Effect of some medicinal plants and chemicals on the growth of pathogenic bacteria. j. ver. Sci. 8 (2): 101-108
2. **Al-delaimy , K.S. and Ali, S. H.** Antibacterial action of vegetable extracts on the growth of pathogenic bacteria . J . vet . Sci . Food agric. ,21, 110 – 112 .
3. **Colle, J., Fraser , A., Marmion , B., and Simmans .A. Mackie and Mc- Cartney**. (1996). Practical medical microbiology . 14th ed . Churchill Livingston . New York , USA. 978 pp.
4. **Desta**. **B.** (1993). Ethiopian traditional herbal drugs : Antimicrobial activity of 63 medicinal plant. J . Ethnopharmacol., 39 : 129 – 139 .
5. **Farag, I. A., El-Maraghy , S. M. and Mustafa, M. E.** (1993). Antimicrobial activity of some essential oils from spices. Qatar university Sci. J. 1, 63-69 .
6. **Feeny, P**. (1998) . Inhibitory effect of Oak Leaf tannins on the hydrolysis of proteins by trypsine. J . Phytochemistry , 8 : 2119- 2126.
7. **Freitas, F. C., Silva, G. L.** (2000) . Antimicrobial activity of plant extracts and photochemical on antibacterial resistance bacteria Braz, J . Microbial 31(4) : 21- 30
8. **Kelmanson, J. E., Jager, A. K. and staden, J. V. Zulu .(2000).** Medicinal plants with Antimicrobial activity . J . Ethno phar., 69 : 241 – 246 .
9. **National Committee for clinical Laboratory Standards .** (1997) . Methods for diluition antimicrobial susceptibility tests for bacteria that grow aerobically . Approved standard **.** M7 – A4 **.** National committee for clinical Laboratory standards . Wayne . PA. USA.

10. **World Health Organization (WHO) .** (2000) . Guidelines for levels and kinds evidence to support claims for therapeutic goods ; WHO Geneva. Annex, V., P. 39 – 45 .
11. **Xian – guo, H. and Ursella, M.** (1994). Antifungal compounds from solanu nigrescens. J. Ethnopharm.,43: 173 - 177 .
12. **Yoon, Y., Belk, K. E., Smith, G. C., and Sofos, J. N.** (2007) . Antimicrobial activity of epsilon – polylysin against E. Coli , Salmonella typhimurium and Listera monocytogenes in various food extracts. J. of food Sci. 72 (8): M330 -4 .
13. **Youssef, M. S.** (1995). Mycoflora and mycotoxin of some medicinal plants and their Antimicrobial acivities in Egypt. Ph . D. Thesis, fac. Sci. Sohag, South Valley Univ. Egypt.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

Antagonistic determination of *Streptomyces spp* bacteria against fungi

Faeza .O .M. Teab

(Biology Department, Faculty of Science, Tobruk University, Tobruk, Libya)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

Antagonistic determination of *Streptomyces spp* bacteria against fungi

Abstract

In attempt to find new organisms that have the ability to produce antibiotics for fungi biological control usage , in this study used isolated bacteria which belongs to ***Streptomyces spp*** from cultivated soil which collected from plant root region in Tobruk district , the soil samples were Dark brown and black , the soil was sandy clay loam with proximately pH 7.13- 7.29 . The physiological and morphological characterise for ***Streptomyces*** isolated samples were studied According to (Sharling & Gottlieb 1966),where isolates showed colour properties to areal mycelia and the colours were grey 40% , white 20%, yellow 20% and green 20%. The most of isolates showed inability to produce soluble pigment, the isolates were tested to show the ability to produce antifungals to prevent the growth of unicellular fungi and filament fungi as ***Candida***, ***Rhizopus***, ***Mucor***, ***Phoma, Aspergillus***, and ***Trichoderma.***

The results showed the ability of ***Streptomyces*** isolates to produce anti-material against tested fungi samples which used in this study.

Introduction

Fungi is grown in nature like huge mycelia which cannot be imagined, where found fungal colony belongs to ***Armillaria bulbosa*** that covered about 30 acre in Michigan jungle in USA ,thulls estimated weight of about 10 tons…(6)

Fungi play an important role in the environment and our daily life which is useful as the decomposition of dead organisms also the extraction of many materials that use in Food and pharmaceutical industries and harmful roles as the Corruption of wood products, leather, cloth and Food in addition it produces mycotoxins that causes poisoning to human …..(9)

Some fungi can cause diseases as Tinea which is caused by ***Epidermophyton , Microsporus , trichophyton , floccosum*** , some of fungi attacks the epidermis like ***Candidiobolus, Basidiobolus*** and some of them afflict the lung as ***Aspergillus fumigatus***…..(6)

Streptomyces species have metabolically divers and have the ability to consume the most of sugars compound , alcohols , amino acids , organic acids, Aromatic compound , this as rustle of its ability to produce Extracellular hydrolytic enzymes for that the bacteria known as bioremediation because its ability to produce different antibiotics as Chloramphenicol, Streptomycin , Neomycin and Tetracycline against pathogenic bacteria and fungi …..(11)

Streptomyces spp used in biological control to protect many of agricultural crops from fungi for that it uses in many researches in USA and it is considered to be EPA-registered…..(10)

Material and Methods.

The soil samples were collected from cultivated land near to roots after removing the outer layer , the samples were taking from depth 3-5 cm and kept in plastic bags then it taked to the laboratory where the sample turned to powder by using pestle morter , soil suspension was prepared by taken (1 soil :5 DW) and the pH was determined , 1\1000,000 diluted solution of soil samples was prepared, then 0.1 ml of it was taken to be put on 4 plates of Inorganic salts starch agar media which is selective media for ***Streptomyces*** bacteria the plate was incubated on 28 C° for 3-4 days to identify ***Streptomyces*** colonies according to Bregey's manual book and Sharling and Gottlieb 1966 after identification of ***Streptomyces*** colonies the pure colonies were growing on anther plates from the same media by streaking method .

The pure colonies of ***Streptomyces*** were growing on Oatmeal agar media to study the colour characters and physiological characters according to Sharling and Gottlieb 1966 method.

The pour ***Streptomyces*** colonies were growing on starch casein agar media , starch casein broth media and nutrient agar media individually , the agar media was incubated in incubator whereas the broth media was incubated on shaker on 125rpm for 3-4 days to determine the effectiveness antagonistic of ***Streptomyces spp*** against fungi . Antagonism experiments were used by diffusion technique in different two ways (agar disc antagonistic and agar well antagonistic). (Egrov 1985)

The media plates with tasted fungi were incubated on 28-30 C° for 24-72hr, inhibition zone was observed and diameter of it was determined as (++) active and anti-produced, (+) anti-produced, (±) weak ,(-) non anti-produced.

Result and Discussion

the samples were described according to standard to soil ,where the soil samples which collected were brown to black , sandy clay loam and dark brown , sandy clay with ph between 7.13- 7.29 as shown in table (1).

According toSharling & Gottlieb (1966) the plate that contain 50-100 colonies were chosen and the ***Streptomyces spp*** were isolated based on external characters which is whole colony , colony edge ,colony surface, then five isolates were chosen and were pureed as shown in Table (2)

Table (3) show the morphological characteristics study was according to Sharling & Gottlieb (1966), whereas the areal mycelia was white 20%, yellow 20%, green 20% and grey 40% . Substrata mycelium was dark brown, yellow, light brown, also was noticed that some isolates were produced to soluble pigment.

Antagonistic of ***Streptomyces spp*** isolates which grown on starch casein agar and tasted by using agar disc method presented effective on tested fungi and were

more effective on ***Aspergillus sulph***, ***Candida*** as illustrated in Table (4), we find the ***Streptomyces spp*** isolates which grown in Nutrient broth more effective than isolates in starch casein broth ,recorded a higher results on ***Candida , Mucor*** as shown in Table (6).if we compared with the results in Table (5).

Conclusion

Through this study some effective strains of ***Streptomyces*** were isolated, these strains have the ability to produce anti-substance which can be used to develop new and effective antibiotics especially that fungi day by day became more resident to antibiotics. We recommended to go ahead in these study to develop a new effective substance against fungi.

Table (1) Soil sample characteristic.

Soil sample	Colour		pH
1	Brown to Black	Sandy clay loam	7.13
2	Dark brown	Sandy clay	7.29

Table (2) ***Streptomyces spp*** isolates.

Soil sample	Number of isolates	Strain series number
1	5	1-1A,1-2A,1-2B,1-4B,1-3C
2	5	2-1,2-2,2-3,2-4,2-1+

Table (3) Morphological characteristics of ***Streptomyces spp*** isolates which grown on Oatmeal agar media.

Streptomyces spp isolates	Spore colour	Substart mycelium colour	Soluble pigment
1-1A	Grey -brown	Dark brown	Light brown produced
1-2A	Grey	Light brown	No- pigment
1-2B	White	Light yellow	No- pigment
1-4B	Yellow-green	Light brown	No-pigment
1-3C	Yellow-green	Dark brown	Light brown produced

Table (4) Antagonistic of ***Streptomyces spp*** which grown on Starch Casein Agar against tested fungi.

Streptomyces isolates	Tested fungi							
	Mucor	***Candida***	***Phoma***	***Rhizopus***	***Aspergillus niger***	***Aspergillus sulph***	***Aspergillus ochraceus***	***Tricho-dermia***
1-1A	-	±	+	-	-	+	-	-
1-2A	-	+	-	±	-	+	-	-
1-2B	-	+	+	-	-	+	-	-
1-4B	+	+	-	+	-	+	+	-
1-3C	-	-	+	-	-	-	-	-
2-1	-	+	-	-	-	+	-	-
2-2	-	±	-	-	-	+	-	-
2-4	-	-	±	-	-	-	-	-

Table (5) Antagonistic of Streptomyces spp which grown on Starch Casein Broth against tested fungi.

Streptomyces isolates	Tested fungi							
	Mucor	***Candida***	***Phoma***	***Rhizopus***	***Aspergillus niger***	***Aspergillus sulph***	***Aspergillus ochraceus***	***Tricho-dermia***
1-1A	-	+	-	-	-	-	+	-
1-2A	-	++	-	+	-	-	-	-
1-2B	-	++	-	-	-	+	-	±
1-4B	-	-	-	+	-	-	-	-
1-3C	-	+	+	-	-	-	-	-
2-1	-	++	-	-	-	-	±	-
2-2	+	+	+	-	-	-	+	-
2-4	+	±	+	-	-	-	±	-

Table (6) Antagonistic of Streptomyces spp which grown in Nutrient Broth against tested fungi.

Streptomyces isolates	Tested fungi							
	Mucor	***Candida***	***Phoma***	***Rhizopus***	***Aspergillus niger***	***Aspergillus sulph***	***Aspergillus ochraceus***	***Tricho-dermia***
1-1A	-	+	-	-	-	-	-	-
1-2A	-	-	-	-	-	-	-	-
1-2B	-	-	-	-	-	±	-	-
1-4B	±	±	-	-	-	-	-	-
1-3C	-	+	±	-	-	-	-	-
2-1	-	+	-	-	-	-	-	±
2-2	±	+	-	-	-	-	-	-
2-4	±	±	-	-	-	-	-	-

References

1. Abdull, K.A.(1997) Distribution of ***Streptomyces*** color series in some non-cultivated Iraqi soil and their antibiotic activity against gram –negative bacteria , Thesis Yarmouk University.
2. Jonesc, R. and Samas , D.A(1996) Biological control on fungi causing alfalfa damping –off with a disease suppressive srain of ***Streptomyces*** . Bio.Contr . 17:196-204
3. Murray P. R. ,Roserenthal, K. S., Kobayashi, G.S and Pfaller, M. A. (1998) Medical Microbiology 3rd.edit.Mosby, Inc.
4. Mcspadden gardener, B. B., and Fravel ,D. R(2002) Biological control of plant pathogenic: J plant monoyement network
5. Stranier R. Y.,Adelberg, E. A. and Ingraham ,J.C (1983) General Microbiology 4th .edit. published by the Macmillan press Itd Hong Kong:(674-676).
6. Sharling E. B. and Gottileb, D. (1966) Methods for Characterization of Streptomyces species int. J. syst. Bacterial. 16: 313- 340.
7. ***Streptomyces***, Microbiology and Immunology : Microbiology video Library Streptomyces 1.htm internet.

7- احسان محاسنة (1992) العلوم الحياتية الجزء الثاني، الطبعة الاولى، دار الشروق للنشر والتوزيع.

8- أياد محمد على فاضل (1996) دراسة فسلجية ووراثية لبكتيريا المنتجة Streptomyces للمضادات الحيوية المعزولة محليا، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم.

9- رمضان الهلوب (2002) المكافحة الحيوية للحشرات الضارة، مجلة البيئة، العدد التاسع، ص (16-17).

10- فاروق العاني (1989) علم البكتيريا، الطبعة الاولى، مطبعة التعليم العالي، بغداد ص (25 – 36).

11- هدير عبد الجبار (1996) دراسة وراثية على عزلات محلية من بكتيريا Streptomyces با ستخدام خلايا منزوعة الجدار، جامعة بغداد.

12- محمد على احمد (1998) عالم الفطريات, الطبعة الاولى , الدار العربية للنشر و التوزيع. ص (38-42).

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

دور الأخصائي الاجتماعي في رصد بعض حالات العنف الممارس من الوالدين نحو أبنائهم - دراسة ميدانية على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس مدينة البيضاء الأبتدائي

د. عبدالكريم علي مصطفى.

(أستاذ علم الاجتماع المساعد بقسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة عمر المختار - البيضاء - ليبيا)

دور الأخصائي الاجتماعي في رصد بعض حالات العنف الممارس من الوالدين نحو أبنائهم - دراسة ميدانية على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس مدينة البيضاء الأبتدائي

ملخص:

تشكل ظاهرة العنف مشكلة كبيرة، تؤرق الأفراد والمسؤولين على حد سواء، ويبدأ العنف من المنزل لينتقل إلى الشارع، ثم يقتحم أسوار المدرسة، والمدرسة ليست هي الوحيدة المسئولة عن تفشي هذه الظاهرة وليس لنا أن نقف عن رصد أو تحديد إشكالية، بل الإسراع في معالجتها خاصة بعد إن ارتفعت حدتها وامتداد تأثيرها إلى الصفوف المدرسية في أشكال متنوعة أثرت على دينامية العلاقات بين طرفي العملية التعليمية، على اعتبار أن سلوك أي طرف يؤثر بالطرد عن الطرف الأخر، ويتأثران معاً بالمناخ السائد في البيئة الصفية . وبناء على ذلك قد تم اختيار موضوع البحث رصد الأخصائي الاجتماعي لظاهرة العنف الأسري، وأسبابه وإخضاع هذا الموضوع للدراسة لما له من انعكاسات خطيرة على العملية التعليمية والأسرة على حد سواء ولهذا جاءت هذه الدراسة الوصفية الميدانية لسبر أغوار هذه المشكلة والوقوف عليها، ومحاولة وضع الحلول الناجعة لها والحد منها.

الكلمات المفتاحية: العنف - العنف الأسري - الأخصائي الاجتماعي - الأخصائي الاجتماعي المدرسي.

Abstract:

The phenomenon of violence is a big problem, haunt individuals and officials alike, the violence begins from the house to move to the street, and then break into school, the school is not only responsible for the spread of this phenomenon and we do not have to stand for monitoring or identify the problem, but to accelerate the private addressed after the intensity increased and the extension of its influence to the classroom in a variety of forms influenced the dynamic relations between the parties to the educational process, on the grounds that any party to affect the behavior of expulsion from the other party, and influenced by the prevailing climate together in the classroom environment. Accordingly has been chosen research topic monitor the social worker to the phenomenon of domestic violence, its causes and to subject the subject to study because of its serious repercussions on the educational process and family alike and this came descriptive field to explore the depths of this problem and to stand by the study, and try to develop effective solutions and reduction.

مقدمة:

إن العنف ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان، ونخشى أن تكون أكثر تدمير للبني الاجتماعية والعلائقية إذ لم يتضاعف الاهتمام بها والتصدي لها خاصة وأن عدوى الانتشار في تسارع ينبأ بعواقب بالغة الأثر عن أنساق العلاقات الاجتماعية والقيم الشائعة .

فالعنف يبدأ من المنزل لينتقل إلى الشارع، ثم يقتحم أصوار المدرسة، والمدرسة ليست هي الوحيدة المسئولة عن تفشي هذه الظاهرة وليس لنا أن نقف عن رصد أو تحديد إشكالية، بل الإسراع في معالجتها خاصة بعد إن ارتفعت حدتها وامتداد تأثيرها إلى الصفوف المدرسية في أشكال متنوعة أثرت على دينامية العلاقات بين طرفي العملية التعليمية، على اعتبار أن سلوك أي طرف يؤثر بالطرد عن الطرف الأخر، ويتأثران معاً بالمناخ السائد في البيئة الصفية . وبناء على ذلك قد تم اختيار موضوع البحث رصد الأخصائي الاجتماعي لظاهرة العنف الأسري، وأسبابه وإخضاع هذا الموضوع للدراسة لما له من انعكاسات خطيرة على العملية التعليمية و الأسرة على حد سواء .

وقد جاء محتوى هذه الدراسة في ثلاثة مباحث ألأول موضوع الدراسة وتضمن:إشكالية الدراسة وأهميتها وأهدافها والدراسات السابقة والتساؤلات والثاني الإطار النظري للدراسة وتطرق إلى التعريف بالعنف الأسري والأخصائي الاجتماعي،والتركيز على دور الأخصائي الاجتماعي المدرسي بشكل خاص،والمبحث الثالث وهو الدراسة الميدانية ليشمل:منهجية الدراسة وأساليبها الإحصائية،ووصف العينة وتحليل النتائج التي تم جمعها عن طريق استمارة الاستبيان.

المبحث الأول (موضوع الدراسة)

إشكالية الدراسة:

العنف ضد الأطفال وإهمالهم مشكلة ذائعة الانتشار في كل المجتمعات،فالطفل في أي عمر أو جنس أو دين ومن أي خلفية اقتصادية أو اجتماعية يمكن أن يصبح ضحية للعنف والإهمال، وتقدم وسائل الإعلام شواهد تلقي الضوء على المظاهر المثيرة للعنف الأسري تتضمن أطفال يتعرضون للقتل، والحبس أو التشويه،وأطفال يتعرضون للضرب أو يتخلى عنهم آبائهم، وكذلك أطفال في عمر المدرسة يتعرضون للعنف الجنسي، ورغم أن هذه الأحداث تجذب انتباه العالم وتعاطفه مع هؤلاء الضحايا؛إلا مشكلة العنف الأسري قد أصبحت مشكلة أكثر تعقيداً في السنوات الأخيرة حيث تشير التقارير الإحصائية إلى أن عدد الأطفال ألمساء إليهم يفوق ما يتصوره المهتمون، وغير المهتمون بكثير.

وتتزايد مشكلات العنف بشكل ملحوظ في المجتمعات جميعها لأسباب متباينة بعضها ثقافي متعلق بالعادات والقيم السائدة في المجتمع، ثم منها ما يتعلق بالظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع(بوزبون، 2004:34)

وبهذا نقول أن العنف الأسري جزء من العنف العام الموجود في المجتمعات البشرية؛إلا أنه قد حظي باهتمام خاص وتحديداً في السنوات الأخيرة نظراً إلى استفحال هذه الظاهرة الخطيرة التي شغلت اهتمام المؤسسات والمنظمات الدولية. (الجابر،2005:36)

ولا يخفى على أحد أن تلاميذ المدارس وعلى وجه الخصوص المراحل الأساسية يتسبب لهم العنف ف أضرار كبيرة كونه يؤثر على تحصيلهم الدراسي بشكل سلبي، وهذا

بدوره ينعكس على المجتمع عموماً، بالإضافة إلى أن صغر سنهم لا يمكنهم بالبوح والإفصاح للآخرين عما قد يتعرضون إليه من أذى أو تعنيف؛ لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة للتعرف على الدور الذي يمكن أن يلعبه الأخصائي الاجتماعي في المدرسة بصفته عاملاً مهماً وفاعلاً في القدرة على رصد هذه الظاهرة، وطريقة التعامل معها فهو بحكم معايشته شبه اليومية مع هؤلاء التلاميذ يمكن له باستخدام أسلوب الملاحظة، والمتابعة أو بما يحول إليه من حالات لأي سبب كان أن يرصد معدلات العنف المُمارسة من قبل الوالدين تجاه أبنائهم لذلك جاءت هذه الدراسة التي تحاول طرح الموضوع الأتي:دور الأخصائي الاجتماعي في رصد بعض حالات العنف المُمارس ضد تلاميذ المرحلة الابتدائية"دراسة وصفية على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس مدينة البيضاء بليبيا"

أهمية الدراسة:

1- جاءت أهمية الدراسة من كونها تتناول دراسة ظاهرة العنف بصفة عامة والعنف الأسري بصفة خاصة، والذي يعتبر من أكثر أنواع العنف شيوعاً لما له من اثأر خطيرة على الفرد و الأسرة والمجتمع .

2- إلقاء الضوء على الجوانب الاجتماعية التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة العنف والتي بدورها تنعكس سلباً على المدرسة والأسرة مما يعبق أدوارها .

3- قلة الدراسات والبحوث الموجودة عن العنف والعنف الأسري خاصة.

4- هذا البحث يمكن أن يفيد المتخصصين للتعرف على بعض الأسباب الكامنة وراء السلوكيات داخل الأسرة وانعكاسها عن المؤسسات التربوية .

أهداف الدراسة:

تأتي أهداف الدراسة من كونها تتناول دراسة العنف الأسري، والذي يعتبر من أكثر أنواع العنف شيوعاً وأكثرها ضرراً على الفرد والمجتمع لما له من أثار خطيرة على البنية الاجتماعية والنفسية للفرد،بالإضافة للتعرف على دور الأخصائي الاجتماعي والمتعلق برصد هذه الظاهرة بحكم وظيفته،ويمكن تحديد هذه الأهداف في:

- التعرف على مؤشرات العنف الأسري الممارس ضد الأطفال وبشكل خاص تلاميذ المدارس في مرحلة التعليم الأساسي.

- التعرف على أكثر أنماط وأشكال العنف الأسري انتشاراً أو ممارسة ضد هذه الفئة .

- التعرف على أكثر الفئات عرضة للعنف حسب النوع.

-التعرف على الآثار التي يتركها العنف الأسري على الفرد والأسرة والمجتمع.

مفاهيم الدراسة:

1- العنف: هو ذلك السلوك المقترن باستخدام القوة الفيزيائية وهو ذلك الفيروس الحامل للقسوة والمانع للمودة، والعنف كما عُرف في النظريات المختلفة هو كل تصرف يؤدي للأذى بالآخرين، قد يكون الأذى جسمياً أو نفسياً كمثل الاستهزاء أو السخرية من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة، جميعها أشكال مختلفة للظاهرة نفسها و يُعرف العنف الأسري بأنه سلوك منحرف هدام ويعتبر مشكلة اجتماعية تهدد أمن الفرد والجماعة (منير، 1984:107)

ويمكن تعريفه في هذه الدراسة:

هو استخدام القوة المادية أو المعنوية لإلحاق الأذى بأحد استخداما غير مشروع ضد أحد الأبناء من قبل والديه.

2- الأخصائي الاجتماعي: هو شخص له خصائصه ومميزاته وذو رغبة في التعامل مع الأفراد، لديه القدرة المبنية على ممارسة علمية ويكون مؤهلاً أكثر من غيره لاكتشاف ومعالجة العنف الأسري، وربط السلوك الاجتماعي بالمتغيرات الأسرية الاجتماعية (كيرتي، 1962: 300).

ويمكن لنا أن نعرفها في هذه الدراسة بأنه: صاحب رسالة إنسانية ودوراً نبيلاً في مساعدة الأفراد، ويكون ممن يتحملون مسؤولية العمل الاجتماعي بروح الصبر، وملتزماً بقواعد العفة والنزاهة والإخلاص، وتتسم مهنته بالاستمرار والشمول والانتشار وتسعى إلى سعادة الإنسان ورفاهيته، ودعم علاقاته مع الآخرين وكل ذلك في دوره كأخصائي اجتماعي يقوم بدوره داخل المدرسة.

الدراسات السابقة:

دراسة الشهري والمقرجي "2009": تقترح إيجاد إستراتيجية وطنية لمواجهة العنف الأسري في المملكة السعودية انطلاقاً من خطورته على المجتمع واتساع رقعته وأهميته وإبرازه، وتقوم هذه الإستراتيجية على ثلاث مراحل، **أولها:** المعالجة الإنمائية بتوفير الأجواء النفسية والحياة فيها، **ثانيها:** المعالجة الوقائية للتعرف على الأسباب والعوامل المؤدية للعنف الأسري والاكتشاف المبكر لها بغرض إزالتها، **وثالثها:** المعالجة الإرشادية بتقديم الخدمات والمساعدات الإرشادية بمختلف أنواعها لمواجهة العنف الأسري كمشكلة نفسية واجتماعية ووطنية، على أن يتم تطبيق هذه الاستراتيجيات من خلال المؤسسات الحكومية والأهلية بتكوين لجان وجمعيات لهذا الغرض بالتنسيق بين وزارت التربية والتعليم والشؤون الاجتماعية والإعلام والجامعات وتطبيق برامج الإرشاد النفسي لطلاب والطالبات والآباء والأمهات لتصل إلى الأسر ذاتها بما يسهم للتصدي لمشكلة العنف الأسري .

من خلال الاطلاع على هذه الدراسة يستنتج منها وجود مشكلة العنف الأسري في البيئة الاجتماعية السعودية وأن كانت لم ترق إلى مستوى الظاهرة وتحتاج بالفعل إلى التصدي والمواجهة وتفعيل العديد من الإجراءات لتحجيمها والتغلب عليها (الشهري، 2004).

دراسة قام بها مركز رؤية للدراسات الاجتماعية "2008" في محافظة الرسن بمنطقة القصيم عن العنف الأسري في المملكة: مظاهره وأسبابه ونتائجه وطرق مواجهته وقد هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أنواع العنف الشائعة والمعروفة في المجتمع وما ينجم عنها من أثار سلبية وطرح أساليب علاجية للمشكلة حيث أشارت النتائج إلى أن معظم أنواع العنف الأسري الشائعة منتشرة في المملكة يأتي في مقدمتها العنف اللفظي ثم الاقتصادي فالنفسي ثم الاجتماعي والإهمال والحرمان ثم العنف البدني ويليه العنف الجنسي أما العنف الصحي فيقع في المرتبة الأخيرة .

وتقترح هذه الدراسة إدخال مقررات دراسية تشرح معنى العنف وأسبابه في الأسرة والمجتمع والتعامل مع حالات العنف الأسري وتشجيع الطلاب عن الإفصاح عنه داخل أسرهم وكذلك التنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية حول حماية الضحايا (برنامج الأمان الأسري الوطني، 2008).

دراسة سعد الزهراني "2004" دراسة ميدانية عن الإيذاء الأطفال في المجتمع السعودي على عينة من الطلاب الذكور وعددهم 2050طالباً تتراوح أعمارهم بين 10-17عاماً في كل من الرياض ومكة والدمام، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

- وجود ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي، وأن نصف أفراد العينة يتعرضون لصورة من صور الإيذاء في حياتهم اليومية .

- أكثر أنواع الإيذاء هو الإيذاء النفسي حيث بلغت نسبة 70% يليه الإيذاء البدني ونسبة 25.30% ثم الإهمال بنسبة 23.9% .

- أعلى نسبة تعرضت للإيذاء هم الأيتام، يليهم الحالات التي يكون فيها الوالدان منفصلين، ثم التي يكون فيها الوالدان مطلقين، ثم التي يكون فيها الوالدان على قيد الحياة .

- يعاني ضحايا الإيذاء من مشكلة اجتماعية ونفسية وصحية وتربوية .

- وأوصت الدراسة بالاهتمام بتعميم البرامج الوقائية والعلاجية والكشف المبكر عن حالات الاعتداء وكيفية التعامل معها (الزهراني، 2004).

دراسة عبد الله اليوسف وآخرون "2005" دراسة ميدانية عن العنف الأسري في المجتمع السعودي هدفت إلى معرفة حجم وأنواع وأنماط العنف الأسري التي يتعرض لها الأطفال واستخدام في دراسته المنهج الوصفي وتكونت العينة من 369مبحوثاً في مختلف مناطق المملكة أوضحت النتائج أن العنف الأسري غالباً ما يقع في الأسر المفككة بين الطلاق أو وفاة أحد الوالدين، أو إدمان أحد أفرادها وأن أكثر أنواع الإيذاء تقع على الأطفال، وتوصلت الدراسة أيضاً إلى أن أغلب حالات العنف الأسري هو عنف جسدي ونفسي.

دراسة وجيه الدسوقي المرسي"2005"، والتي هدف من خلالها معرفة وحصر بعض المتغيرات الأسرية وعلاقتها بممارسة سلوك العنف لدى طلبة الجامعة المصرية، مستخدماً منهج المسح الاجتماعي الشامل، لمجموعة الطلاب الممارسين لسلوك العنف من طلاب جامعة طنطا وبلغ عددهم (478) طالباً، واستخدم الباحث استمارة استبيان، ومقياس التفكك الأسري بالإضافة إلى مقياس أساليب المعاملة الوالدية السالبة، واختبرت الدراسة جملة من الفروض لقياس العلاقة بين الخلفية الأسرية وممارسة العنف لدى طلبة الجامعة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أثبتت وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين المستوى التعليمي للآباء والأمهات وممارسة سلوك العنف لدى طلبة الجامعة، كما كشفت نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة ارتباطية بين حجم الأسرة وممارسة سلوك العنف لدى طلبة الجامعة، مبررة ذلك إلى أن زيادة حجم الأسرة يترتب عليه بعض الضغوط النفسية والاجتماعية والمادية الأمر الذي يزداد معها إهمال الأسرة لأبنائها خاصة إذا كانت تعاني من انخفاض في المستوى الاقتصادي، وتوصلت هذه الدراسة أيضاً إلى أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الطلاب الممارسين لسلوك العنف في الجامعة وغير الممارسين لهذه السلوك داخل الحرم الجامعي على مقياس التفكك الأسري لصالح الطلاب الممارسين لسلوك العنف. (المرسي، 2006).

سادساً: تساؤلات الدراسة:

- هل هناك عنف أسري ممارس ضد تلاميذ المدارس من قبل والديهم الأخصائي في المدرسة

- هل يختلف العنف الممارس ضد التلاميذ بحسب الجنس .

- هل يؤثر العنف الأسري الممارس ضد تلاميذ على مستوى تحصيلهم الدراسي .
- ما هو أكثر أنواع العنف الأسري الممارس ضد التلاميذ انتشاراً.

المبحث الثاني (الإطار النظري للدراسة)

وسنتناول في هذا المبحث وبشكل نظري أهم محورين رئيسين تقوم عليهما الدراسة وهما العنف الأسري و الأخصائي الاجتماعي المدرسي:

العنف الأسري:

يمكن تعريف العنف الأسري و فهمه وفق الأتي:

"هو كل ما يُعرض المجني عليه للخطر كالقتل أو الإيذاء الجسدي أو المعنوي أو الاعتداء الجنسي أو الإهمال والحرمان المتعمد أو الإيذاء اللفظي الموجه ضد عضو أو أكثر من أعضاء الأسرة ".

وهناك تعريف آخر يطرح العنف الأسري على أنه "حالة يتسبب فيها أحد أعضاء الأسرة في إحداث أذى بدني انفعالي إلى عضو أخر فيها، حيث يستند العضو المؤذي إلى القوة والسيطرة على الضحية " ويكون الإيذاء جسدياً كالصفع والضرب، أو نفسياً كالشتم والتهديد إهمالاً وحرمان من ضرورات الحياة أو جنسياً كالتحرش.

هو أحد أنواع العنف وأهمها وأخطرها وقد حظي هذا النوع من العنف بالاهتمام والدراسة كون الأسرة هي ركيزة المجتمع وأهم بنية فيه، والعنف الأسري هو نمط من أنماط السلوك العدواني والذي يظهر فيها القوي سلطته وقوته على الضعيف لتسخيره في تحقيق أهدافه وأغراضه الخاصة مستخدماً بذلك كل وسائل العنف، سواء كان جسدياً أو لفظياً أو معنوياً، وليس بالضرورة أن يكون الممارس للعنف هو أحد الأبوين وإنما الأقوى في الأسرة (اليوسف وآخرون، 2005: 66).

وعلى ذلك فإن العنف الأسري هو أحد أنواع الاعتداء اللفظي أو الجسدي أو الجنسي والصادر من قبل الأقوى في الأسرة ضد فرداً أو الأفراد الآخرين وهم يمثلون الفئة الأضعف، مما يترتب عليه أضرار بدنية أو نفسية أو اجتماعية.

أهم تصنيفات العنف الأسري:

1- العنف البدني أو الجسدي:

ويتضمن جميع الأساليب العقابية الموجهة للبدن أو الجسم كالضرب بجميع أنواعه والصفع وشد الشعر والدفع والحرق والسحب واللكم والرفس والتنكيل وصولاً إلى قتل الضحية .

2- العنف النفسي أو العاطفي:

ويتمثل في توجيه الشتائم والسب والإهانات والتنابز بالألقاب ويدخل ضمن ذلك السخرية والتهميش والإقصاء للأفراد والضحايا .

3- الإهمال والحرمان: ويتضمن إهمال الفرد وحرمانه من حقوقه كإهمال معالجته وقطع الدواء وعدم متابعة دراسته والإشراف عليه وإهمال رعايته والتخلي عن المسؤولية عنه (البابوسي، 2011: 122).

4- العنف الجنسي:

ويتمثل العنف الجنسي على التحرش بأنواعه المختلفة سواء كان لفظياً أو حركياً أو رمزياً وصولاً إلى العنف الجنسي الموجه لجميع الفئات العمرية من الجنسين .

5- الحبس المنزلي أو انتقاص الحرية:

وهو أمر مرفوض كلياً فيه نوع من أنواع الاستعباد والحبس المنزلي قد يشيع لدى بعض الأسر وذلك اتقاء لشر الضحية لأنه قد بدر منه سلوك مشين في نظر من يمارس العنف .

6- الطرد من المنزل:

إن كان النوع السابق يمارس ضد الإناث، فهذا النوع من العنف يمارس ضد الذكور، وذلك لاعتبارات اجتماعية تميز المجتمعات العربية عن غيرها، وهذا النوع من العنف يعد الطلقة الأخيرة التي يستخدمها الأبوان في تهذيب سلوك الابن.

أسباب العنف الأسري:

يمكن إرجاع العنف السري لأسباب عدة يمكن عرضها وفقاً لما يأتي:

1- ضعف الوازع الديني: عندما يضعف ويتلاشى الوازع الديني لدى رب العائلة أو أفراد الأسرة يؤدي إلى تفككها وتصدعها بما يسهم في نشوء سلوك العنف لدى أفرادها بسبب غياب القيم الدينية وعدم الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية.(سامي، 2011:40)

2- غياب ثقافة الحوار الأسري: أن الأسرة التي لا تعتمد الحوار بين أعضائها بدءٍ بالوالدين ومن ثم بقية الأعضاء تسهل عمليات الشقاق والشجار بينهم حيث تكثر الملابسات مما يؤدي إلى أن يصبح العنف هو اللغة السائدة بينهم حيث يحل بديلاً عن الحوار الأسري .

3- المبالغة في تأديب الأبناء: من حق الوالدين ممارسة حقهما المشروع في التعامل مع أبنائهما وبناتهما في الرعاية والتوجيه وصولاً إلى التأديب المناسب دون استخدام العقاب الجسدي المؤلم أو الإيذاء اللفظي الجارح الذي يصل إلى حد شعور الطفل بالإيذاء النفسي أو الإهمال الواضح من الأشياء الضرورية التي يحتاجها، حيث يقوم العضو المؤذي في الأسرة إلى استخدام القوة والسيطرة على الضحية بشكل مفرط سواء كان حركياً أم لفظياً أو رمزياً.

الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة العنف:

أولى عدد من الذين اهتموا بدراسة أشكال العنف تفسير أسبابه والبحث عن عوامل الظاهرة المختفية التي وراء هذه الأشكال نتج عن هذه المحاولات عدد كبير من النظريات ولن نحاول مراجعة جميع المحاولات النظرية،وسنولى عناية خاصة بالتصور النظري الذي نراه يناسب هذه الدراسة.

نظرية التعلم الاجتماعي للعنف:

وتركز هذه النظرية على أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى،وأن عملية التعلم هذه تتم داخل الأسرة،فبعض الآباء يشجعون أبنائهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف ويطالبونهم بألا يكونوا ضحايا للعنف في مواقف أخرى،والبعض الآخر ينظر للعنف وكأنه الطريق الوحيد للحصول على ما يريدون بل إن بعض الآباء يشجعون الأبناء على التصرف بعنف عند الضرورة.(الخشاب،1993: 54)

نظرية التفاعلية الرمزية لدراسة سلوك العنف الأسري:

ينظر هذا الاتجاه للأسرة باعتبارها وحدة من الشخصيات المتفاعلة لذلك هو يركز عند دراسته للعنف الأسري على العلاقات السلبية،ومظاهر الاتصال الرمزي السلبي بين أفراد الأسرة الواحدة حيث كلما سادت قيم الفردية والأنانية والذاتية في الأسرة كلما قلت درجة التفاعل الأسري الإيجابي مما يفضي إلى العديد من مظاهر العنف الأسري (العطار،2005:180)

البنائية الوظيفية:

يؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أن العنف يعتبر نتاجاً لظروف اقتصادية اجتماعية تتمثل في الأوضاع العائلية وظروف العمل وضغوطه وحالات البطالة بأشكالها المختلفة،والخلافات الأسرية والتفكك الأسري العمدي أو غير العمدي،والفقر وانخفاض دخل الأسرة مع كثرة عددها ما يتبعه من تغذية غير مناسبة وسكن غير ملائم وتعليم غير كاف وعدم العناية الصحية،والمستوى الاجتماعي المتدني،وجيرة فاسدة كلها مسائل تتكاتف فيما بينها لتفرز هذه العوامل الاجتماعية الإساءة والعنف،حيث أنها تمثل ضغوطاً بيئية اجتماعية اقتصادية على الآباء،وتدفعهم إلى ممارسة عدوانيتهم تجاه الأبناء. (حلمي،1999:25)

النظرية النفسية:

وتركز هذه النظرية على التحليل النفسي،حيث يؤكد رواد هذه النظرية دور الدوافع اللاشعورية والصراعات المكبوتة في اتجاه الفرد للقيام بالعنف ولذلك فهو يتجه إلى العنف لإشباع الحاجة النفسية بداخله فمثلاً الشعور بالنقص قد يعبر عنه الفرد بالقيام بأعمال العنف وبذلك فهذا الفرد يمتلك دوافع هدامة ومضادة للمجتمع،وهذا ما يدفعه إلى إتباع السلوك العنيف لإشباع حاجة النقص فيه،ولكن هناك دراسات نفت استقلالية العامل النفسي كعامل وحيد يؤدي إلى العنف(العربي، 1994 : 69)

الأخصائي الاجتماعي في المجال المدرسي:

قبل التطرق للأخصائي الاجتماعي في المجال المدرسي وأدوره علينا التعرف على مفهوم الأخصائي الاجتماعي بشكل عام

مفهوم الأخصائي الاجتماعي:

الأخصائي الاجتماعي هو الشخص الذي يتميز بسلوك وخصائص إنسانية وخلفية مهنية علمية وعملية لاكتشاف المشاكل التي تعترض الطلاب في المؤسسة التربوية والسعي لمعالجتها متحلياً بالنزاهة والأمانة والسرية نحو الطلاب الذين لديهم مشاكل معينة للوصول بهم للرفاهية التي يسعون إليها بالنجاح والتعلم والتطور العلمي ودعم علاقاتهم كأفراد أو أعضاء في المجتمع (عبدالحميد،وبدوي،1991 : 96)

سمات الأخصائي الاجتماعي:

1. الإعداد المهني:

يتوقف الإعداد المهني على عاملين رئيسيين

أ. أن يزود بقاعدة علمية واسعة من العلوم الاجتماعية وخاصة علم النفس و الاجتماع والإنسان والاقتصاد وغيرها .

ب. دراسة شاملة للخدمة الاجتماعية ماهيتها وفلسفتها ومناهجها المختلفة بمفاهيمها وعملياتها المتعددة هذا بالإضافة إلى ضرورة أن يتلقى الأخصائي تدريباً ميدانياً يخضع لإشراف مؤسسي وجامعي يكسب الممارس خبرة علمية تربط النظرية بالتطبيق لتكون المهارات الأساسية للمهنة.

2. الاستعداد الشخصي:

يشمل لصفات الشخصية النظرية والمكتسبة وهي كما يأتي:

أ. قدرات جسمية وصحية مناسبة بالقدر الذي لا يثير في العملاء أحاسيس الإشفاق أو الرثاء، ومناسبة لقيامهم بواجباتهم نحو عملائهم .

ب. أثر انفعالي يكسب صاحبه القدرة على ضبط النفس وإدراك اللوائح والنصح الانفعالي الذي لا تشويه نزاعات تهور أو اندفاعات أو بلاده أو سلوك النفس طفلي، كالاتكالية، عدم تحمل المسؤولية والغضب .

ج. تنظيم معرفي عقلي مناسب ويجمع إلى جانب معارف العلوم المهنية المختلفة، ذكاء اجتماعي مناسب وبعض القدرات الخاصة مثل القدرة التعبيرية واللفظية والحسية والتصويرية في نزعاته وأهوائه الخاصة وهو إن كان إنسان يعيش حياة تصادفه بالضرورة مشكلات وعقبات .

وهناك سمات أخرى يتميز بها الأخصائي الاجتماعي منها:

1. الصبر .
2. الجرأة .
3. تنظيم الوقت .
4. تحمل المسؤولية (كمال،2002:)

المجالات الأساسية لعمل الأخصائي الاجتماعي المدرسي:

في ضوء مفهوم الخدمة الاجتماعية المدرسية وأهدافها يتبين لنا عمل الأخصائي الاجتماعي يتم من خلال جوانب رئيسية هي:

1. الجانب الإنشائي والتنموي: ويتمثل في

أ. تنظيم الحياة الاجتماعية من خلال جماعات مدرسة وإتاحة الفرص الاشتراك أكبر عدد من الطلاب فيها ما يكشف مواهبهم وميولهم وقدراتهم.

ب. تنظيم الخدمات الاجتماعية اللازمة لنمو الطلاب جسمياً ونفسياً واجتماعياً .

ج. تنمية المواهب والميول والقدرات وتشجيع الطلاب على ممارسة ألوان الهويات المختلفة داخل المدرسة .

2. الجانب الوقائي ويتمثل في مجموعة الجهود التي تبذل لدراسة ومعالجة الظروف والأوضاع الاجتماعية والانفعالية التي قد تؤثر على الطلاب تأثيراً سلبياً بما يؤدي إلى وقايتهم من أسباب الانحراف ومعاونتهم على تجنب الصعوبات والمشكلات (www.m3rof.com)

3. الجانب العلاجي: ويتمثل في:

مجموعات الجهود والخدمات التي تبذل لمساعدة الطلاب على حل مشكلاتهم المختلفة والتي قد تعوق نموهم ولإفادتهم في الحياة المدرسية كاملة، وهذا يتطلب العمل في إطار الجوانب الثلاث السابقة أن يتعامل الأخصائي مع الطالب في المجالات التالية:

أ. مجال العمل مع الحالات الفردية:

ويتضمن تناول حالات الطلاب السلوكية والمدرسية والصحية والاقتصادية بهدف تهيئة ظروف ملائمة تساعدهم على التوافق الاجتماعي وتقبلهم للخبرة التعليمية ومواجهة كل ما يتعرض تحقيق هذا الهدف من خلال برامج وقائية وتنموية وعلاجية.

ب. مجال العمل مع الجماعات:

ويتضمن تكوين الجماعات المدرسية المنوعة وإتاحة الفرص الاشتراك أكبر عدد من الطلاب فيها والإشراف على الجماعات ذات الطابع الاجتماعي والعمل على إيجاد نوع من التفاعل البناء بين الأفراد الوسط المدرسي من خلال هذه الجماعات بما يكفل تنمية شخصية الطالب وتعديل سلوكه من ناحية وبما يساعد على ربط المدرسة بالبيئة المحيطة بها من ناحية أخرى.

ج. مجال العمل مع المجتمع:

يتناول العمل مع التنظيمات المدرسية بمساعدتهم على تحقيق أهداف الموجودة بما يساعد على ربط الطلاب بالمدرسة والمجتمع المحلي، وإيجاد صلات قوية بين الطلاب وبينهم وإتاحة الفرص لهم لمواجهة المواقف الحقيقية في الحياة العامة التي تصقل شخصياتهم وتساهم تنشئتهم وإعدادهم بما يعود على المجتمع بالرفاهية الموجودة.www.m3rof.com

دور الأخصائي الاجتماعي المدرسي:

يقوم الأخصائي الاجتماعي بدور هام مع الطلاب ويمكن حصر دوره في المدرسة في الأتي:

1. مساعدة الطلبة على اكتساب رضا شخصي ومركز اجتماعي.
2. تقرير ورسم الخطط بمعاونة المدرسة والعاملين في المدرسة لمقابلة احتياجات الطالب في الفصل .
3. مساعدة الآباء في نفقتهم مهمة المدرسة وبرامجها ومساعدتهم عن طريق علاقاتهم مع الطالب لتسهيل القبول المتبادل بين الآباء.
4. استغلال الخدمات التي تقدمها المؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع لمساعدة الطالب وأسرته وتبادل التعاون بين المدرسة والمؤسسات الاجتماعية والأسرة والطالب فيما يعود عليه وعلى أسرته بالنفع .
5. العمل على إزالة ومنع الصعوبات التي تنشط في محيط الطلاب بقدر الإمكان .
6. محاولة إشباع احتياجات الطلاب وتقديم العون للطلبة غير القادرين على حل مشكلاتهم .
7. يساعد الأخصائي الاجتماعي ورواد الفصل على وضع خطة رعاية الشباب بالمدرسة(عبد الحميد، وبدوي، 1991:237).
8. يقوم بوضع برنامج زمني لجماعات النشاط والجماعات الاجتماعية .

9. يتناول الآراء في المشكلات المدرسية العامة ويقترح الحلول لها من خلال مد المدرسة بالبيانات ومصادر المعلومات ونتائج البحث .

10. يقوم بتنسيق العمل بين الرواد والمشرفين على الجماعات .

11. يحاول الأخصائي أن يوجد اتصال إيجابي ناجح بينه وبين العميل عن طريق هذا الاتصال أن يساعد على اكتساب التغييرات المقصودة التي يهدف الأخصائي الاجتماعي إلى التوصل إليها.

12. يعمل الأخصائي الاجتماعي كقائد مهني مع بعض الجماعات المدرسية كما يعاون بقيمة الجماعة من خلال رائد الفصل ومعلومات وخبراته ومهاراته المهنية ومستخدماً في ذلك الأسلوب الديمقراطي.

13. يقوم الأخصائي بعقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات في مجال الخدمة الاجتماعية المدرسية .

14. القيام بعمليات التسجيل الأنشطة الفردية والجماعية والمجتمعية مستخدماً في ذلك الوسائل المختلفة للتسجيل .

15. مساعدة المدرسة على الاستفادة من مواد وإمكانيات المجتمع المحلي وكذلك من موارد وإمكانيات المجتمع عام (عبد الحميد، وبدوي،1991:237-238)

المبحث الثالث (الدراسة الميدانية)

المنهج المستخدم في الدراسة

لعل المنهج الوصفي هو المنهج الأكثر ملائمة لمثل هذه النوع من الدراسات فعن طريقه يمكن الحصول على بيانات كمية أو كيفية عن الظاهرة المراد دراستها وتحليلها والخروج باستنتاجات وعليه سنقوم بالتعرف على دور الأخصائي الاجتماعي من خلال رصد أرائهم حول ظاهرة العنف الأسري الممارس ضد الأبناء من قبل والديهم.

أداة الدراسة:

الأداة المستخدمة في هذه الدراسة هي استمارة الاستبيان حيث اشتملت مجموعة من الأسئلة بغية الحصول على حقائق و وقائع تتعلق بموضوع الدراسة والبيانات الشخصية.

حدود الدراسة:

الحد الموضوعي:

أجريت هذه الدراسة حول العنف الأسري ضد الأطفال وأسبابه وأشكاله الأكثر انتشارا وتحديدًا في المرحلة الابتدائية من الدراسة.

الحدود المكانية:

طبقت هذه الدراسة بمدارس مدينة البيضاء الابتدائية التابعة لوزارة التربية والتعليم.

الحدود الزمنية: وهي مدة جمع بيانات هذه الدراسة في الفترة مابين15 / 2015/4م إلى 15 /2015/5م .

الحدود البشرية:

وهي عبارة عن المجتمع الأصلي المكون من الأخصائيين الاجتماعيين في المدارس الابتدائية بمدينة البيضاء .

مجتمع الدراسة والعينة:

يتكون مجتمع الدراسة من الأخصائيين الاجتماعيين في المدارس الابتدائية العاملين بقطاع التعليم بمدينة البيضاء والبالغ عددهم 260 وتم أخذ عينة عددها 60 وبنسبة يصل تمثيلها إلى ما مقداره 24% وتعتبر هذه العينة مُمثلة إلى حد كبير جداً وأخذت العينة من المدارس الآتية:(الصديقة، الخلود، اليقظة، القدس، الفاروق، عائشة، الخنساء، عبد الله بن عباس، رابعة العدوية،خديجة الكبرى، ابن خلدون،رويفع الأنصاري، الأمام علي بن أبي طالب، عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد، أسماء بنت أبي بكر، عقبة بن نافع، المجد).

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

تتمثل الأساليب الإحصائية المستخدمة في هذه الدراسة في الجداول والتكرارات والنسب المئوية.

وصف عينة الدراسة وخصائصها:

جدول رقم (1) توزيع عينة الدراسة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة
ذكر	10	%17
أنثى	50	%83
المجموع	60	%100

يتبن لنا من خلال استعراض معطيات الجدول السابق أن فئة الإناث من الأخصائيين الاجتماعيين جاءت بنسبة أعلى حيث بلغت (83%) في مقابل نسبة (17%) للذكور من الأخصائيين الاجتماعيين،وهذا ما تدعمه البيانات التي تحصلنا من قطاع التعليم بمدينة بالبيضاء فعدد الإناث أكبر من الذكور في هذه الوظيفة.

جدول رقم (2) توزيع عينة الدراسة حسب الفئات العمرية

البيانات	التكرار	النسبة
30-20	13	%22
40-30	32	%53
40- فما فوق	15	%25
مجموع	60	%100

يتضح من الجدول رقم (2) أن أعلى نسبة من الفئات العمرية هم الذين تقع أعمارهم ما بين 40-30 حيث بلغت نسبتهم 53% ثم يليها الذين تقع أعمارهم ما بين 40فما فوق حيث بلغت نسبتهم 25% ثم يليها الذين أعمارهم ما بين 30-20 حيث بلغت نسبتهم 22% وهي أقل نسبة.

جدول رقم (3) توزيع عينة الدراسة حسب مدة الخبرة

البيانات	التكرار	النسبة
أقل من 10	20	%33
20-10	36	%60
20-فما فوق	4	%7
المجموع	60	%100

يتبن من الجدول رقم (3) أن الأخصائيين الاجتماعيين الذين مدة خبرتهم 10-20 سنة كانت نسبتهم 60%، ثم يليها الأخصائيين الذين مدة خبرتهم أقل من 10 فنسبتهم 33% ويليها الأخصائيين الذين مدتهم 20 فأكثر فنسبتهم 7%.

جدول رقم (4) توزيع عينة الدراسة حسب مكان الإقامة

البيانات	التكرار	النسبة
البيضاء	53	%88
شحات	2	%3
مسه	5	%9
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (4) أن الأخصائيين الاجتماعيين المقيمين في مدينة البيضاء جاءت نسبتهم 88% ثم يليها المقيمين في منطقة مسه بنسبة 9% ويليها المقيمين في منطقة شحات بنسبة 3% ويمكن إرجاع هذا التفاوت كون أن المدارس التي طبقت عليها الدراسة تابعة لمدينة البيضاء رغم وجود بعضهم من خارجها وهم أقلية.

جدول رقم (5) توزيع عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

البيانات	التكرار	النسبة
ليسانس علم الاجتماع	25	%42
ليسانس علم النفس	27	%45
دبلوم عالي	8	%13
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (5) أن نسبة الأخصائيين المتحصلين على درجة ليسانس علم النفس جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 45% ثم يليها الأخصائيين المتحصلين على ليسانس علم الاجتماع بنسبة 42% ثم يليها الأخصائيين المتحصلين على درجة دبلوم عالي بنسبة 13% وعلى الرغم من تسمية وزارة التعليم لهذه الوظيفة حسب لوائحها بالأخصائي الاجتماعي إلا انه من الملاحظ أنها لا تقتصر فقط علي خريجي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بل يشغلها أيضاً خريجي علم النفس لإلغاء وظيفة المرشد النفسي.

إجابات المبحوثين:

جدول رقم (6) الحالة الاقتصادية لأسر التلاميذ وأثرها على ممارسة العنف

الإجابة	التكرار	النسبة
تؤثر	23	%42
لا تؤثر إلى حد ما	12	%20
لا تؤثر	25	%38
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (6) أن 42% من أفراد العينة يوافقون على أن الحالة الاقتصادية السيئة لها أثر في ممارسة العنف. وعن الأخصائيين الاجتماعيين الذين أجابوا بعدم بتأثير الحالة الاقتصادية فنسبتهم 38%،وتأتي بعد ذلك نسبة الذين أجابوا على أن الحالة الاقتصادية تؤثر إلى حد ما على ممارسة العنف فبلغت فنسبتهم 20% .

جدول رقم (7) ممارسة العنف و تأثيرها على التحصيل الدراسي للتلاميذ

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	48	%80
لا	1	%2
أحياناً	11	%18
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (7) أن 80% من أفراد العينة أجابوا بنعم أن ممارسة الوالدين العنف ضد التلاميذ يؤثر على تحصيلهم الدراسي والذين أجابوا بأحياناً بلغت نسبتهما 18% فيليها الذين أجابوا بلا بنسبة 2% بحسب ووجهة نظرهم.

جدول رقم (8) أنواع العنف الأكثر انتشاراً

الإجابة	التكرار	النسبة
جسدي	26	%43
معنوي	9	%15
لفظي	25	%42
مجموع	60	%100

يتضح من الجدول رقم (8) أن الذين أجابوا بأن العنف الجسدي هو الأكثر انتشاراً بلغت نسبتهم 43% ثم تأتي بعد ذلك نسبة الذين يرجحون العنف اللفظي بنسبة 42% أما الذين يرون بانتشار العنف المعنوي فنسبتهم أقل من 15%.وذلك ما تؤكده معظم الدراسات حيث يظهر دائماً العنف الجسدي كأكثر أنواع العنف انتشاراً دون إغفال الأنواع الأخرى من العنف ومدى خطورتها.

جدول رقم (9) تأثير المستوى التعليمي والثقافي للوالدين وعلاقته بممارسة العنف

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	28	%47
لا	7	%11
أحياناً	25	%42
مجموع	60	%100

يتبين لنا من الجدول رقم (9) أن ما نسبته 47% يعتقدون أن المستوى التعليمي والثقافي يؤثر على ممارسة العنف وتأتي بعد ذلك الذين أجابوا أحيانا بنسبة 42%، وعن الذين قالوا بلا فبلغت نسبتهم 11%.

جدول رقم (10) التفكك الأسري ودوره في ممارسة العنف ضد الأبناء

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	38	%63
لا	4	%7
أحياناً	18	%30
مجموع	60	%100

يتبين من خلال الجدول رقم (10) أن الأخصائيين الذين أجابوا بنعم على أن التفكك الأسري هو أحد الأسباب الرئيسية في ممارسة العنف الأسري ضد الأطفال فنسبتهم 63%، أما الذين أجابوا أحياناً فجاءت بنسبة 30%والذين أجابوا بلا بلغت نسبتهم 7%.

جدول رقم (11) وجود حالات تعرضت للعنف بحسب الأخصائي الاجتماعي

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	32	%53
لا	28	%47
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (11) أن الذين أجابوا بأنهم رصدوا حالات تعرضت للعنف بلغت نسبتهم نسبتهم 53%، و الذين أجابوا بلا فنسبتهم 47% حيث أنهم لم يقوموا برصد أي حالة تعرضت للعنف من قبل الآباء، وعلى الرغم من تقارب نسبة الإجابات إلا أن الذين أجابوا بنعم تعطينا مؤشر لايستهان به إطلاقاً كونه يمثل أعلى من نصف حجم العينة.

جدول رقم (12) التعرض للعنف أكثر بحسب النوع

الإجابة	التكرار	النسبة
الذكور	21	%35
الإناث	13	%22
الاثنان معا	26	%43
مجموع	60	%100

يتبين من خلال الجدول رقم (12) بحسب إجابات المبحوثين يتعرض الاثنان للعنف حد سواء وبلغت نسبة من أجابوا بذلك 43 %، ويأتي بعد ذلك الذكور في تعرضهم للعنف بنسبة 35% بحسب أفراد العينة، ثم جاءت فئة الإناث بنسبة 22 %.ولا يمكن استغراب هذه الاستجابات كون المجتمع الليبي بما يملكه من قيم مستمدة من الدين الأعراف دائماً ما يحاول مساعدة المرأة كونها ضعيفة وتحتاج لمد يد العون.

جدول رقم (13) توزيع عينة الدراسة حسب العنف الممارس ضد التلاميذ يبين سلوك عدواني على بقية زملائهم

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	40	%67
لا	20	%33
مجموع	60	%100

يتبين من خلال الجدول رقم (13) أن الذين أجابوا بنعم على أن العنف الممارس ضد التلاميذ بسبب سلوك عدواني مع بقية زملائهم كانت نسبتهم 67% ويأتي بعد ذلك الذين أجابوا بلا و كانت نسبتهم أقل حيث بلغت 33%.

جدول رقم (14) توزيع عينة الدراسة حسب تأثير العنف على سلوك التلاميذ بشكل سلبي

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	36	%60
لا	1	%2
أحياناً	23	%38
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (14) يؤدي العنف لتغيير السلوك بشكل سلبي بحسب أفراد العينة حيث بلغت نسبة من أجابوا بنعم 60% وبلغت نسبة من أجابوا أحياناً 38% ، وتأتي إجابة من يرون بعدم تأثيره بنسبة 2%.

جدول رقم (15) استدعاء ولي أمر بسبب ممارسة العنف ضد أحد أبنائه

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	36	%60
لا	24	%40
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (15) أن أفراد العينة الذين أجابوا بنعم باستدعائهم لولي أمر بسبب ممارسة العنف ضد أحد أبنائه بلغت نسبتهم 60% والذين أجابوا بلا فبلغت نسبتهم 40% بحسب أرائهم.

جدول رقم (16) شكوى أحد التلاميذ بسبب عنف ممارس ضده

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	43	%72
لا	17	%28
مجموع	60	%100

يتبين من الجدول رقم (16) أن الذين أجابوا بنعم من حيث أن أشتكى لهم بعض الطلبة من عنف مُرس ضدهم فبلغت نسبتهم 72%، وجاءت نسبة الذين أجابوا بلا من المبحوثين وهذا يعطي مؤشر قوي بوجود معدلات عنف من قبل الآباء ضد أبنائهم مما يحتم الوقوف على الظاهرة والتصدي لها بالطرق العلمية.

جدول رقم (17) توزيع عينة الدراسة حسب الأسباب والدوافع التي تكون سبباً ممارسة العنف من قبل الآباء ضد الأبناء

البيان	التكرار
الخلافات المستمرة بين الأب والأم	%39
جهل الآباء بوسائل التربية الصحيحة	%29
انحراف سلوكيات الأب نفسه	%29
عدم وجود قوانين واضحة صريحة تحرم عنف الأب ضد أبناءه	%14
الزواج المبكر وعدم الشعور بالمسؤولية	%13
غياب الأم والأب	%12
تعدد الزوجات	%9

يتضح لنا من الجدول رقم (17) أن نسبة الأخصائيين الذي يجاوبون بنعم بتكرار39 تعتبر من الأسباب أو الدوافع التي يتكون بسبب في ممارسة العنف من قبل الآباء وهي تمثل فئة الخلافات المستمرة بين الأب والأم وتأتي بعد ذلك مباشرةً نسبة الأخصائيين الذين يجاوبون بتكرار 29 وتمثلت فئة جعل الآباء بوسائل التربية الصحيحة، وكذلك انحراف سلوكيات الأب نفسه تكون دافع في ممارسة العنف وتأتي بعد ذلك فئة عدم وجود قوانين واضحة صريحة تحرم عنف الأب ضد أبناءه والتي تمثلت بتكرار 14 يعتقد أنه يساعد أو يكون بسبب في ممارسة العنف وتأتي بعد ذلك فئة الزواج المبكر وعدم الشعور بالمسؤولية والتي تمثلت بتكرار 13 وهي تكون سبب في ممارسة العنف، أما نسبة الأخصائيون الذين يجاوبون بنعم بتكرار 12 وتمثلت في فئة غياب الأم والأب تكون دافعاً في ممارسة العنف وكذلك نسبة الأخصائيون الذين يجاوبون على فئة تعدد الزوجات والتي تمثلت بتكرار 9 كذلك يكون سبب في ممارسة العنف .

جدول رقم(18) ما هي أكثر الأساليب نجاحاً في ضبط وتقويم سلوك الأبناء

الإجابة	التكرار	النسبة
النصح والإرشاد	47	%78

طلب المساعدة من الأقارب	4	%7
التهديد بالحرمان من المصروف	5	%8
الحرمان من الخروج عن البيت	4	%7
الضرب	0	0
المجموع	60	%100

يتبين من خلال الجدول (19) أن نسبة 78% الذي يرون في أتباع أسلوب النصح والإرشاد كأكثر الأساليب نجاحاً في ضبط وتقويم سلوك الأبناء وتأتي بعد ذلك نسبة 8% والذي يعتبرون في الأخذ بأسلوب التهديد بالحرمان من المصروف اليومي من الأساليب الناجحة، فيما جاءت نسبة من يرون باستخدام أسلوب طلب المساعدة من الأقرب وكذلك الحرمان من الخروج من البيت7%، وأخيراً وجد المبحوثين في أن أسلوب الحرمان من الخروج من البيت وكذلك طلب المساعدة من الأقارب يساعد في ضبط سلوك وتقويم سلوك الأبناء والذين بلغت نسبتهم 4% كما مبين في الجدول.

نتائج الدراسة:

عند سؤالنا للأخصائيين في هذه المدارس عن العنف الأسري وعن مدى رصدهم لبعض مظاهره وما يحول إليهم من مشكلات وحالات من التلاميذ كانت إجابتهم:

أولاً النتائج المتعلقة بخصائص المبحوثين:

1- تجدان فئة الإناث حسب النوع من الأخصائيين الاجتماعيين شكلت الأغلبية بنسبة 83% .

2- لاحظ أن أعلى نسبة من الفئات العمرية للمبحوثين تتراوح أعمارهم ما بين 30-40 حيث بلغت نسبتهم 53% .

3- نجد أن الأخصائيين الاجتماعيين الذين مدة خبرتهم 10-20سنوات هم أكثر الفئات بنسبة بلغت 60% .

4- بحسب توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي نجد أن أغلبهم من المتحصلين على درجة ليسانس في علم النفس و مثلت نسبتهم 45% .

5- نلاحظ أن أغلب الأخصائيين الاجتماعيين مقيمين في مدينة البيضاء حسب توزيع عينة الدراسة حيث جاءت نسبتهم 88%.

ثانياً النتائج المتعلقة بإجابات المبحوثين موضوع الدراسة

6- نرى أن الأخصائيين الاجتماعيين والذي تمثلت نسبتهم 42% يوافقون على أن للحالة الاقتصادية للأسرة دور في ممارسة العنف ضد الأبناء.

7- أغلب المبحوثين والذين بلغت نسبتهم 80% يرون أن العنف يؤثر على التحصيل العلمي للتلاميذ.

8- يرى الأخصائيين الاجتماعيين أن أكثر أنواع العنف انتشاراً هما على التوالي الجسدي ثم اللفظي وبنسبة متقاربة.

9- يعتقد غالبية الأخصائيين الاجتماعيين أن المستوى التعليمي للوالدين يزيد من ممارسة العنف ضد الأبناء.

10- غالبية المبحوثين و بنسبة 63% يؤكدون على أن التفكك الأسري هو أحد الأسباب الرئيسية في ممارسة العنف ضد الأبناء.

11- رُصدت حالات تعرضت للعنف بحسب أفراد العينة و بلغت نسبتهم من قال بذلك 53%.

12- نجد كذلك أكثر أفراد العينة يرون بتعرض الذكور والإناث للممارسة العنف على حد سواء.

13-أكد أغلب المبحوثين أن العنف الممارس ضد التلاميذ سبب لهم سلوك عدواني.

14- تساهم ممارسة العنف في تغير السلوك بشكل سلبي كانت بحسب أفراد العينة.

15- قاموا اغلب المبحوثين باستدعاء ولي أمر بسبب ممارسة العنف ضد أحد التلاميذ و كانت نسبتهم 60%.

16- يؤكد أغلب المبحوثين على أنهم تلقوا شكاوى من التلاميذ بسبب عنف ممارسة ضدهم .

17- الأسباب والدوافع التي تكون سبباً في ممارسة العنف من قبل الآباء ضد الأبناء هي الخلافات المستمرة بين الوالدين.

18- يعتقد البعض من الأخصائيين أن سلوك العنف مجرد سلوك مكتسب تم ممارسته على الآباء سابقاً.

19- يعتقد أغلب أفراد العينة بأن من أكثر الأساليب نجاحاً في ضبط سلوك الأبناء نجاحاً هو أسلوب النصح والإرشاد

20- يُرجع أغلب الأخصائيين العنف الممارس ضد الأبناء إلى جهل الآباء بوسائل التربية الصحيحة.

مقترحات الدراسة:

تقترح الدراسة عدة نقاط يمكن أن تقدم رؤية متواضعة لعلها تسهم بقدر مناسب في الحد من ظاهرة العنف والعنف الأسري على وجه التحديد وهي وفق الأتي:

أولاً على مستوى الأسرة:

1- يجب توجيه الوالدين بأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية المثالية والسليمة بما يخدم مصلحة الأبناء والوصول بهم إلى بر الآمان وتقديمهم للمجتمع كمعول بناء لا معول هدم فالبذرة التي تغرس اليوم يتم حصاده غداً.
2- التحاور مع الأبناء من أهم أساليب التربوية وتهذيب الشخصية.
3- توفير احتياجات الطفل المعنوية والمادية.
4- متابعة الأبناء وتوجيههم في البيت والمدرسة أمر غاية في الأهمية.
5- المساواة في المعاملة بين الأبناء وعدم تهميشهم والإنصات لهم.
6- المختصين في المجال الاجتماعي والتربوي بما ليهم من خبرات ومهارات يمكن استشارتهم في بعض الأمور التي يعجز الوالدان عن فهمها.

7- تزويدهم بالقيم التي تحث على التعاون والعطاء وحب الوطن وعمل الخير.
8- عدم تعريض الأبناء لمظاهر العنف حتى من خلال مشاهدة التلفزيون وعدم نقل خلافات الأزواج للأبناء.
9- التفكك الأسري والطلاق والانحراف من أكبر مولدات العنف الأسري.

ثانياً على مستوى المجتمع:

1- يجب أن يكون هناك دور فعال لوسائل الإعلام ودور العبادة والمجتمع المدني دور بارز يسهم في نشر ثقافة الحب والحوار ونبذ العنف والخلاف وإسقاط ذلك على الأسرة تحديداً لما له من دور رئيس وفعال في عملية التنشئة الاجتماعية.
2- إنشاء مراكز ومكاتب الإرشاد الأسري والنفسي كونها تقدم المشاورة والنصح والتوعية للأفراد والأسر على حد سواء مما يقلل من مظاهر العنف وحدته.
3- حماية الأطفال عبر سن تشريعات قانونية واجتماعية تمنع ممارسة العنف بكافة أشكاله ضدهم وتعريض من يقوم بذلك للمسألة القانونية دون التفريط في دور الأسرة في رعايتهم ومتابعتهم.
4- توفير الملاعب والساحات ومراكز الترفيه للأطفال التي يقضون فيها أوقات جدير بتخفيف العبء الأكثر من على كاهل الوالدين.
5- للمدرسة دور كبير في تعليم الأطفال ما يخدمهم ويخدم وطنهم مستقبلاً لكي يصبحوا آباءً صالحين إذا ما وضعت الخطط والبرامج والمناهج التربوية والتعليمية بالأسلوب الأمثل والفضل.

إقامة الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش ومراكز الدراسات التي تهتم بهذه الظواهر بغية تحليلها ودراسته و وضع الحلول وسبل العلاج لها.

قائمة المراجع

1. البابوسي، (2011) العنف الأسري الموجه ضد الأطفال، الكويت.
2. برنامج الأمان الأسري الوطني (2008) العنف الأسري وإيذاء الأطفال في المملكة العربية السعودية: الوعي والإجراءات المتبعة، والاحتياجات التدريبية بين العاملين في المجالات المرتبطة بظاهرتي العنف الأسري ضد الأطفال،السعودية.
3. بوزبون، بنة (2004) العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية، المركز الوطني للدراسات، المنامة.
4. الجابر، زايد محمد (2005) ا لإسلام ومناهضة العنف ضد المرأة:ورقة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول لمناهضة العنف ضد المرأة،المجلس الأعلى للمرأة، اليمن.
5. حلمي، إجلال إسماعيل (1999) العنف الأسري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
6. الخشاب، سامية مصطفى (1993) النظرية الاجتماعية، دار المعارف،القاهرة.
7. سامي، صلاح (2011) أسباب العنف الأسري في المجتمع المصري، القاهرة، موقع ايجبت الالكتروني.
8. الشهري، عبد الله والمقرجي، سالم (2004) إستراتيجية وطنية مقترحة لمواجهة العنف الأسري في المملكة العربية السعودية، بحث مقدمة لندوة علم النفس وقضايا الأسرة الخليجية، كلية التربية،جامعو البحرين.
9. العربي، الطيب (1994) المجلة الجزائرية للعلوم والتربية، جامعة الجزائر.
10. العطار، سهير عادل (2005) المدخل الاجتماعي لدراسة الأزمات بين التصورات النظرية والتطبيقات العملية، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة.
11. عطية،السيد عبد الحميد، بدوي، هناء حافظ (1991) الخدمة الاجتماعية ومجالاتها التطبيقية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
12. كيرتي، ميديل (1962) التربية والصراع الاجتماعي، مطبعة الرشيد، بغداد.
13. المرسي، وجيه الدسوقي 2006، دراسة لبعض المتغيرات الأسرية وعلاقتها بممارسة سلوك العنف لدى طلبة الجامعة، بحث مقدم إلى أعمال المؤتمر العلمي التاسع عشر بكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، منشورات جامعة حلوان، المجلد الثاني.
14. منير، محمد (1984) أصول التربية، عالم الكتب، الإسكندرية.
15. اليوسف، عبد الله وآخرون (2005) العنف الأسري في المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

إمكانية تحويل بحيرة مياه سد المحجة إلى مسطح مائي دائم في الجبل الأخضر - دراسة مائية تطبيقية في موسم أمطار 2013 – 2014

* أ. د. محمد الغازي الحنفي، ** د. محمود الصديق التواتي.

(اعضاء هيئة التدريس بقسم الجغرافيا - كلية الاداب - جامعة عمر المختار- البيضاء – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

إمكانية تحويل بحيرة مياه سد المحجة إلى مسطح مائي دائم في الجبل الأخضر - دراسة مائية تطبيقية في موسم أمطار 2013 – 2014

ملخص البحث:

أن سد المحجة الواقع في آعالي وادي الرملة، في جنوب قرية اشنيشن التابعة لمنطقة الفائدية والمنشأ في الثمانينات من القرن الماضي لم تؤد بحيرته المائية الغرض المائي الذي أنشئ السد من أجله لوجود بالوعات كارستية في أرضية بحيرة السد تبتلع مياه البحيرة التي تتكون عقب جريان سيل وادي المحجة، وبذلك لا تدوم مياه البحيرة لأكثر من 200 يوم بعد امتلائها، وفي هذه الدراسة تبين لفريق البحث أن إدارة جيدة تتحكم في سد شبكة الكارست المرتبطة بالبالوعات يمكن إن تجعل الفاقد المائي من البحيرة لا يتجاوز 0.5 سم / اليوم، مما يهيئ الفرصة لجعل بحيرة مياه السد تستديم لفترة تزيد عن السنتين وقد تصبح مسطح مائي دائم على طول الزمن لو لقيت البحيرة الاهتمام اللازم والإدارة المائية الرشيدة والكفوءة.

The Possibility of Converting The Water Lake of AL-Mahagah Dam To Be Continually In The Al-Jabel Al-Akhder

ABSTRACT

The location of AL-Mahagah dam is in the Upper part of the AL-Ramlah Valley at the South of Ashenishin village which belong to Al-Faidia region and which was constructed eightieths of the last century,and did not lead its lake water the purpose for which the dam was established , because there are sink karst at the floor of the dam lake which draining the lake water which will occur after the flow of the torrent valley AL-Mahagah, for this reason the water in the lake of the dam does not continues for more than 200 days after filling up, this study shows that the controls and good management for the leakage of water can be done very well which associated to the sinks then can make the lost of water from the lake does not exceed 0.5 cm / day, and this provides an opportunity to make the waters of the dam lake continuously for more than two years, and the water in the lake may stay for long time and efficiency if we can develop and maintains the dam .

- **مقدمة:**

تعد السدود المائية التي تنشأ على مجاري الأودية من التقنيات المهمة في استغلال المياه وتنظيم جريان المجاري المائية، وبذلك تلعب السدود دورا مهما في حماية المدن والمنشئات الحضرية والسهول الزراعية من خطر السيول والفيضانات المائية، وذلك عن طريق تكوين بحيرات مائية في أعالي تلك السدود تخدم الحياة البشرية وتحقق أمن مائي للمناطق المجاورة لها, في إقليم الجبل الأخضر شبه الجاف والجاف تندر السدود لذلك يعاني هذا الإقليم من شح كبير وندره في الموارد المائية المتاحة بنتيجة الإهمال وسوء الإدارة المائية في منطقة تعد الأغنى في ليبيا في جرياناتها السطحية التي تنشأ في كل أودية حوضي الجبل الأخضر الداخلي والخارجي, وذلك عقب العواصف المطرية عالية الشدة التي تخلق في كثير من الأحيان فيضانات مائية كبيرة جداً تغرق السهول الجنوبية المحاذية للجبل بالمياه وتؤثر سلباً على الزراعة البعلية في هذه المنطقة من الحوض الداخلي من الجبل الأخضر الذي تضيع مياهه بالرشح والتبخر على طول المنطقة الجنوبية للجبل الأخضر الممتدة ما بين سلوق في الغرب وخليج البمبه في الشرق , في حين تضيع مياه الحوض الخارجي لأغلب أوديته في البحر المتوسط من دون أن يستفاد منها.

في الثمانيات من القرن الماضي أنشئ سد المحجة, الركامي البالغ ارتفاعه 7 م, في أعالي حوض وادي الرملة, هذا السد فشل في تأمين بحيرة مائية دائمة تؤمن المياه للمجتمع المحلي في فترات الصيف الجافة والتي تعاني فيها الناس الأمرين في تأمين المياه للمجتمع المحلي ولقطعان الأنعام, وذلك لعيوب ناتجة عن شبكة الكارست التي تتمتع بها صخور تكوين البيضاء الجيرية المرجانية للجبل الأخضر؛ والمتمثلة بالبالوعات التي تبتلع مياه بحيرة هذا السد بسرعة عقب امتلائها من جريان السيول, هذه المشكلة لم تعالج من قبل الهيئات الإدارية والتنفيذية في إقليم الجبل الأخضر, لذلك هدف فريق البحث إلى حل تلك المشكلة في بحيرة سد المحجة لتحويلها إلى بحيرة مياه دائمة تتجدد مياهها من خلال تجدد مياه السيول, عن طريق سد تلك البالوعات وفق رؤية علمية سهلة التنفيذ وعالية الكفاءة في تأمين مياه البحيرة على طول أيام السنة, لذلك قام فريق البحث بمتابعة بحيرة مياه سد المحجة على طول الموسم المطري 2013 – 2014 التي امتلأت من جريان عاصفة يومي 06 و 07/11/ 2013، وقام بمتابعة قياسات دورية لهبوط منسوب مياه البحيرة حتى جفافها، واستنتج ثلاثة فترات لهبوط المنسوب:

1- فترة هبوط سريع: سببها وجود بالوعات على الجانب الايمن من بحيرة السد بالإضافة للرشح والتبخر.
2- فترة هبوط متوسطة السرعة: ناتجة عن الرشح والتهريب في شبكة الكارست المرتبطة بالبالوعات بالإضافة إلى الرشح والتبخر.
3- فترة هبوط بطيئة السرعة: ناتجة عن التبخر فقط.

على أساس فترة الهبوط البطيء لمنسوب مياه البحيرة الذي لم يتجاوز 0.5 سم / يوم استنتج فريق البحث انه من الممكن الحفاظ على مسطح مائي دائم في بحيرة سد المحجة فيما لو تم تلافي فترتي الهبوط السريع والهبوط المتوسط السرعة وفق خطة عمل ومتابعة إدارية جيدة للمخزون المائي الذي تؤمنه بحيرة سد المحجة المتجددة, والبالغ عمود مياهها نحو 3 م.

إن فريق البحث اتبع في هذه الدراسة المنهج العلمي الكمي والبياني موضحاً كل ما يلزم هذه الدراسة من خرائط للموقع ولحوض التغذية المائية, والمنحنيات البيانية الموضحة بصورة جلية كيفية تغير منسوب البحيرة مع الزمن, وتغير مخزون مياه البحيرة مع تغير هبوط المنسوب, وكذلك كيفية تغير حدود مساحة المسطح المائي للبحيرة بدلالة تغير المنسوب باستخدام GPS وبرنامج

BaseCamp، برنامج ArcMap، وبرنامج google Earth, بالاعتماد على الخرائط الطبوغرافية والجيولوجية للمنطقة، وبتوثيق مراحل القياس وتغير هبوط منسوب مياه البحيرة, والظواهر الجغرافية والجيولوجية والطبيعية والبيئية للبحيرة ومحيطها بالصور الرقمية الكفيلة بإعطاء صورة واضحة تجعل من هذه الدراسة نموذجاً ناجحاً يمكن أن يستفاد منه في تنمية مسطحات مائية دائمة أخرى في إقليم الجبل الأخضر.

- **الموقع الجغرافي والفلكي لسد وادي المحجة:**

يقع سد المحجة جغرافياً في وادي المحجة، الذي يمثل الرافد العلوي لوادي الرملة، في جنوب قرية اشنيشن بحوالي 7 كم عند ارتفاع حوالي 729 م. بحسب الخارطة الطبوغرافية 1:50000. يوجد سد المحجة فلكياًعند نقطة تقاطع دائرة العرض $32^0 34' 20''$ مع خط الطول $21^0 54' 21''$, شكل (1).

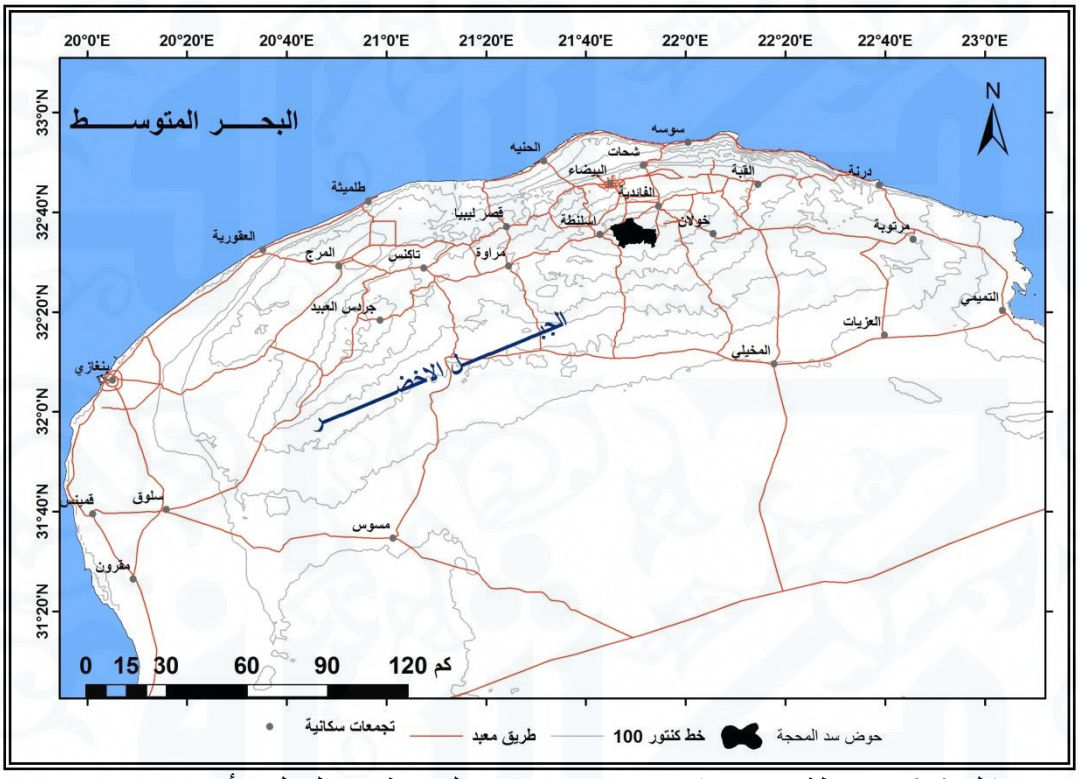

شكل (1): خريطة تبين موقع حوض سد وادي المحجة في الجبل الأخضر

- **أهمية بحيرة مياه سد المحجة:**

تتمثل أهمية بحيرة سد المحجة في إمكانية تأمين حوالي 200 ألف متر مكعب من المياه، تستطيع أن تستمر مياهها على طول فترة الصيف الجافة التي تندر فيها المياه محلياً، والتي تعاني فيها الناس الأمرين في تأمين المياه لأنعامها في منطقة اشنيشن الرعوية قليلة المياه، ناهيك عن أن وجود مسطح مائي دائم في المنطقة سيؤدي لتحسين الوضع البيئي الغابي المتدهور والمتجه حالياً بتدهوره نحو الأسوأ، ويخلق نشاط بشري سياحي في محيط بحيرة السد، ويهيئ فرصة أحسن لاستقرار الناس في أراضيهم ومساعدتهم في تنمية مصادر عيشهم.

- **مشكلة بحيرة مياه سد المحجة:**

سد المحجة ركامي انشئ في سنوات الثمانينات من القرن الماضي، سعة بحيرته حوالي 200 ألف متر مكعب، وهي بالعادة تمتلئ بمياه سيل وادي المحجة في أعقاب العواصف المطرية عالية الشدة، البحيرة تبقى جافة في أغلب أيام السنة لأن مياه البحيرة تضيع بسرعة في باطن الأرض بسبب أربع بالوعات؛ اثنتين منها توجد في أرضية البحيرة ويبدو أنهما انسدتا بسبب تراكم الطمي الذي يجلبه كل جريان، واثنتين توجدان على الجانب الأيمن للبحيرة لا تزالان تبتلعان مياه البحيرة وبسرعة حتى اليوم، لذلك لا يمكن الاعتماد على بحيرة السد في تطوير الموارد الطبيعية والرعوية في المنطقة فيما لو تركت على وضعها الحالي، مع العلم أن تدخلاً سريعاً وبكلفة بسيطة جداً قد تحول بحيرة سد المحجة لبحيرة مياه دائمة قد تتيح لموارد المنطقة أكثر من 200 ألف متر مكعب من المياه تعمل على استدامة تحسين الموارد والوضع البيئي العام في محيط منطقة السد.

- **العمل الميداني:**

تمثل العمل الميداني بالرحلات العلمية لموقع السد، وأجريت الرحلات بمعدل رحلتين في الشهر لتوضيح المقارنة في هبوط ارتفاع منسوب مياه بحيرة السد، ابتداءاً من يوم الجمعة الموافق الثامن من شهر نوفمبر عام 2013 الي الخميس الموافق العاشر من شهر يوليو عام 2014م، واعتمد برنامج العمل وفق الاتي:

1- التوثيق شبه الدوري بالصور الرقمية لتوضيح كيفية تغير حدود بحيرة سد المحجة بعد امتلائها في يوم الجمعة الموافق 08/ 2013/11 مع تقدم الزمن حتى جفافها.

2- محاولة تحديد مقدار هبوط المنسوب بالوسائل الممكنة.

3- محاولة معرفة العمق وارتفاع عمود مياه بحيرة السد بالوسائل البسيطة الممكنة.

4- مراقبة شبه دورية بحسب متسع الوقت للتغير المتناقص لمساحة وحدود البحيرة ومراقبة تناقص هبوط منسوب مياهها خلال الموسم المطري 2013- 2014.

5- الوصول لمعرفة مساحة البحيرة في فترة الامتلاء وتقدير حجم مياه بحيرة السد عند امتلائها, والتغير المتناقص لمساحاتها المرتبط بتناقص حجم مخزونها المائي الموافق لتناقص منسوبها مع تقدم الزمن اللاحق لفترة الامتلاء.

6- معرفة الموقع الجغرافي وما يحتويه من منشآت مائية يمكن أن تعزز من الوضع المائي المحلي في المستقبل.

7- محاولة معرفة الميول الطبوغرافية لجوانب البحيرة وميول جسم السد.

- **أهداف الدراسة:**

الهدف من دراسة بحيرة مياه سد المحجة هو تحويلها من بحيرة مؤقتة إلى بحيرة دائمة وبكلفة بسيطة جداً يتمثل في الاتي:

1 - تحديد فترات هبوط منسوب مياه بحيرة السد باعتماد معدل الهبوط لكل فترة زمنية على النحو التالي: هبوط سريع, هبوط متوسط السرعة, هبوط بسيط وبطيء السرعة.

2- معرفة أسباب الهبوط السريع والمتوسط الناتج عن البالوعات وشبكة الكارست المتصلة بها, ليتم العمل على تفاديهما بحشو البالوعات وسطمها بالرمل, لكي تحافظ البحيرة على معدل هبوط بطيء يحولها من بحيرة مياه مؤقتة إلى بحيرة مياه دائمة معدل هبوطها لا يتجاوز 0.5 سم/يوم.

3- حشو البالوعات بالرمل ومنع تهريب المياه منها وتطوير السد لرفع امكانية بحيرة السد على استيعاب أكبر قدر ممكن من المياه لجعلها بحيرة دائمة.

4- تطوير المنشآت المائية المجاورة لبحيرة السد؛ حفرتين سعة كل منهما 4000 متر مكعب.

- **أدوات العمل الميداني:**

1- كاميرتين رقميتين.

2- شريط متري 10 م.

3- جهاز G.P.S.

4- ميزان منسوب مائي مجهز بحبل لرفع المناسيب وقياسها بخطأ لا يتجاوز 0.5 سم.

5- جهاز بدائي يدوي خصص لمعرفة العمق.

6- شواخص معدنية عدد اثنين.

- **أدوات العمل المكتبي:**

1- خرائط طبوغرافية 1:50000 وخرائط جيولوجية 1:250000.

2- جهاز اتصال بالانترنت (واي ماكس way max، واي فاي Way fi).

3- برنامج اكسيل Excel, و برنامج نظم المعلومات الجغرافية (ArcGIS)، برنامج BaseCamp, وقوقل ايرث (Google Earth).

- **حوض تصريف وادي المحجة المغذي لبحيرة سد المحجة بمياه الأمطار الجارية:**

يمثل حوض وادي المحجة, في أعالي سد المحجة, القطاع العلوي لحوض وادي الرملة, إذ تغسل مياهه محيط من الارض يبلغ طوله 53.4 كم، يحصر ضمنه مساحة من الأرض تقدر بنحو 94.028 كم^2 تمتد ما بين قمة سيدي الحمري البالغ منسوبها 881 م، وسد المحجة الواقع على منسوب 729 م. بحسب الخريطة الطبوغرافية, يبلغ طول الحوض حوالي 14.9 كم, وعليه فإن معدل انحدار الحوض يقارب 0.010. يمتد الحوض فلكيا بين دائرتي عرض $32^0 32' 51''$ و $32^0 38' 58''$ شمالاً، وبين خطي طول $21^0 44' 45''$ و $21^0 54' 06''$ شرقاً.

ينشأ الجريان في الحوض في أعقاب بعض العواصف المطرية عالية الشدة وهو في أحيان كثيرة يملأ بحيرة السد ويفيض منها عن طريق المصرف الجانبي للبحيرة؛ كما حصل في خريف 2007, وفي أحيان أخرى لا تمتلئ بحيرة السد؛ كما حصل في خريف هذا الموسم. إن جريان 2 ملم فقط من مياه الأمطار الساقطة على كامل مساحة الحوض تكفي لامتلاء البحيرة, لذلك فإن الحوض مؤهل لأن يؤمن للبحيرة تغذيتها بالمياه على الدوام فيما لو حظيت بالاهتمام اللازم والإدارة المائية الكفوءه، شكل (2).

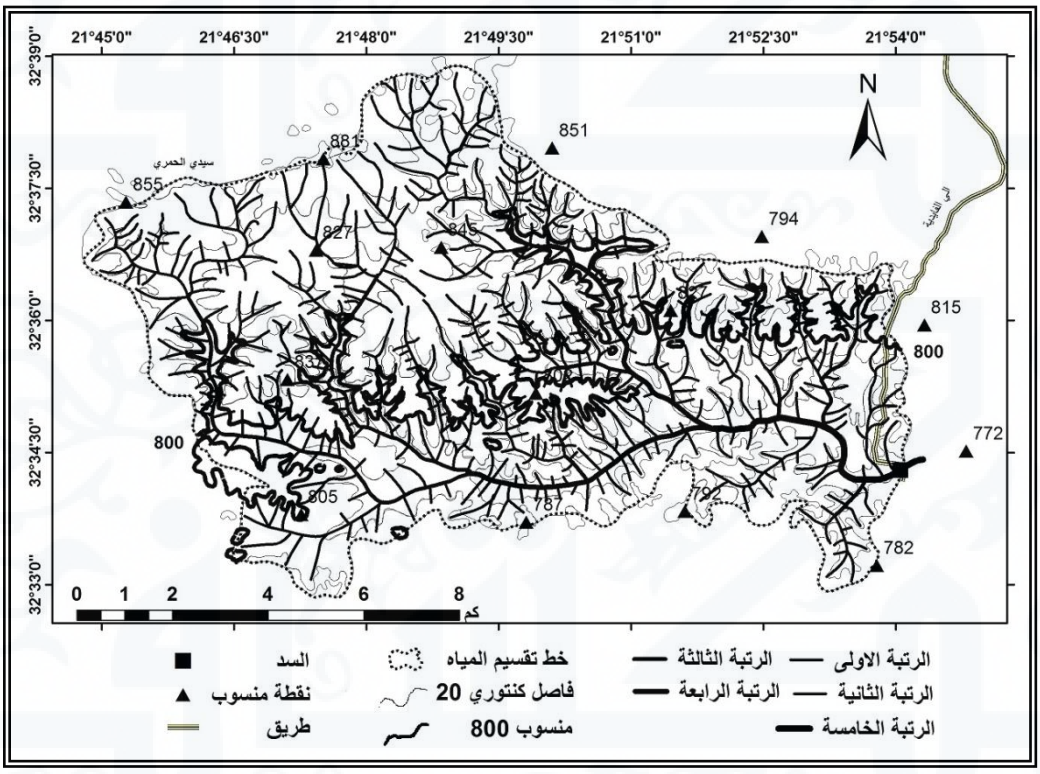

شكل (2):
خريطة طبوغرافية لحوض وادي المحجة في اعالي سد المحجة، مساحة الحوض المغذي لبحيرة السد تبلغ 94.028 كم^2، ويبلغ طول الحوض 14.9 كم.

- **جيولوجية حوض سد وادي المحجة:**

يتكون الحوض بشكل رئيسي من صخور الحجر الجيري التابعة لعصر الكريتاسي من الحقب الثاني، وعصري الايوسين والميوسين من الحقب الثالث وهي اربع تكوينات جيولوجية مرتبة على التوالي من الأقدم إلي الأحدث على النحو التالي:

1- **تكوين المجاهير الكريتاسي KuD**: ويتكون من الحجر الجيري والحجر الجيري الدولوميتي والحجر المارلي والمارل.

2- **تكوين درنة الإيوسيني TeD**: ويتكون من الحجر الجيري والحجر الجيري الدولوميتي.

3- **تكوين البيضاء الأوليغوسيني ToB**: وهو يشكل صخور أرضية قاع بحيرة السد المكونة من الحجر الجيري الذي يحتوي على حفريات مرجانية من معويات الجوف صورة (41)، وهذا التكوين يشتمل على عضو مارل شحات وعضو البيضاء المتكون من الحجر الجيري الطحلبي.

4- **تكوين الفائدية الميوسيني TomF**: ويتكون من الحجر الجيري والحجر الجيري المارلي والطين والمارل.

5- **تكوينات الرباعي القارية:** توضعت رسوبيات الحقب الرابع القارية على مرحلتين؛ المرحلة القديمة تتكون من صخور تجمعية قارية متصلبة سماكتها لا تتجاوز 1م تبدو واضحة في محيط بحيرة السد, والمرحلة الحديثة تتمثل رسوبياتها بمواد حجرية وحصوية ورملية مفككة ينحصر وجودها على السفوح وفي قيعان الأودية بالإضافة لمواد ناعمة تمثل الترب الرباعية التي تغطي أسطح الصخور الأم في

الحوض, وكذلك المواد الناعمة من السلت والطين اللذان يغطيان أرضية بحيرة سد المحجة بنتيجة تعاقب ترسيبها وتراكمها من جراء تعاقب السيول على بحيرة السد، شكل (3).

تشكل منطقة الدراسة جزء من المصطبة الثالثة في الجهة الجنوبية الشرقية من قمة الجبل، وهي متأثرة بالتحدب الذي تعرض له الجبل الأخضر خلال الكريتاسي، ومع تكرار عمليات الغمر والانحسار للبحر القديم خلال الاليجوسين والميوسين تراكمت رواسب تكوين البيضاء وتكوين الأبرق وتكوين الفائدية، (Rolich،1974).

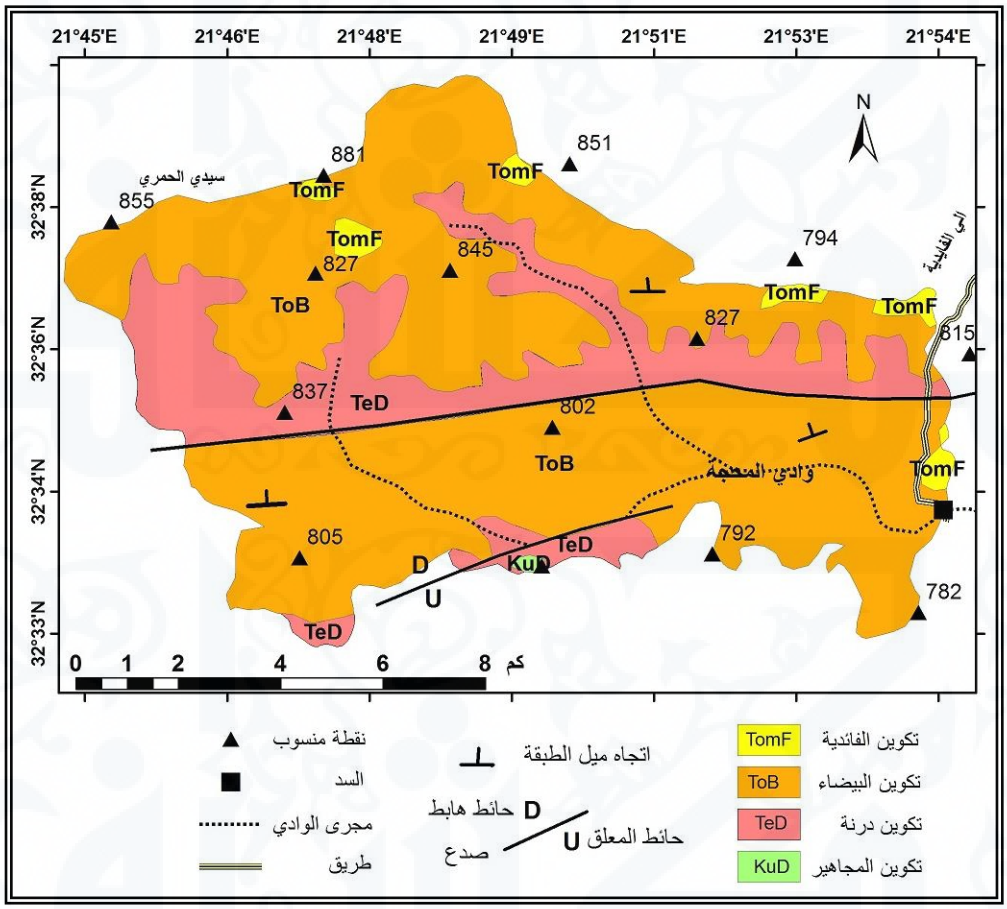

شكل (3): خريطة جيولوجية لحوض سد وادي المحجة.

العمل الميداني: مراقبة و تناقص هبوط منسوب مياه البحيرة : صور (من 1 إلي 41).

صورة (1): بحيرة سد المحجة الناتجة عن عاصفة يومي 06 و 2013/11/07 التي ولدت جريان يوم الأربعاء ويوم الخميس وليلة الجمعة, أدى لتعبئة بحيرة السد دون أن يعمل المصرف الجانبي للسد, وعليه قدر حجم المخزون بحوالي (155782.2 م3), جدول (2)، التاريخ على الصورة.

صورة (2): أعالي بحيرة سد المحجة وتراجع المنسوب ما بين 08 و 2013/11/11.

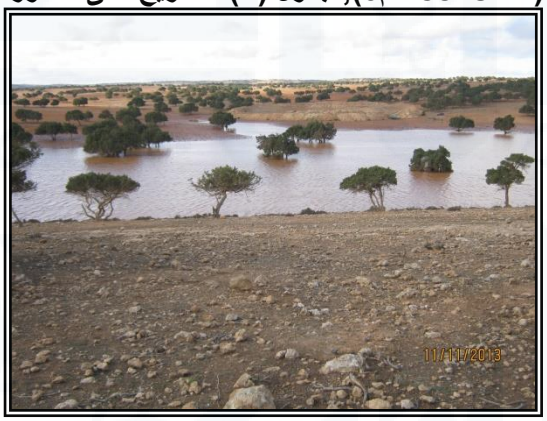

صورة (3): أشجار غابة الشعرة في وسط ماء بحيرة سد المحجة في 2013/11/11.

صورة (4): انخفاض منسوب سطح بحيرة سد المحجة ما بين يوم الجمعة 2013/11/08 و يوم الاثنين 2013/11/11.

صورة (5): انخفاض منسوب بحيرة مياه سد المحجة حتى يوم السبت 2013/11/23 خلال 15 يوم وظهور البالوعتين على الجانب الأيمن للبحيرة.

صورة (6): تراجع منسوب بحيرة سد المحجة ما بين 2013/11/08، وتاريخ الصورة في 2013/11/23 أي خلال 15 يوم.

صورة (7): تراجع منسوب بحيرة سد المحجة على جسم السد في 2013/11/26.

صورة (8): كيفية قياس هبوط منسوب بحيرة سد المحجة على جانبها الأيسر في 2013/11/26.

صورة (9): البالوعة الشرقية الكبيرة على الجانب الأيمن من بحيرة سد المحجة في 2013/11/26، نقطة تقاطع دائرة عرض $32^{0}34'18''$ مع خط طول $21^{0}54'15''$.

صورة (10): رفع إحداثيات البالوعة الغربية الصغيرة بوساطة ال G.P.S. في 2013/11/26، نقطة تقاطع دائرة عرض $32^{0}34'18''$ مع خط طول $21^{0}54'13''$.

صورة (11): حدود بحيرة سد المحجة يوم الأحد الموافق 2013/12/01.

صورة (12): حدود بحيرة سد المحجة في يوم الخميس الموافق 2013/12/12.

صورة (13): لاحظ مقدار الهبوط الكبير والسريع لمنسوب بحيرة سد المحجة ما بين 11/08 و وتاريخ الصورة في 2013/11/26. حيث يبين توضع الزبل والنايلون منسوب البحيرة عند امتلائها في مساء يوم الخميس الموافق 2013/11/07.

صورة (14): قياس هبوط منسوب بحيرة سد المحجة في جهتها الشمالية الغربية عند النقطة رقم (5)، يوم و تاريخ الخميس 2013/11/28.

صورة (15): قياس هبوط منسوب ماء بحيرة سد المحجة بجانب البالوعة الكبيرة على الجانب الأيمن للبحيرة, الأحد 2013/12/01.

صورة (16): حدود بحيرة سد المحجة يوم الأحد الموافق 2013/12/15.

صورة (17): حدود بحيرة سد المحجة في يوم و تاريخ الاثنين 2013/12/23.

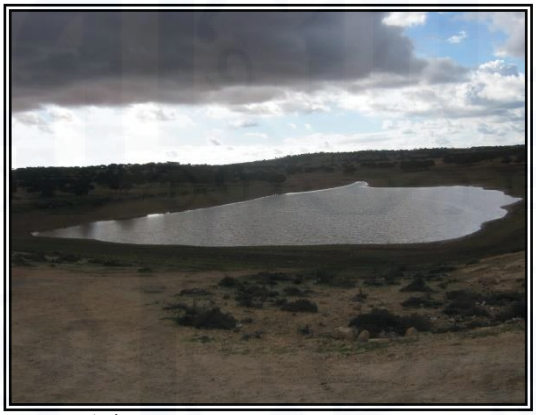

صورة (18): حدود بحيرة سد المحجة في يوم و تاريخ الثلاثاء 2013/12/31.

صورة (19): قياس منسوب بحيرة سد المحجة في يوم وتاريخ الثلاثاء 2013/12/31.

صورة (20): حدود بحيرة سد المحجة في يوم و تاريخ الجمعة 2014/01/03.

صورة (21): محاولة قياس عمق بحيرة سد المحجة في يوم وتاريخ الجمعة 2014/01/03.

صورة (22): رفع مساحة وأبعاد بحيرة سد المحجة بجهاز G.P.S. الجمعة 2014/01/03.

صورة (23): التشققات الطينية في وسط الوادي في أعالي وسط بحيرة سد المحجة, 2014/01/09.

صورة (24): بحيرة سد المحجة يوم الأحد الموافق 2014/02/02.

صورة (25): حدود بحيرة سد المحجة يوم وتاريخ الاثنين 2014/02/24.

صورة (26): حدود بحيرة مياه سد المحجة يوم السبت الموافق 2014/03/15.

صورة(27): بحيرة مياه سد المحجة يوم الخميس 2014/03/27.

صورة (28): حدود بحيرة مياه سد المحجة في يوم الخميس الموافق 2014/04/17, أي بعد 160 يوم من تاريخ امتلائها, مساحة بحيرة المياه المتبقية تبلغ نحو 8533 م^2 .

صورة (29): رفع مساحة بحيرة مياه سد المحجة بوساطة G.P.S, البالغة 8533 م^2 , الخميس 2014/04/17.

صورة (30): حدود ما تبقى من بحيرة مياه سد المحجة في يوم الأحد الموافق 2014/05/04، لاحظ على يسار الصورة كومة رمل حجمها 22 م^3 تم شراؤها من فريق البحث في يوم الخميس الموافق 2014/04/17، ومانع أصحاب الأرض من استعمال الرمل في حشو وسطم البالوعة الرئيسية من اجل سدها.

صورة (31): جفاف بحيرة مياه سد المجحة التي امتلأت في يوم الجمعة الموافق 2013/11/08. ، يوم وتاريخ الصورة السبت 2014/05/17.

صورة (32): ظهور التشققات الطينة في أخر بقعة رطوبة في أرضية بحيرة سد المحجة، السبت 2014/05/17.

صورة (33): تجديد مياه بحيرة سد المحجة من جراء عاصفة الأمطار الصيفية التي حدثت في يوم الثلاثاء الموافق 2014/06/10, ارتفاع عمود مياه البحيرة حوالي 41 سم, مساحة مياه البحيرة حسب G. P. S. تبلغ حوالي 12462 م^2, يوم وتاريخ الصورة الأربعاء 2014/06/11.

صورة (34): تهيئة الرمل من أجل سطم البالوعة الرئيسية في سد المحجة، إن معارضة أصحاب الأرض منع فريق العمل من استكمال مهمة سد البالوعة بالرمل. السبت 2014/05/17.

صورة (35): خزان محفور 40م × 40م × 4م أسفل سد المحجة بحوالي 400م , يتعرض الخزان للردم السريع بسبب دخول مياه السيل للخزان مباشرة دون أن تمر مياه السيل ببركة ترقيد تخفف من حجم الرسوبيات, 2013/01/09.

صورة (36): خزان محفور 40م × 40م × 4م على الجانب الأيمن لبحيرة سد المحجة وفي أعاليها, لم تبلغه مياه البحيرة منذ إنشائه بسبب ارتفاع منسوب سطحه بمقدار 1 م عن منسوب مصرف السد, 2013/12/15.

منسوب بحيرة مياه سد المحجة بعد امتلائها بثلاث أيام, الاثنين 2013/11/11.	منسوب بحيرة مياه سد المحجة بعد امتلائها بيوم واحد, الثلاثاء 2007/10/23.

صورة مزدوجة (37): للمقارنة بين مقدار هبوط منسوب بحيرة مياه سد المحجة على جسم السد بعد ثلاث أيام من امتلائها في 2013 على اليمين, وبين منسوبها بعد يوم واحد من امتلائها في 2007 على اليسار.

صورة (38): جفاف بحيرة المياه الصيفية في سد المحجة منذ فترة حوالي 15 يوم, الخميس 2014/07/10.

صورة (39): تجديد جزئي لمياه بحيرة سد المحجة في موسم 2014 - 2015، من جراء عاصفة يوم الثلاثاء الموافق 2015/01/06، يوم وتاريخ الصورة الجمعة 2015/01/09.

صورة (40): صدوع تساهم في تهريب مياه بحيرة سد المحجة تظهر على الجانب الصخري الأيسر للبحيرة وفوق المنسوب الذي بلغه ماء البحيرة, الأحد 2013/12/15.

صورة (41): صخور الحجر الجيري بيضاء إلي مصفرة صلبة ومتماسكة وغنية بالمستحاثات من المرجان وكائنات بحرية، بالوعة في يمين بحيرة سد المحجة 2007/06/19.

القياسات الميدانية للمناسيب المائية والنتائج المترتبة عليها: جدولين (1)، شكلين (4 و 5).

تاريخ الزيارة والقياس	انخفاض منسوب البحيرة للمقارنة (سم)	عدد الأيام للفترة (يوم)	معدل الهبوط للفترة (سم/يوم)	هبوط المنسوب التراكمي (سم)	عدد الأيام التراكمي (يوم)	معدل الهبوط العام (سم/يوم)	تراجع المنسوب على المنحدر الأيسر (م)	معدل انحدار الجانب الأيسر (%)	ارتفاع عمود المياه المتبقي (سم)
/11/08 2013	276			0		0			276
		معدل هبوط سريع لفترة 3 أيام = 45 سم/يوم: تهريب و رشح و تبخر							
/11/11 2013	135 -	3	45	135	3	45	9.65	13.989	141
/11/23 2013		12			15				
		معدل هبوط متوسط لفترة 20 يوم = 2.825 سم/يوم: رشح و تبخر							
/11/26 2013	44 -	15	2.93	179	18	9.94	5		97
/11/28 2013	9 -	2	4.5	188	20	9.4	0.6		88
/12/01 2013	3.5 -	3	1.167	191.5	23	8.33	0.6		84.5
		معدل هبوط بسيط ومقبول لفترة 167 يوم = 0.506 سم/يوم: تبخر							
/12/12 2013	6.5 -	11	0.59	198	34	5.823	0.8		78
/12/23 2013	4 -	11	0.364	202	45	4.89	0.5		74
/12/31 2013	2 -	8	0.25	204	53	3.849	0.5		72
/01/03 2014	2 -	3	0.667	206	56	3.679	0.33		70
/01/09 2014	2 -	6	0.333	208	62	3.355	0.60		68
/02/02 2014	8 -	24	0.333	216	86	2.512	0.70		60
	216 -	86		216	86		19.28	11.203	

/02/16 2014	م.م	جديد						
/02/16 2014	(7 -)	14	0.5	223	100	2.23		تقدير	53
/02/24 2014	5 -	8	0.625	228	108	2.139			48
/03/15 2014	10 -	19	0.526	238	127	1.898	الحرارة	17.5^0 م	38
/03/27 2014	7.5 -	12	0.625	245.5	139	1.766			30.5
/04/17 2014	12 -	21	0.571	257.5	160	1.61			18.5
/05/17 2014	18.5 -	30	0.62	276	190	1.453	جفاف	البحيرة	00.0
الموازنة	276	190	1.453	276	190	1.453			00.0
	عاصفة أمطار صيفية في 09 و 10.06.2014 تحدث جريان في 10.06.2014								
/06/10 2014	تجديد جزئي لمياه بحيرة السد من أمطار الثلاثاء 10.06.2014 حيث بلغ عمود مياه البحيرة نحو 41 سم								
/06/11 2014	41								41
/06/25 2014	41-	15	2.73	41	15	2.73			00.0
/07/10 2014	-	29	البحيرة جافة منذ فترة نحو 15 يوم						

جدول (1): يبين تواريخ قياسات مناسيب بحيرة سد المحجة ومعدلات هبوطها اليومية والتراكمية، ومرورها بثلاث مراحل هبوط رئيسة، من يوم الجمعة الموافق لتاريخ امتلائها في 2013/11/08, وحتى يوم السبت الموافق 2014/05/17, حيث تم نضوب مياه البحيرة, ومن ثم تلى ذلك تجديد جزئي لمياه بحيرة السد من جراء أمطار العاصفة الصيفية يوم الاثنين 2014/06/09 وجفاف البحيرة في بداية شهر يوليو(2014/07), عن الحنفي والتواتي.

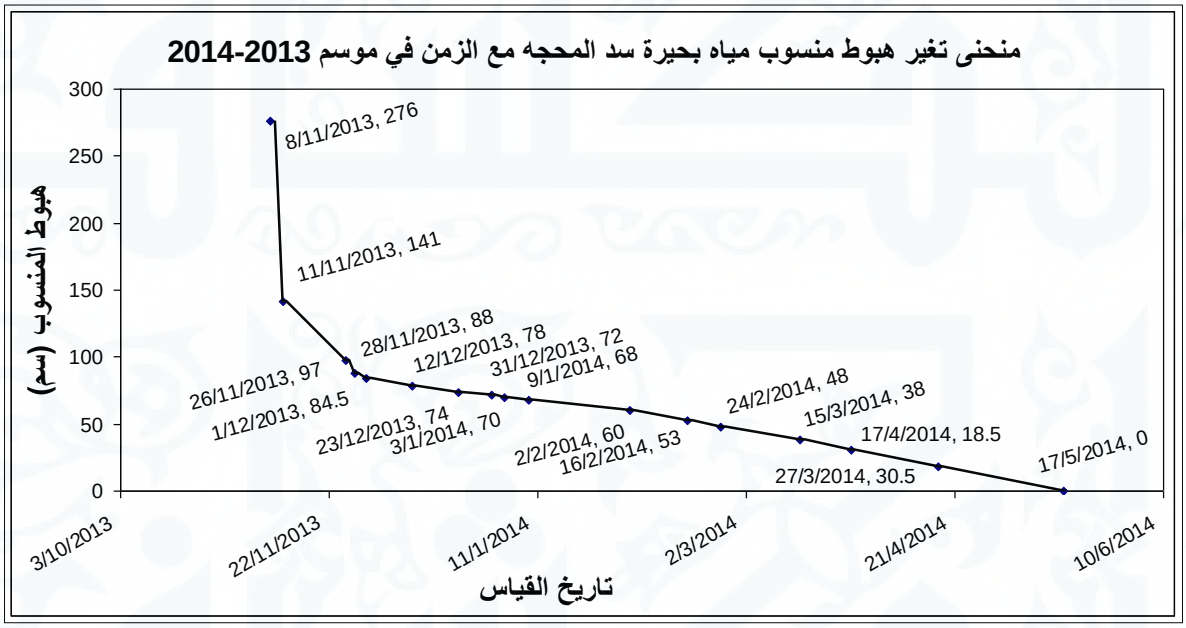

شكل (4): منحني تغير منسوب بحيرة مياه سد المحجة خلال 190 يوم بحسب تواريخ القياسات، من تاريخ امتلائها بتاريخ 2013/11/08 وحتى نضوبها في يوم السبت الموافق 2014/05/17, بحسب الحنفي والتواتي.

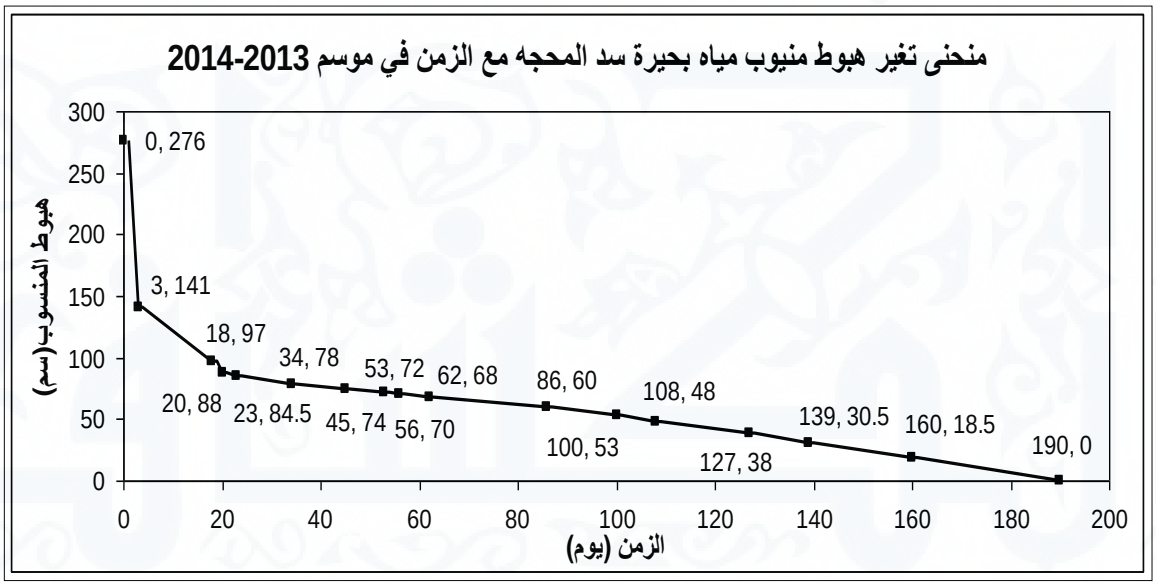

شكل (5): منحني تغير منسوب بحيرة مياه سد المحجة خلال 190 يوم من تاريخ امتلائها بتاريخ 2013/11/08 وحتى نضوبها في يوم السبت الموافق 2014/05/17، بحسب الحنفي والتواتي.

نتائج قياسات تغير مناسيب بحيرة مياه سد المحجة وتأثير ذلك على تغير حدود ومساحات البحيرة في موسم 2013-2014: شكلين (6 و 7)

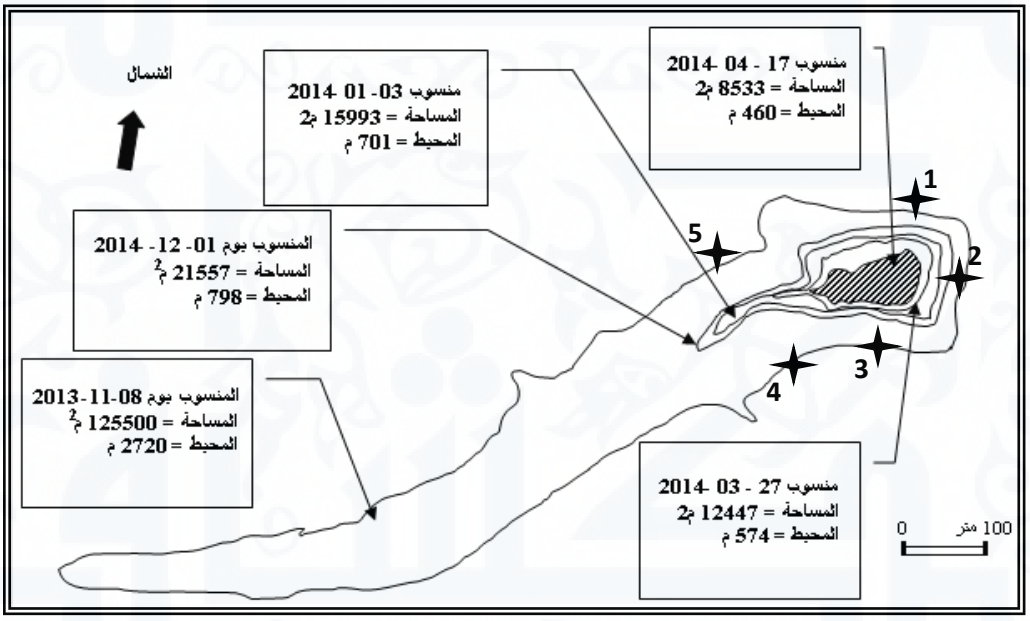

شكل (6): تراجع منسوب وتغير حدود ومساحة بحيرة مياه سد المحجة خلال موسم 2013-2014, بحسب الرفع المساحي بوساطة .G.P.S، مبين على الشكل خمس نقاط قيست عندها مناسيب المقارنة.

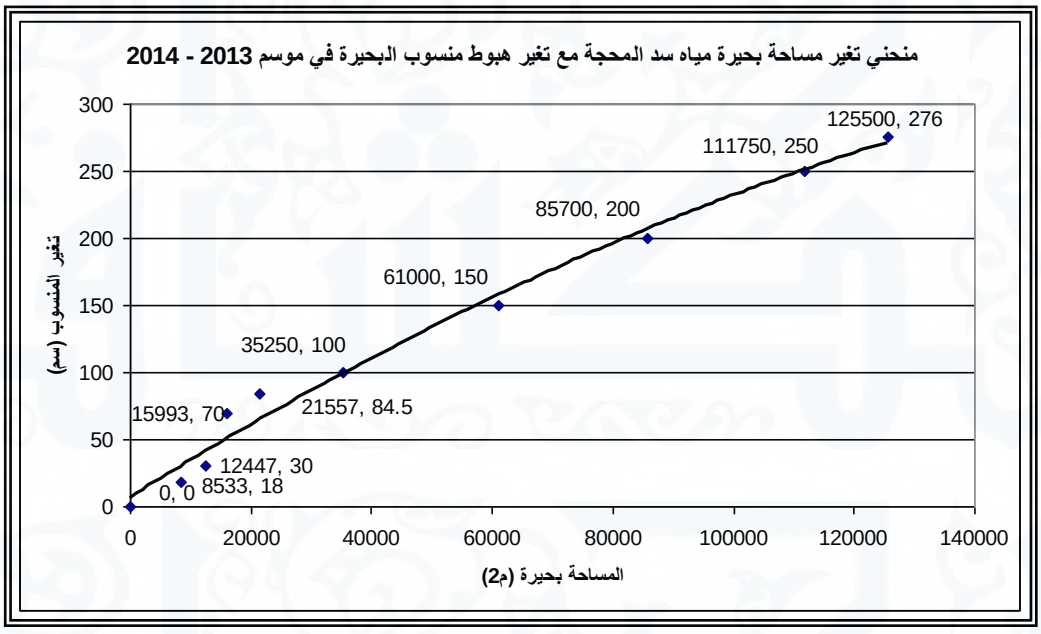

شكل (7): منحنى تغير مساحة مياه بحيرة سد المحجة مع تغير هبوط منسوب البحيرة في موسم 2013 – 2014، وفق الرفع المساحي لخمسة مناسيب بواسطة G.P.S وأربعة نقاط بمساعدة الرسم البياني عند مناسيب 250 ، 200، 150 و 100 سم .

استنتاج قيم الفاقد المائي من بحيرة مياه سد المحجة بدلالة تغير مناسيب ومساحات البحيرة في موسم 2013-2014: جدول (2)

التاريخ	ارتفاع عمود مياه البحيرة (سم)	القطاع المائي (سم)	مساحة البحيرة ($م^2$)	متوسط مساحة القطاع المائي ($م^2$)	هبوط المنسوب (م)	حجم المياه المفقودة ($م^3$)	الفترة (يوم)	معدل الفاقد اليومي ($م^3$/يوم)	معدل الفاقد (ل/ثا)
08.11.2013	276		125500		0		0		
09.11.2013	250	250 – 276	111750	118625	0.26	30842.5	1	30842.5	357
10.11.2013	200	200 – 250	85700	98725	0.5	49362.5	1	49362.5	571.3
11.11.2013	150	150 – 200	61000	73350	0.5	36675	1	36675	424.5
25.11.2013	100	100 – 150	35250	48125	0.5	24062.5	14	1718.75	19.9
01.12.2013	84.5	84.5 -100	21557	28403.5	0.155	4402.54	6	733.757	8.5
03.01.2014	70	70 – 84.5	15993	18775	0.145	2722.37	33	82.5	0.95
27.03.2014	30	30 – 70	12447	14220	0.4	5688	83	68.53	0.8
17.04.2014	18	18-30	8533	10490	0.12	1258.8	21	59.543	0.694
17.05.2014	0	0 – 18	0	4266.5	0.18	767.97	33	23.3	0.27
الموازنة	276	0 – 276	125500	56442.83	2.76	155782.2	190	807.16	9.34

جدول (2): الفواقد المائية من بحيرة مياه سد المحجة منذ تاريخ امتلائها وحتى نضوبها بتاريخ 17.05.2014 خلال 190 يوم في موسم 2013 – 2014.

نتائج دراسة تغير هبوط منسوب مياه بحيرة سد المحجة في موسم 2013- 2014: شكل (8)

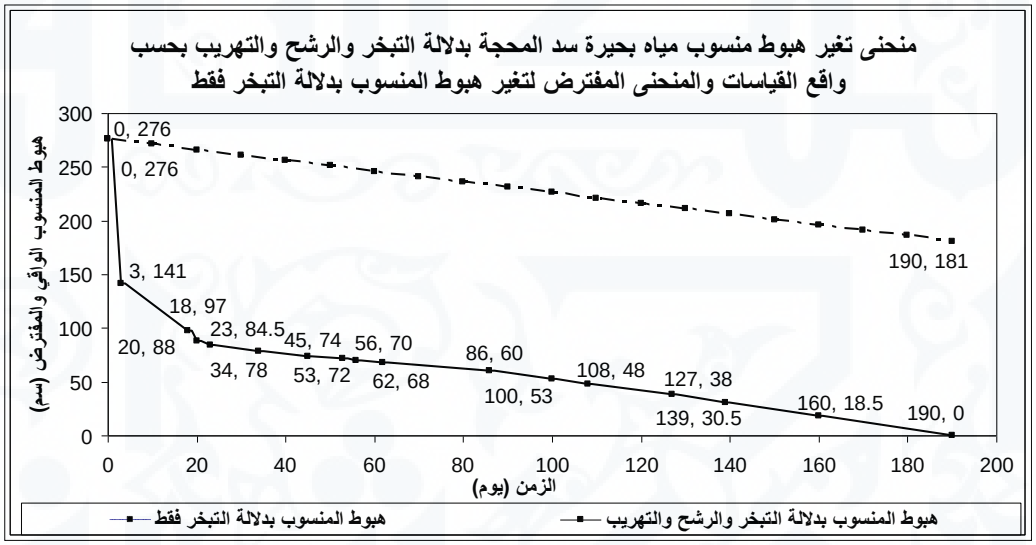

شكل (8): منحني الهبوط المفترض في الأعلى بدلالة التبخر فقط فيما لو منع الرشح والتهريب الذي يظهر أثره في الهبوط السريع والمتوسط في المنحني الأسفل بسبب البالوعات الموجودة على الجانب الأيمن لبحيرة سد وادي المحجة.

- **أهم نتائج الدراسة:**

1. فترة هبوط سريع لمنسوب مياه بحيرة سد المحجة ناتج عن تهريب مياه البحيرة في البالوعات: 135 سم/3 أيام أي بمعدل 45 سم/يوم, تقارب فيها كمية معدل الفاقد المائي 38890 م3/يوم أي ما يعادل 450 ل/ثا، جدول (1) و الاشكال (4 ، 5 ، 8).
2. فترة هبوط متوسط بسبب الرشح وتهريب الماء في شبكة الشقوق المتصلة بالبالوعات: 56.5 سم/20 يوم أي بمعدل 2.825 سم/يوم, يبلغ فيها معدل الفاقد المائي نحو 1423.252 م3/يوم أي ما يعادل 16.5 ل/ثا.
3. فترة هبوط بسيط أو بطئ ومقبول لمنسوب مياه بحيرة سد المحجة نتيجة التبخر فقط: 84.5 سم /167 يوم أي بمعدل 0.506 سم/يوم, يبلغ فيها معدل الفاقد المائي حوالي 71.1م3/يوم أي نحو 0.823 ل/ثا.
4. على ضوء النتائج السابقة فإن عمود ماء في بحيرة سد المحجة مقداره 3م يستنزف بالتبخر فقط يمكن أن يستديم في البحيرة لمدة 600 يوم, مع أن ما يضاف إليها من أمطار تسقط على سطح المياه الحر للبحيرة بمعدل 35 سم/سنة يجعل مياهها دائمة لمدة 600+70=670 يوم؛ أي ما يقارب سنتين في حال عدم حدوث جريان جديد في الوادي, وعليه فمن الواجب العمل على إحياء بحيرة سد المحجة بأسرع وقت.

- **توصيات ومقترحات:**

مقترح عاجل وضروري:

1- حشو وسطم البالوعتين الموجودتين على الجانب الأيمن للبحيرة بالرمل لتوقيف الرشح وتهريب المياه السريع من البحيرة. وإبقاء مياه البحيرة تستنزف بالتبخر (والرشح الضعيف) فقط الذي لا يتجاوز معدله 0.5 سم/يوم.

مقترح لاحق لكنه ضروري:

2- رفع منسوب سطح سد المحجة بمقدار 1.5م ليتساوى مع منسوب طريق القطران لرفع منسوب مياه البحيرة بمقدار يفوق 1م إضافي يعزز من القدرة الاستيعابية للسد ويعزز فرصة استدامة البحيرة لحوالي 800 يوم على الأقل, والتحكم بشكل جيد بالمصرف الجانبي ليتم ملئ الحفرة الاصطناعية وتفعيلها في أعالي البحيرة.

- **خاتمة :**

يجب الاهتمام في صيانة وتطوير بحيرة مياه سد المحجة لتأمين مورد مائي في البيئة المحلية يعادل نحو 200 ألف متر مكعب من المياه السطحية، التي ستلعب دورا فاعلا في الحفاظ على موارد البيئة الطبيعية وتنشيط تنميتها وخصوصا أذا استدامة مياه البحيرة على طول الزمن دون ان يحدث لها جفاف يؤدي إلى تدهور موارد البيئة المحلية من جديد.

- المراجع:

1- الجمهورية العربية الليبية (1964)، خرائط طبوغرافية، لوحة الفائدية ، مقياس 1:50000، الجيش الأمريكي.

2- محمد غازي الحنفي،عوض جبريل غيث، تقنيات جمع المياه في حوض إقليم الجبل الأخضر, 48 صفحة, المؤتمر الدولي الأول حول موارد المياه بالجبل الأخضر 05 – 07 يونيو 2012, جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

3- محمد غازي الحنفي،عوض عبد الواحد عوض, مشاكل الجريان السطحي في بيئات أحواض أودية المنطقة الوسطى من السفح الجنوبي للجبل الأخضر, 46 صفحة, المؤتمر الدولي الأول حول موارد المياه بالجبل الأخضر 05 – 07 يونيو 2012, جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

4- محمد غازي الحنفي، سعيد إدريس نوح, المتوسط المكافئ للهطول المطري والتقدير الكمي للتساقط على حوض الجبل الأخضر- ليبيا, المجلة الدولية للمركز الليبي للبحوث الزراعية, L.A.R.C.J.I. المجلد 3, العدد (S) 2012، ص . ص 1133 – 1153.

5 – محمد غازي الحنفي, تأثير الطبوغرافيا والبنية الجيولوجية على الوضع المائي في حوض الجبل الأخضر, المجلة الدولية للمركز الليبي للبحوث الزراعية, L.A.R.C.J.I. المجلد 3, العدد (S) 2012، ص . ص 1189 – 1234.

6 - P.Rohlich (1974), geological map of Libya -1:250000, Sheet N I 3415, Ibayda, E plana Tory Booklet, (Industrial Research Centre), Tripoli , 1974 , P. 58.

7 - P. Rohlich (1980), Tcctonic Dcvclopmcnt of Aljabal Al Akdar The Geology of Libya,volum III, (Eds . py M . I . Salem and Busrewil), Academic Press London, Universty of El Fateh.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

رثاء العمادِ الأصفهاني الناصرَ صلاح الدين الأيوبي - دراسة توثيقيّة تحليليّة

أ. فدوى إبراهيم عبدالله ثابت.

(مساعد محاضر بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية التربية قمينس - جامعة بنغازي – ليبيا)

رثاء العمادِ الأصفهاني الناصرَ صلاح الدين الأيوبي

أ- سكوت جل الشعراء الذين مدحوا صلاح الدين الأيوبي عن رثائه .
ب- وقفة عند القصيدة التي رثى بها العمادُ الأصفهاني صلاحَ الدين الأيوبي .

- دراسة توثيقيّة تحليليّة -

ملخص البحث:

في هذه الورقة حاولت إجابة سؤالين:-

الأول : لماذا سكت جل الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين الأيوبي عن رثائه ؟ مع أن الدافع الديني كان الأبرز وراء مدحهم له ! وفي محاولة للإجابة وضعت أربع فرضيات ناقشتها، وأثناء ذلك بينت مغالطة وقع فيها بعض مؤرخي الأدب العربي ، في شأن كثرة من رثى الناصر صلاح الدين من الشعراء .

الآخر : توقفت عند رثاء العماد الأصفهاني صلاح الدين وخاصة عند القصيدة التي وصلنا منها قدرا صالحا للدراسة وحاولت إخضاعها لدراسة فنية تستجلي إبداع العماد فيها وهل استطاع الخروج من ثوبه البديعي ،والانطلاق إلى آفاق أرحب من التلاعب اللفظي والرنين الموسيقي ، ليواكب فداحة الحدث الذي حل بالإسلام والمسلمين بفقد هذا البطل الكبير.

أ- **سكوت جل الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين الأيوبي عن رثائه :** توفي الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة خمسمائة وتسع وثمانين هـ [1]، ولم يرثه من الشعراء الذين مدحوه سوى العماد الأصفهاني[2] .

وهنا يقف بعض مؤرخي الأدب العربي المحدثين[3] الذين تناولوا الشعر الذي قيل في أبطال الحروب الصليبية - لا سيما ما رُثي به الناصر صلاح الدين الأيوبي - على طرفي نقيض مع ابن شداد [4]مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي وذلك عند إشارتهم ، إلى كثرة الشعراء الذين رثوه ، هذا البطل الذي مُدح بعدد كبير من القصائد ربا عن مائة وثمان وثمانين قصيدة، من قِبل خمسين شاعراً[5]، حيث مدحه الشامي منهم كفتيان الشاغوري[6]، والمصري كابن سناء الملك[7]، وكذلك مدحه العراقي سبط ابن التعاويذي[8]، والمغربي كالحكيم الجلياني[9]، وقد رافقته هذه القصائد منذ بروز نجمه عندما تولى وزارة مصر[10]مروراً بمعركة حطين[11]ثم فتح بيت المقدس[12].

لقد كان جديراً ببطل مُدح بكل تلك القصائد أن يُرثى، ولو حتى بعُشر ما مُدِح به، ولكن لا يُعثر بصدى لرثائه بين الشعراء الذين مدحوه ، بله غيرهم ممن عاصره، وكان هذا الزخم من المدح بتلك الصفات الجليلة يعطي إشارة واضحة[13] إلى أن هذا البطل سوف يُرثى بقصائد يتفجع فيها الراثي عليه وعلى زمانه، ويبث فيها حرقة قلبه ، ويشير إلى ذل المسلمين وبلادهم من بعده، ولكن كل هذا لم يحدث حيث سكت جُلّ الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين عن رثائه باستثناء ثلاثة شعراء أقولها تجاوزا.

أمّا الأول فهو عماد الدين الأصفهاني الذي يبدو أنه رثاه بأكثر من قصيدة إلاّ أنه لم يصلنا منها جميعاً إلاّ أقل القليل، فهي في ديوانه وكتابه (البرق الشامي) وهما مفقودان ، فقد وصلنا من إحدى قصائده ما يزيد على ربعها بقليل، وانظر إلى قول أبي شامة المقدسي :" وختم العماد، كتابه البرق الشامي بقصيدة رثى فيها السلطان رحمه الله، عدّدها في ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً "[14] وقد أورد منها أبو شامة سبعة وستين بيتاً.أمّا القصيدة الثانية فلم يردعنها تحقيق لعدد أبياتها ومكانها، ولكن أبا شامة أورد منها مقطوعة من سبعة أبيات فقط[15]، الثالثة رباعية ، وصلتنا كما هي أيضا في كتاب الروضتين نقلا عن العماد من كتاب البرق الشامي[16].

والشاعر الثاني الذي وصلنا رثاؤه الناصرَ ، هو القاضي الفاضل[17] الذي رثاه – مما تيقنت منه – بثلاثة أبيات فقط[18]، ولكن نلتمس له العذر ،فلم يكن من الشعراء الذين مدحوه فقد رافق الناصر ناثراً لا شاعراً.

وأما الشاعر الأخير فهو جعفر بن شمس الخلافة[19] حيث أورد له أبو شامة مقطوعة قصيرة في رثاء الناصر صلاح الدين الأيوبي[20] وهو أيضا ليس من مادحيه.

هذا الإقلال في الرثاء لا يتفق مع ما نجده عند مؤرخي الأدب في هذا العصر، فالدكتور شوقي ضيف يقول متحدثاً عن رثاء الشعراء الناصرَ صلاح الدين : (وكانت لوفاته سنة 589 هـ ، رنة حزن عميقة في جميع القلوب والديار لكثرة فتوحاته.....وبكاه الشعراء وفي مقدمتهم عماد الدين الأصبهاني[21] ومع ذلك فهو لا يورد دليلاً على كلامه إلاّ أبيات العماد الموجودة في كتاب الروضتين ، ولم يُسمِ شاعراً آخر غيره.

وكذلك الحال مع د. أحمد أحمد بدوي الذي يقول متحدثاً عن أبطال الحروب الصليبية : " وإذا كان الشعراء قد التفوا حول أولئك الرجال، يمجدون بطولتهم فقد بكوا عليهم عندما نزل بهم الموت ..... وكان صلاح الدين أوفر هؤلاء الأبطال كذلك حظاً من الرثاء"[22].

ولكنه لم يذكر بيتاً واحداً في رثائه ولا سمّى شاعراً.

وغير بعيد منهما د.محمد علي الهرفي حيث يقول : " إذ رثاه العديد من الشعراء بقصائد تتفق ومكانته العظيمة، ومن هؤلاء الشعراء العماد الأصفهاني"[23].

ومع أن عبارته تعطي دلالة على كثرة من رثى الناصر صلاح الدين إلا أنه لم يُسَمِ شاعراً آخر غير العماد الأصفهاني من الذين رثوه.

وهنا يبرز التساؤل عن مصداقية مدح الشعراء للناصر صلاح الدين وغياب رثائهم له، فهل يرجع هذا إلى قلة الوفاء وأنهم ما مدحوه إلاّ ليتكسبوا بهذا الشعر، فلما مات الناصر مات الدافع لمدحه، أم أن الشعر الذي رُثي به الناصر ضاع ولم يُدوّن في الكتب التي أرّخت لوفاته.

أم يرجع الأمر إلى تلك المعاهدة التي عقدها الناصر صلاح الدين مع ملك الصليبيّين، ريتشارد قلب الأسد[24]قبيل وفاته مما كان لها الأثر السلبي على الشعراء خاصة وأنه لم يخض بعدها أي معركةضد الصليبيّين، ولم يسجّل أي فتح ممّا أدّى إلى فتور همّتهم عن رثائه عند وفاته [25].

أم يعود الأمر إلى شدة وقع وفاته على الناس عامة والشعراء خاصة مما كمم أفواههم وألجم ألسنتهم.

كل هذه فرضيات ، وقبل الخوض فيها تجدر الإشارة إلى أمر هامهو أن هناك عدداً غير قليل من الشعراء الذين مدحوه قد توفوا قبله، وهم على ما تيقّنت منه، أسامة بن منقذ[26]، و و وسبط ابن التعاويذي[27]، وعبد الله بن رواحة [28]، وعرقلة الكلبي[29]، و مهذّب الدين الموصلي[30]،و الشريف النسابة[31]، ووجيه الدين ابن الذروي[32]، وفخر الكُتّاب الجويني[33]، وكذلك عمارة اليمني[34].

وتجدر الإشارة إلى وجود شاعر اختُلِف في تاريخ وفاته ، هو علم الدين الشاتاني[35]، وآخرَين لم يعرف لهما تاريخ وفاة[36].

وفي محاولة لمناقشة هذه الفرضيات نتوقف عند الأولى منها وهي :

- قلة وفاء الشعراء الذين مدحوه، وهذا يقودنا إلى أن مدحهم له كان لغرض التكسب بالشعر ، وهو مذهب عُرِف عند الشعراء العرب قديماً[37].

ولكن هل ينطبق هذا على شعرائنا موضوع الورقة؟ هنا يتجاذبني أمران ، الأول : استبعاد هذه الفرضية لأنها تصدق على شعراء كانوا يمدحون ملوكاً وخلفاء وولاة، يمكث الشعراء في قصورهم وينعمون برغد العيش عندهم،و العطايا الجزيلة، ولكن لا تصدق على شعراء مدحوا بطلاً أمضى حياته في ساحة القتال بين رمح وسيف ومنجنيق ونار، بطلاً لم يستقر في مكان منذ أن شب ، فقد بعد عن التمتع بملذات الحياة، لأن من اضطلع بأمور المسلمين وحمل عبء الجهاد والذب عن الديار والعباد لم ينعم برغد العيش كغيره من الملوك والسلاطين[38] ، كما لا تصدق هذه الفرضية على ممدوح أعطى الشعراء الذين لم يمدحوه ولا ببيت منمن الشعر[39].وهنا أطمئن للقول :إن مدحهم له كان لأجل شعور نبيل ملأ جنبات نفوسهم، فهم عندما يمدحونه يتمثلون الشجاعة في القتالوالأمانة على الأمة، وحماية الدين والمقدَّسات، والتحريض على دحض الصليبيّين، هذه المعاني الجليلة نجدها في معظم قصائدهم، وبذلك يمكن القول إن معظم القصائد التي مُدِح بها الناصر كانت صدى لمعاركه وبطولاته الكثيرة، وهذا من الدلائل على ارتباط مدحهم له بالجانب الديني والعقائدي.

والآخر: أجد أنها قد تصدق على بعضهم، فمن الشعراء من استجدى عطاياه ووقف ببابه، واستنجزه وعداً وعده إياه كعرقلة الكلبي الذي كان الناصر قد وعده بمبلغ من المال إذا فتح مصر، فلما تم له الفتح استنجزه العرقلة ما وعده[40].وكله ثقة بأنه سيعطيه ما وعده به، وهذا ما كان فمدحه بعد ذلك بأبيات يشكره فيها على تحقيق وعده[41].

وفي هذا المضمار يقول ابن العديم متحدثا عن الناصر صلاح الدين: " وكانت الوفود تزدحم ببابه كل عام من الشعراء والقرّاء والفقراء..... ولم يجتمع بباب أحد بعد سيف الدولة الحمداني ما اجتمع ببابه، مع زيادته في الإعطاء عن سيف الدولة"[42].

ومن المفارقات الغريبة أن يبعث العماد الأصفهاني إلى صلاح الدين بأبيات محمّلة بالعتاب؛ لأنه خلع على جماعة خلعاً جديدة، وخلع على العماد خلعة ملبوسة[43]، ومع ذلك فالعماد هو الشاعر الوحيدالذي رثاه من بين الشعراء الذين مدحوه.

وبنظرة أكثر عمقاً لتلك القصائد التي مُدِح بها والصفات التي كانت مدار المدح يمكننا القول : إن مصداقيتها كانت الأدلّ على استبعاد قلة وفاء الشعراء الذين مدحوه كما يدعو إلى الابتعاد عن وَسْمِ مادحيه بالتكسب بالشعر.

وهذا يقودنا إلى الفرضية الثانية وهي أن الشعراء عزفوا عن رثائه بسبب الصلح الذي عقده مع ريتشارد قلب الأسد و فيه تنازل عن بعض ما استنقذه المسلمون من الصليبيين، وكان عقده نتيجة للتعب والعناء الذي حلّ بالفريقين، وجاء بعد سقوط عكا في أيدي الصليبيّين وبعد جولات وصولات امتدت إلى ما يقارب العامين، لم يَألُ فيهما الناصر جهداً في قتالهم والدفاع عن ديارالمسلمين[44]،وقد أرغم على عقد هدنة مع ملكهم نظراً للظروف القاسية التي كان يمرّ بها الجيش الإسلامي في ذلك الوقت[45]، فالفترة التي تلت الهدنة لم تجر فيها أي معركة ولم يُحرَز فيها أي نصر من جانب المسلمين بقيادة الناصر صلاح الدين، وربما كان هذا سبباً كافياً لفتور همّة الشعراء في رثائه عند وفاته، فقد كانوا يستمدون معاني أشعارهم من انتصاراته وفتوحاته، وقصائدهم لم تكن في وصف ثرائه ولا قصوره، بل دارت كلُّها حول قتال الصليبيّين، ذلك الهم الذي كان يشغل بال المسلمين في ذلك الوقت.

وهذا مما يعزز الفرضية الثانية وينفي الأولى، فالناصر خرج من قصائدهم بنهاية حروبه وانتصاراته، ثم جاء موته فلم يجد صدى عندهم . وأغلب الظن أنه لو مات في إحدى الحروب التي خاضها لكان ذلك دافعاً قوياً إلى رثائه، أما وقد توقف عن قتال الصليبيين وعقد الهدنة معهم فهذا يعني انقطاع الرافد الرئيس الذي كان يرفد قصائد مادحيه.

أما الفرضية الثالثة وهي فرضية لها أهميتها ، وتتمثل في ضياع الشعر الذي رثي به الناصر فكثير من الشعراء الذين مدحوه ليست لهم دواوين تجمع قصائدهم [46]، بالإضافة إلى تعدد الأقطار التي ينتمون إليها وبُعدِها عن المكان الذي توفي فيه الناصر : (دمشق)[47].

ومن البديهي أن يكونوا غير ملازمين له في حِلّه وتَرحالِه، لذلك يمكن أن نفترض أنهم رثوه وضاع هذا الشعر للأسباب السابقة، ولكن قد يُثار تساؤل في هذا الموضع..وهو أن مدحهم وصل مع أن كثيراً منهم كان يقطن بعيداً عن مكان الناصر صلاح الدين، فلماذا لم يصل إلينا الرثاء؟

وتتلخص الإجابة في أنهم كثيراً ما قصدوه عند إحرازه نصراً أو فتحه مكاناً وكان الغرض من قصدهم إياه ، المدح، لذلك فمدحهم له مرتبط بفتوحاته وهذا ما جعل كثيراً من تلك الأشعار يصل إلينا في كتب التاريخ التي أرّخت لدولته، حيث حرص المؤرخون وعلى رأسهم أبو شامة المقدسي في كتابه : (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)، وابن واصل

في كتابه : (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ، حرصوا على ذكر الشعر الذي يتعلق بالمناسبة المُؤرَّخ لها ، وغالباً ما كان الشاعر يلقيه على مسامع الناصر بُعيد انتصاره.

أما الرثاء فمن المستبعد أن يقصد الشاعر دمشق بعد وفاة الناصر ليرثيه، خاصة أن دولته توزّعت في أبنائه بعد وفاته، هذا من جانب. ومن جانب آخر فالشاعرإن رثاه من مكانه لم يجد من يسجّل هذا الرثاء خاصةً إن لم يكن للشاعر ديوان.

وتبقى الفرضية الرابعة ، التي تشير إلى شدّة الفاجعة بموته، يقول ابن شداد : " وارتفعت الأصوات عند مشاهدته، وعظُمَ الضجيج، حتى إن العاقل يتخيل أن الدّنيا كلُّها تصيح صوتاً واحداً، وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة، وصلّى عليه الناس أرسالاً.... ثم نزل في أثناء النهار ولده الظافر[48]وعزّى الناس فيه، وسكّن قلوب الناس.وكان الناس قد شغلهم الحزن والبكاء عن الاشتغال بالنهب والفساد فلا يوجد قلب إلاّ حزين ولا عين إلاّ باكية إلاّ من شاء الله .....واشتغل ذلك اليوم الملك الأفضل[49]بكتب الكتب إلى إخوته وعمّه يخبرهم الحادث، وفي اليوم الثاني جلس للعزاء جلوساً عاماً، وأطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء، وتكلّم المتكلّمون، ولم ينشد شاعرٌ"[50].

فهذا إذا كلام من حضر الوفاة، وفيه إشارات ،إلى أن الفاجعة بفقد الناصر أذهلت الناس عن الصلاة المفروضة في أوقاتها فضلا عما ألفوه في ذلك الوقت من السلب والنهب إذ غاب الرقيب عنهم ! كما يفهم منه أنه لم تقل قصيدة في ذلك الوقت حتى القصيدة التي وصلت إلينا .

ب- قصيدة العماد الأصفهاني في رثاء النصر صلاح الدين.

وفي وقفة عند القصيدة التي رثى بها العماد الأصفهاني الناصر صلاح الدين، وهي قصيدة "عددها في ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً"[51]..أمّا ما وصلنا منها فيبلغ سبعة وستين بيتاً فقط[52].

وهي كما يبدو قصيدة طويلة، وهنا أجد نفسي أميل إلى رأي د.إبراهيم أنيس الذي يقول: " أما تلك المراثي الطويلة، فأغلب الظن أنها نظمت، بعد أن هدأت ثورة الفزع واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر"[53]. وهذا الكلام يكاد ينطبق على القصيدة موضوع الدرس، فإذا علمنا : " أنه لم ينشد شاعرٌ" [54]بعد وفاة الناصر مباشرة، فلا بُدَّ أنه نظمها بعد أن هدأت نفسه، واستكان قلبه، وهو المقرَّب من الناصر المرافق له في حِلّه وترحاله، ولا شك في تأثره بفقده بالغ التأثر[55].

نلمس ذلك في مطلع القصيدة الذي أجاد فيه العماد وبرع، فمطلع القصيدة يدل على مرثية بكائية حزينة[56]:

شمل الهدى والملك عمّ شتاته ***والدهر ساء وأقلعت حسناته

فهو يحمل من المعاني ما يدل على مجمل ما في القصيدة، يقول لنا : الفقيد هو فقيد للدين والدنيا، وأن فقده فرقة للهدى وشتات للملك والدولة ، وسوء للدهر وذهاب للفضائل. ولا أدلّ من هذا المطلع على أبيات القصيدة.

أمّا البحر الذي نظمت فيه القصيدة فهو بحر "الكامل" بتفعيلاته الطويلة، وهو من البحور التي احتلت المرتبة الثانية في النظم عليها عند الشعراء قديماً، وكانت موفورة الحظ عندهم[57].

كما أنه من أكثر بحور الشعر جلجلة، وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر.....ومن عجيب خصائصه انه من أصلح البحور لإبراز العواطف البسيطة غير المعقّدة، كالغضب والفرح، والفخر المحض.....وما إلى ذلك[58].

وقد جعل لها التاء روياً، مع أنها خُتمت بحرف الهاء، إلاّ أن الهاء لا يمكن أن تكون روياً إلاّ إذا كانت من أصل الكلمة وسبقها حرف مد[59]وهذا ما لا نجده في القصيدة، إذا حرف الروي هو التاء، وهي من الحروف المصنّفة على أنها قليلة الشيوع في الشعر العربي، من حيث وقوعها روياً إلاّ أنها من حروف الرّوي السهلة إذا جاءت في قافية المتواتر[60]مسبوقة بألف مد لذا فقد استساغ الشعراء وقوعها روياً[61]، ويبدو أن الشاعر ألزم نفسه بهذه القافية المكوَّنة من الأحرف (ا ت ه) وفيها حرفان لهما دلالتهما فـ (آه) تعني التوجع أو التَّحزُّن[62]، مما يوحي لنا بالألم و التّفجع والحزن الشديد، فهي قصيدة تفيض حزنا وأسى.

وقد عزّز العماد الأصفهاني هذه القافية بموسيقا داخلية برع فيها عندما حشد من ألوان البديع الشيء الكثير في كل أبيات القصيدة، فلا يخلو بيت من لون أو أكثر من ألوان البديع، فالجناس بأنواعه المختلفة[63]نجده في معظم أبيات القصيدة، لا يكاد يخلو منه بيت كما في الأبيات :

أين الذي شرف الزمان بفضله * وسمت على الفضلاء تشريفاته**

لم يجد تدبير الطبيب وكم وكم * أجدت لطب الدهر تدبيراته**

من في الجهاد صفاحه ما أغمدت * بالنصر حتى أغمدت صفحاته**

من في صدور الكفر صدر قناته * حتى توارت بالصياح قناته**

لذ المتاعب في الجهاد ولم تكن * مُذ عاش قطّ لذاته لذّاته**

ونرى من ألوان البديع أيضاً رد الإعجاز على الصدور[64] كما في قوله:

من في صدور الكفر صدر قناته * حتى توارت بالصياح قناته**

والترديد[65]كما في:

جبل تضعضع من تضعضع ركنه * أركاننا وتهدّنا هدّاته**

ما كنت أعلم أن طوداً شامخاً * يهوي ولا تهوي بنا مهواته**

وكذلك التجزئة[66]كما في:

مسعودة غدواته محمودة * روحاته ميمونة صحواته**

والترصيع[67] كما في:

أغلال أعناق العدا أسيافه * أطواق أجياد الورى منّاته**

وغير ذلك من ألوان البديع، وهي كلها قائمة على تكرار الحروف مما يعزّزموسيقا القصيدة. "وقد عدّ القدماء كثرة الأصوات المكرّرة براعة في القول، لولا ما دخل هذه الكثرة في العصور المتأخرة من تكلُّف أخرجها عن حسن القول"[68]. وبالرغم من إكثار العماد من ألوان البديعفي هذه القصيدة- الذي عُرف عنه ولعه الشديد به[69]، إلا أنه أكسبه بُعداً إبداعياً جديداً عندما عمد إلى تكرار أحرف وأساليب بعينها، وإذا علمنا أن البديع قوامه التكرار ولكن بأشكال

مختلفة ومقاييس محددة في مواضع ملتزمة، وهو قد يكون لتقوية النغم أو لتقوية الصورة أو المعنى [70] فقد وجدنا أنه تحقق في أبيات القصيدة التي بين أيدينا.

فعلى مستوى النغم ألزم الشاعر نفسه بتكرار أحرف محددة في الأبيات، هذه الأحرف مطابقة لما التزمه في القافية (ا ت ه) فكررها داخل الأبيات وكرر أيضاً أحرفاً مقاربة للتاء والهاء في صفة الهمسهي: (ث،ح ،س،ش،ص،ف، ك)[71]،وأخرى مطابقة لها أو مقاربة لها في المخرج أو مناظرة لها مع اختلاف الصفة بين الجهر والهمس والتفخيم وهي (د، ط، ح)[72] وهذا ما أشاع نغماً خافتاً حزيناً سيطر على أجواء القصيدة ولننظر إلى الأبيات التالية والحروف التي دارت فيها :

لم يُجـدِ تدبيرُ الطّبيبِ وكَم وكَم * أَجْـدَت لِطبّ الـدَّهـرِ تدبيـراتـه.**

حيث كرر التاء والدال والطاء المتقاربات مخرجا ثلاث عشرة مرةإذا وضعنا الشدّة في الحسبان.

مَن في الجهاد صفاحه ما أُغمِدت * بالنصرِ حتّى أُغمِدت صفحاتُـه.**

وهنا كرر الهاء والحاء المتقاربتان في المخرج والصفة ست مرات ،وكذلك كرر الصاد والتاء المتقاربتان في الصفة سبع مرات والدال المطابقة للتاء في المخرج كررها ثلاث مرات.

قد أظلمت مُذ غاب عنها دَورُه*لَمّا خلت مِن بَدرِهِ داراته.**

وهنا كرر الدال أربع مرات والتاء ثلاث مرات ،أما الهاء فقد كررها أربع مرات .

جبل تضعضع من تضعضع ركنه ***أركاننا وتهدنا هداته .

وفيه كرر الضادمع الدال والتاء المتفقات مخرجا عشر مرات ،وكرر الهاء أربع مرات.

ملأتْ مهابَـتُـــه البــلادَ فإنــهُ * أسدٌ وإن بِلادَهُ غاباتُه.**

وفي هذا البيت كرر الهاء خمس مرات ،أما التاء والدال فقد كرر كل واحدة ثلاث مرات

هل للملوك مضــاؤه في موقـف * شدّت على أعدائه شدّاته**

أما هذا البيت فقد كرر فيه الدال خمس مرات إذا أخذنا في الحسبان التشديد والهاء أربعمرات.وهكذا الحال في كل أبيات القصيدة التي بين أيدينا .

وعلى مستوى المعنى كان لتكرار أسلوب الاستفهام الفضل في تعميق الشعور بفقد الناصر، وقد وصلنا هذا الإحساس عندما أتبع المطلع بهذه الأبيات الست :

أين الذي مذ لم يزل مخشية * مرجوّة رهباته وهباته؟**

أين الذي كانت له طاعاتنا * مبذولة واربه طاعاته؟**

بالله أين الناصر الملك الذي * لله خالصة صفت نيّاته؟**

أين الذي ما زال سلطاناً لنا * يرجى نداه وتُتَّقى سطواته؟**

أين الذي شرُف الزمان بفضله * وسمت على الفُضلاء تشريفاته؟**

أين الذي عَنِت الفرنج لبأسه * ذُلاً ومنها أُدرِكت ثاراته؟**

حيث نجد أنه بدأها كلها بالاستفهام عن المكان الذي ذهب له هذا البطل فقد أصبح تحت التراب، وفي كل استفهام كان يبحث عن مأثرة من مآثر الناصر صلاح الدين فالناس لايزالون

يرهبونه وينتظرون عطاءه ويبذلون له الطاعة كما كان هو يبذلها لله سبحان وتعالى والشاعر في هذه المقدمة يستقصي المعنى الديني من كل جوانبه الظاهرة والباطنة عندما يصف صلاح الدين بصفاء النية وخلوصها لله تعالى فهو لا يكتفي بذكر الطاعة الظاهرة فقط .

ومع أن كل بيت من هذه الأبيات فيه من البديع ما لا يخفى إلاّ أن أسلوب الاستفهام الذي وظّفه الشاعر للتفجُّع،[73]طغى ، فلا نكاد نحس بالبديع في الأبيات التي حملت هذا الأسلوب. وهي لا تقتصر على الأبيات الستة التي وقعت بعد المطلع وإنما نجدها في ثنايا القصيدة أيضاً.

كما وُفّق في استخدام أسلوب الندبةفي ثلاثة أبيات متوالية بمنتصف الأبيات التي بين أيدينا عندما قال:

يا وحشتا للبيض في أغمادها * لا تقتضيها للوغى عَزَماته**

يا وحشة الإسلام يوم تمكّنت * في كلّ قلبٍ مؤمنٍ روعاته**

يا حسرتا من يأسِ راحته الذي * يقضى الزمان وما انقضت حسراته**

ولا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من مقدرة على استدعاء الحزن وتأجيج العاطفة[74]، خاصة أن الشاعر أخذ يذكر محاسن الناصر التي فنيت وزالت بموته، وذلك من خلال هذا الأسلوب، فالسيوف لن تجد من يحملها، والإسلام فقدَ من يُدافع عنه ، فيا وحشة الإسلام من فقده الذي ترك القلوب هلعة مروعة ، ويا حسرة على ذلك الكريم الذي ينتهي الزمان وما ينتهي الحزن على غيابه.....

وأماعلى مستوى الصورة فإن العماد الأصفهاني لم يدَّخِر جهداً في تصوير عاطفته تجاه فقد الناصر صلاح الدين ، حيث زاوج بين البديع والصورة الفنية التقليدية في البيت الواحد وفي معظم أبيات القصيدة، مما خرج بالبديع من كونه زينة لفظية ورنيناً موسيقياً إلى مستوى إبداعي آخرهو الإبداع المعنوي، وذلك لمّا ربط البديع بالتشبيه[75] في قوله :

أغلال أعناق العدا أسيافه * أطواق أجياد الورى منّاته**

فهذا البيت قوامه الترصيع ، حيث التوازن بين صيغ صرفية متطابقة أدت إلى إثراء موسيقاه الداخلية بما فيها من حروف متكررة في كل شطر وبمساحات متوازنة مع الشطر الآخر، وهناك علاقة أخرى تربط بين هذه الصيغ الصرفية هي علاقة المُشابَهة :ف (أسيافه هي أغلال أعناقالعدا) في سيطرتها عليهم وتحكمها بمصائرهم، (ومناته هي أطواق أجياد الورى) وهذا البيت من النوادر التي أحسن فيها الشاعر من حيث لم يقصد ،فبالإضافة إلى التوازن الصرفي داخل هذا البيت في الشطر الأول ربطت علاقة المشابهة في الفعل بين الأسياف والأغلال .

وعندما نتتبع الصورة الفنية التقليدية في هذه القصيدة ،تلقانا الاستعارة التي كان لها النصيب الوافر من الاستخدام ومن ذلك قوله:

وكعـادة البيت المقـدّس يحـزن الــبيت الحـرام عليــه بل عـرفـاتــه

وقوله: **بكت الصّوارم والصّواهل إذ خلت *** من سلّها وركوبها غزواته**

وأيضا : **والقدس طامحة إليك عيونه *** عجل فقد طمحت إليك عداته**

فالبيت المقدّس الذي حرّره صلاح الدين حزن عليه عندما مات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل واساه في الحزن البيت الحرام، وجبل عرفات كذلك ،أماّ السيوف فقد ذرفت الدموع لَماً افتقدت مَن يحملها ويقاتل بها، ويعود فيُبرِز حزن القدس في عينيه اللتين تنظران إلى الناصر بأملِ الإنقاذ ودحر الأعداء الذين يترقبون ذهاب الناصر، وهنا نرى أنه جعل الجامدات تأخذ بعض صفات الإنسان، وهذا يُعَدّ من التوسُّع المحمود فيالشعر[76].

وإذا نظرنا إلى الاستعارة في قوله :

والغرب منتظر طلوعك نحوه ***حتى تفيء إلى هداك بغاته

سنرى تلك المزاوجة البديعة بين الاستعارة والبديع المتمثل في الطباق بين (الغرب و طلوعك)وبين(منتظر و تفيء)وبين(هداك وبغاته)، حيث تجاوز الطباق وظيفته اللفظية والمعنوية ، ليدخل في إطار علاقة الاستعارة ويقدم عمقا جديدا نجم عن طلب المعنى،فالغرب (بلاد الإفرج) ينتظر أن تطلع عليه فأنت كالشمس التي تبدد الظلام وتعيد الظالمين إلى جادة الصواب .

ويتبعه بآخر لا يقل عنه إجادة يقول فيه :

والشرق يرجو غرب عزمك ماضيا*في ملكه حتى تطيع عصاته**

ففي البيت طباق بين (الشرق والغرب) و(يرجو وعزمك) وكذلك بين(تطيع وعصاته) وتأتي الاستعارة في الشطر الأول لتحوك نسيجها فتجعل بلاد الشرق تتأمل أن يعمّها غيث عزم الناصر(غرب عزمك) فتكون في ملكه وتحت حكمه الذي يقيم العدل ويطوع العصاة ويقومهم .

وللكناية [77]حضورها في القصيدة وإن كان حضورا محدودا ،ولكنه مؤثرذلك في قوله :

وقف الملوك على انتظار ركوبه * لهم فَفِيم تأخّرت ركباته ؟**

كانوا وقوفاً أمس تحت رِكابه * واليومَ هم حولَ السَّرير مُشاته**

فهو يكني عن موت الناصر، وفقده، لمن تعوّد على وجوده ، وتغيُّر الحال فقد اعتاد الملوك بالأمس انتظاره والاصطفاف حول موكبه في سكون،وهو يعلو عليهم ، واليوم هم يحيطون به ويمشونحول نعشه وهولا يملك من أمره شيئاً ، ولا يخفى علينا البديع بأنواعه في هذين البيتين ،حيث الجناس بين (ركوبه وركباته و ركابه) والطباق بين (انتظار وتأخر) و(أمس واليوم) (ووقوفا ومشاة). والشاعر في سعيه الحثيث لإبراز وتصوير حزنه نجده يشتط ويبالغ تلك المبالغة غير المحمودة عندما يقول:

لا تحسبوه مات شخصٌ واحدٌ * فمماتُ كُلِّ العالَمينَ مَماتُه**

ثم يقول:

لو كان في عصر النّبي لأنزِلت * في ذِكرِه مِن ذكرِه آياتُه**

وهذا من الشطط والمبالغة في إظهار الحزن[78]، ويبدو أن حزن الشاعر على سلطانه دعاه إلى هذا.

والقصيدة على ما فيها من ألوان البديع والتلاعب اللفظي إلاّ أن العاطفة الصّادقة ظلّت تطلُّ علينا من ثناياها بين الفينة والأخرى على الرغم من خاتمتها التي ما تعدّت أن تكون سرداً وذِكراً لأبنائه ونصحاً وإرشاداً لهم،وعودة من العماد إلى أسلوبه الذي يطغى فيه البديع على المعنى والعاطفة الصادقة .

وختاماً ، فالقصيدة لم تصلنا كاملة فقد ضاعت بضياع ديوانه وكذلك ضياع الجزء الأخير من كتابه :(البرق الشامي)، ولكن حسبنا ما وصلنا منها فهي قصيدة الرثاء الوحيدة التي صورت لنا الحزن على فراق الناصر صلاح الدين الأيوبي ففيها من الأسى والشعور بالفقد مالا ينكر ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا ينسحب ما قيل عنها في هذه الورقة على المقطوعة الأخرى والرباعية اللتين وصلتا إلينا ، ولاشك أن ما وصل إلينا من المقطوعة هو أفضلها ، ومع ذلك فلا يعدو أن يكون نظما طغى فيه البديع المتكلف على العاطفة وشعور الفقد ،وقد جعلت في نهاية الورقة ملحقاً أثبتُّ فيه كل ما وصل إلينا من رثاء العماد الأصفهاني للناصر صلاح الدين وتيسر لي الحصول عليه .

الملحـق

ما وصلنا من رثاء العماد الأصفهاني للناصر صلاح الدين الأيوبي :

1	شملُ الهدى والملكِ عمّ شتاتُه	***	والدّهر ساء وأقلعتْ حسناتُه
2	أينَ الذي مُذ لم يزل مخشيةَ	***	مَرجوَّةً رهباته وهباته؟
3	أين الذي كانت له طاعاتُنا	***	مبذولةً ولربه طاعاتُه؟
4	بالله أين الناصرُ المَلِكُ الذي	***	لله خالصةً صَفَت نياتُه؟
5	أين الذي ما زال سلطاناً لنا	***	يُرجى نداهُ وتُتَّقى سطواتُه؟
6	أين الذي شَرُفَ الزمانُ بفضله	***	وسَمَت على الفُضَلاءِ تشريفاتُه؟
7	أين الذي عَنَتْ الفرنجُ لبأسه	***	ذُلاً ومنها أدركَت ثاراته؟
8	أغـلالُ أعنـاقِ العِدا أسيافُـه	***	أطـواقُ أجيادِ الـوَرى مِنّـاتُه
9	لم يُجـدِ تدبيرُ الطبيبِ وكَم وكَم	***	أَجْـدَت لِطبّ الـدَّهـرِ تدبيـراتـه
10	مَن في الجهاد صفاحُه ما أُغمِدت	***	بالنّصرِ حتّى أُغمِدت صفحاتُـه
11	مَن في صدورِ الكُفرِ صَدرُ قناته	***	حتّى توارت بالصّياحِ قناته
12	لذّ المتاعب في الجهاد ولم تكُن	***	مُذ عاش قطُّ لذاتِه لَذَّاتُه
13	مسعودةٌ غَدَواتُـــه محمودةٌ	***	روحاته ميمونةٌ صحواته
14	في نُصرةِ الإسـلام يسهرُ دائماً	***	لِيَطولَ في روضِ الجِنانِ سِناتُه
15	لا تحسبوه مات شخصٌ واحدٌ	***	فمماتُ كلِّ العالمينَ مماته
16	مَلكٌ عن الإسلامِ كان محامياً	***	أبداً إذا ما أسلمَتْه حُماته
17	قد أظلمت مُذ غاب عنها دَورُه	***	لَمّا خلت مِن بَدرِهِ داراته
18	دُفن السماحُ فليس ينبش بعدما	***	أودى إلى يوم النّشور رُفاته
19	الّدين بعد أبي المُظَفَّرِ يوسفٍ	***	أقوَت قُواهُ وأقفرَت ساحاته
20	جبلٌ تَضَعضعَ من تضعْضُعِ رُكْنِهِ	***	أركانُنا وتَهُـــدُّنا هَدَّاتُـــه
21	ما كنتُ أعلَمُ أنّ طَوداً شامخاً	***	يَهوي ولا تَهوي بنا مَهواتُه

22	ما كنت أعلمُ أن بحراً طامياً	***	فينا يُطَمُّ وتنتهي زَخَراتُه
23	بحرٌ خلا من وارديه ولم تزَلْ	***	محفوفةً بوفودِه حَفاته
24	مَنْ لليتامى والأراملِ راحِمٌ	***	مُتِعطِّفٌ مَفضوضَةٌ صَدَقاته؟
25	لو كان في عصر النّبي لأُنْزِلَت	***	في ذِكرِه مِن ذكره آياتُه
26	فعلى صلاحِ الدينِ يوسفَ دائماً	***	رِضوانُ رَبِّ العرشِ بَل صلواته
27	لَضريحِه سُقيا السحابِ فإن يغِب	***	تَحضُرلرحمةِ ربّهِ سُقياتُـه
28	وكعادة البيت المُقدَّسِ يحزنُ البيتُ الحرامُ عليـهِ بَل عرفـاتُه		
29	من للثغور وقد عداها حفظه	***	من للجهاد ولم تعد عاداته؟
30	بكت الصّوارمُ والصّواهلُ إذ خلت	***	مِن سلِّها ورُكوبِها غَزَواته
31	وبسيفه صدأ لحزنِ مُصابِه	***	إذ ليس يشفى بـعـده صدياته
32	يا وحشتا للبيض في أغمادها	***	لا تنتضيها للوغى عَزَماته
33	يا وحشة الإسلام يومَ تمكّنت	***	في كل قلبٍ مؤمنٍ رَوْعاته
34	يا حسرتا من يأسِ راحتِهِ الذي	***	يُقْضى الزمانُ وما انقضت حسَراته
35	ملأتْ مهابَتُه البلادَ فإنهُ	***	أَسدٌ وإن بِلادَهُ غاباتُه
36	ما كان أسرع عصرِه لَمّا انقضى	***	فكأنّما سنواتُه ساعاتُه
37	لم أنسَ يوم السبت وهولما به	***	يُبْدي السّباتَ وقد بدت غَشَياته
38	والبشر منه تبلّجت أنواره	***	والوجه منه تلألأت سبحاته
39	ويقول لله المهيمـــن حكمة	***	في مرضة حصلت بها مرضاتُه
40	وقف الملوكُ على انتظارِ ركوبه	***	لهم فَفِيم تأخّرت ركباته
41	كانوا وقوفاً أمس تحت رِكابه	***	واليومَ هم حولِ السّريرِ مُشاته
42	وممالكُ الآفــاقِ ساعيةٌ له	***	فمتى تجيء بفتحهن سُعاته
43	هذي مناشيرُ الممالك تقتضي	***	توقيعَه فيها فأين دواته؟
44	قد كان وعدُك في الربيع بجمعها	***	هذا الربيع وقد دنا ميقاته

45 والجند في الديوان جدّد عرضه *** وإذا أَمَرتَ تجدّدت خفقاته

46 والقدسُ طامحةٌ إليك عُيونُه *** عجِّل فقد طمحَت إليه عداته

47 والغرب منتظرٌ طلوعَك نحوه *** حتى تفيءَ إلى هُداكَ بُغاته

48 والشرق يرجو غرب عزمك ماضياً *** في مُلكه حتى تطيع عُصاته

49 مغري بإسداء الجميل كأنّما *** فُرِضَت عليه كالصّلاة صلاته

50 هل للملوك مضاؤه في موقف؟ *** شدّت على أعدائه شدّاته

51 وإذا الملوك سعوا وقصّر سعيهم *** رجحت وقد نجمت به مسعاته

52 كم جاءه التوفيقُ في وقعاته *** من كان بالتوفيق توقيعاته

53 يا راعياً للدين حين تمكّنت *** منه الذّئابُ وأسلمته رعاتُه

54 ما كان ضرّك لو أقمت مراعياً *** ديناً تولى مذ رحلت ولاته؟

55 أَضَجِرْتَ منّا أمْ أَنِفْتَ فلم نكُن *** ممن تصاب لشدة ضجراته؟

56 أَرَقَدْتَ تحت الأرض يا من لم يزل *** فوق السماء عَلِيَّـةً درجاته

57 فارقت مُلْكاً غير باقٍ متعباً *** ووصلْتَمُلْكاً باقياً راحاته

58 اعززعلى عينيّ برؤية بهجة الـــدنيا ووجهُك لا تُرى بهَجاته

59 أَبَنِي صلاح الدين إنّ أباكم *** ما زال يأبى ما الكرامُ أباته

60 لا تقتدوا إلا بسنّة فضله *** لتطيب في مهد النعيم صفاته

61 وردوا موارِدَ عدْلِه وسَماحِه *** لِتُرَدَّ عن نهجِ الشَّماتِ شِماتُه

62 ولئن هوى جبل لقد بَنيْتَ لنا *** ببنيــه من هضباته ذرواته

63 وبفَضْلِأَفْضَلِهِ وعِزّ عَزِيزِه *** وظهور ظاهره لنا سرواته

64 الأفضل المَلكُ الذي ظهرت على الـــدنيا بزهر جلاله جلواته

65 والدّين بالملك العزيز عماده *** عثمان حاليـــة لنا حالاته

66 والمَلكُ غازي الظَّاهِرِ العالي الذي *** صحَتْ لإظهارِ العلى مغزاتُه

67 ولنا بسيف الدّين أظهر نصرةً *** بالعادل الملك المطهّر ذاتُه[79]

وله أيضا قصيدة أخرى وصلنا منها سبعة أبيات:

1 من للعلا من للذرى من للهدى يحميه من للبأس من للنائل؟

2 طـلـب البـقـاءَ لملكـه في آجـل إذ لم يثق ببقاء ملك العاجل

3 بـحـرٌ أعـادَ البـَرَّ بحـراً بـرُّه وبسيفه فُتِحت بـلاد الساحل

4 من كان أهل الحـق في أيامـه وبعـزه يُرْدون أهل الباطـل

5وفـتـوحـه والقدس من أبكارها أبقت له فضلا بغير مُساجِل

6 ما كنت أستسقي بغيرك وابلاً ورأيت جودك مخجلاً للوابلِ

7 فَسَقـاك رِضـوان الله لأنـنـي لا أرتضي سُقْيا الغمامِ الهاطِل[80]

وله رباعية في رثائه :

قال الملك الناصر مَن كلّفني في الجودِ بغير شيمتي فما أنصفني

ما يعلم أن ذلك المُلك فـنـي لـم يـبـق مـن الجـود إلا كـفـني [81]

الهوامش:

(1) هو يوسف بن أيوب بن شاذي ،الملقب الملك الناصر صلاح الدين ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة في تكريت .ينظر في ترجمته و خبر وفاته : العماد الأصفهاني (محمد بن محمد) الفيح القُسّي في الفتح القدسي , دار المنار ، لام ، لات ، ص 326 / ابن شداد،القاضي بهاء الدين،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نسخة الكترونية، ص156/ أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل) ،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مطبعة وادي النيل ،القاهرة ، 1287ه - جـ 2 ،ص 211-213 / ابن خلكان (أحمد ابن محمد) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ت : إحسان عباس،دار صادر ، بيروت ،1968م-1994م ،ج7 ، ص 139وما بعدها .

(2) العماد الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد الكاتب الأصبهاني المعروف ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقّه بالمدرسة النظامية زماناً، أتقن الخلاف وفنون الأدب توفي سنة 597 بدمشق. ابن خلكان ، سبق ذكره ج5 ،ص147-153.

(3) وهم: شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات ،الشام ، دار المعارف ،القاهرة ، 1990 /أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، دار نهضة مصر ،الفجّالة، القاهرة ، لات./محمد علي الهرفي،شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1980م.

(4) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي ،قاضي حلب ،المعروف بابن شداد الفقيه الشافعي ،حفظ القرآن الكريم صغيرا،وأتقن فن القراءات ،اتصل بخدمة صلاح الدين سنة أربع وثمانين وخمسمائة ،فولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ،من مؤلفاته (الموجز الباهر) في الفقه، و(سيرة صلاح الدين بن أيوب) .ابن خلكان ، سبق- ج7 ،ص 84-100

(5) أحمد أحمدبدوي،الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، ص 73.

وينظر للباحثة،صلاح الدين الأيوبي في شعر عصره، رسالة ماجستير غير منشورة مودعة بقسم ليبيا ، المكتبة المركزية ، جامعة بنغازي ،بنغازي ، ليبيا ،2001م ، ص 237.

(6) الشهاب فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الأسدي الحريمي، المعروف بالشاغوري المعلِّم كان فاضلاً وشاعراً ماهراً، له ديوان شعر، وهناك اختلاف في سنة وفاته والراجح أنها 615هـ . ينظر : العماد

الأصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر،قسم شعراء الشام ، تحقيق:د.شكري فيصل ،المطبعة الهاشمية ، دمشق ،1955-1968م ،ج1،ص 247- 259 ./ ابن خلكان، سبق ذكره جـ 4 ،ص 24 - 26 .

(7) القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد، سناء الملك أبو عبد الله بن محمد الشاعر المصري، له كتاب " دار الطراز في عمل الموشحات " توفي سنة 608 هـ ./ ينظر: العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر،ت: أحمد أمين ، شوقي ضيف ،إحسان عباس ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،د ت ،ج1،ص 64 – 100 ./ ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله) ،معجم الأدباء ، الناشر : د.أحمد فريد رفاعي بك ،مطبعة دار المأمون ،مصر ،1936 م- 1938 م ،ج19، ص 265 - 271.

(8) أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله، الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور، كان شاعر وقته، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ورقة المعاني ودقتها. توفي ببغداد عام 584 هـ. ينظر: أبو شامة ،سبق ذكره ،جـ 2 ، ص 123 / ابن خلكان ،وفيّات الأعيان ، جـ 4 ، ص 466 - 472.

(9)حكيم الزمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني، كان بارعاً في الأدب ، وصناعة الشعر، توفي سنة 601 هـ بدمشق وقيل 602 هـ . ينظر: ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم) ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء،دار الفكر، بيروت ،1957 م ،ج3،ص 259./ الكتبي (محمد بن شاكر) ،فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : د.إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،1973- 1974م، ج2، ص 407 ، 408 .

(10) ينظر :ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، 1992 م ، ج6 ، ص 16- 17.

(11) ينظر : ابن شداد ،النوادر السلطانية ، ص75 - 79 / ابن الأثير (علي بن محمد) ،الكامل في التاريخ، تحقيق : نخبة من العلماء ،دار الكتاب العربي ،بيروت ، 1967 م ،ج9، ص 170 - 178 / أبو شامة ، سبق، جـ 2، ص 75 وما بعدها.

(12) ينظر : العماد الأصفهاني،الفيح القُسِّي ، ص 36 وما بعدها. / ابنشداد،سبق، ص41 \ ابن الأثير ،سبق ، جـ 9 ، ص 182- 186.

(13) للباحثة ، سبق- ينظر الفصل الأول " صورة الناصر صلاح الدين الأيوبي في شعر المدح الذي قيل فيه"

(14) الروضتين ، جـ 2 ، ص 215.

(15) أبو شامة ، سبق ذكره جـ 2 ، ص 217.

(16) نفسه، جـ 2 ، ص 214.

(17) القاضي الفاضل : أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد ، المصري الدار ، وربيب السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله. برز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين - ولد 529 هـ، ت 596 هـ./ ابن خلكان ،سبق، جـ3 ، ص 158. / ابن تغرى بردى ،سبق،جـ 6 ، ص 142.

(18) ينظر : القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني) ،الديوان جـ 2 ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، مراجعة: إبراهيم الأبياري، مطابع دار الكتاب العربي، دار المعرفة ،مصر ، 1961 م ، ص 411.

(19) جعفر بن شمس الخلافة: هو أبو عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضلي الملقّب مجد الملك، الشاعر المشهور كان فاضلاً ، ولد سنة 543 هـ ، وتوفي سنة 622 هـ.. ينظر في تمام ترجمته : ابن خلكان، سبق ذكره جـ 1 ، ص 362.

(20) الروضتين ، جـ 2 ، ص 224.

(21) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام، ص 242.

(22) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبيّة، ص 563.

(23) شعر الجهاد في الحروب الصليبيّة في بلاد الشام، ص 181.

(24) ريتشارد قلب الأسد : ملك إنجلترا وأحد قادة الحملة الصليبيّة الثالثة، قتل سنة 596 هـ . عن رانسيمان ستيفن ،تاريخ الحروب الصليبيّة ، ترجمة، السيّد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969 م ، ج3 ص 26- 102 ، 141- 143.

(25) ينظر في تلك المعاهدة : ابن شداد ، سبق ، ص 142-147/ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب ، ت : جمال الدين الشيَّال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1957 م، ج2، ص 391.

(26) ت 584 هـ ،ينظر العماد الأصفهاني ،الخريدة، قسم الشام جـ 1، ص 498 – 500.

(27) ت 579 هـ ،ينظر ابن خلكان ، سبق ذكره، جـ 4، ص 466 – 472.

(28) ت 585 هـ، ينظر العماد الأصفهاني ، سبق ، قسم الشام ، جـ 1، ص 481 – 482.

(29) ت 567 هـ - ينظر العماد الأصفهاني السابق،جـ 1، ص 178 –180.

(30) ت 581 هـ ،ينظر العماد الأصفهاني ،السابق ،جـ 2، ص 279.

(31) ت588 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني , سبق, قسم مصر , جـ 1، ص 117 – 119.

(32) ت 577 هـ , ينظر العماد الأصفهاني , السابق, جـ 1، ص 187.

(33) ت 586 هـ ., ينظر: ياقوت الحموي , سبق , جـ 9 , ص 43 – 46.

(34) ت 569 هـ - ينظر : ابن خلكان , سبق , جـ 3 , ص 431 – 436.

(35) مختلف في سنة وفاته ، هل هي 579 هـ أم 599 هـ؟ وبينهما فرق كبير، ينظر : ياقوت الحموي، سبق، جـ 3، ص 304.

(36) هما : أ) سعادة الأعمى ، لم أهتد إلى سنة وفاته أو إلى أي ترجمة له في مصدر آخر غير خريدة القصر، الشام، جـ 1، ص 406.

ب) أبو حسان نعمة بن حسان ، لم أهتد إلى سنة وفاته أو إلى أي ترجمة أخرىله في مصدر آخر غير خريدة القصر، الشام، جـ 2، ص 232.

(37) ينظر في ذلك: (ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني) العمدةفي نقد الشعر وآدابه، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، ج1، ص 69 .

(38) ينظر في حروبه وفتوحاته,كتاب ابن شداد في سيرة الناصر, سبق \ أبو شامة ,سبق , ج2،1\ ابن واصل، سبق , ج2،1

(39) يشير العماد الأصفهاني إلى إكرام الناصر جماعة من الشعراء لم يَرِد لهم شعر في مدحه ومنهم: ضياء الدين أبو الفضائل ، وأبو الفتح عثمان بن عيسى.ينظر في ذلك , الخريدة , الشام جـ 2 , ص 343 ، ص 385.

(40) ينظر: عرقلة الكلبي (حسّان بن نمير) , الديوان , تحقيق : أحمد الجندي, مطبوعات مجمع اللغة العربية , دار الحياة , دمشق , 1970 م ، ص 49.

(41) عرقلة الكلبي , الديوان ، ص 84.

(42) ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد) , زبدة الحلب من تاريخ حلب , تحقيق : د. سامي الدَّهان , المعهد الفرنسي للدراسات العربية , دمشق , 1967 م , ج3, ص 125.

(43) ينظر في القصة والأبيات : الروضتين , جـ1 , ص 244،245.

(44) في خبر سقوط عكا كاملاً ينظر: ابن شداد , سبق 185وما بعدها |العماد الأصفهاني , الفيح القسي, ص 269-270 |أبو شامة , سبق , جـ 2، ص 142 وما بعدها. / وفي خبر الصلح ينظر: ابن شداد , سبق , ص 142- 147 \ ابن واصل , سبق, جـ 391.

(45) ينظر في ذلك: ابن شداد , سبق , ص 219 وما بعدها. / ابن واصل, سبق, ص 391 وما بعدها.

(46) من الذين ليس لهم ديوان : سعادة بن عبد الله ، ترجم له العماد الأصفهاني في خريدة القصر, قسم الشام جـ 1، ص 406 وهي خالية من ذكرسنة الوفاة. / سعيد الحلبي ، لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

(47) قمت بإحصاء من مدحه وكان له ديوان وهو لا يزال على قيد الحياة عند وفاة الناصر صلاح الدين ووجدتهم (أربعة شعراء) أستثني منهم القاضي الفاضل الذي رافقه ناثراً لا شاعراً، وله نثر في وفاته أشار له أبوشامة . / ينظر : أبو شامة ، الروضتين جـ 2، ص 215. وكذ لك ديوانه النثري والشعراء هم :

أ) الحكيم الجُلياني، ت 601 هـ ، وقيل 602 هـ بدمشق ، ينظر : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء جـ 3، ص 259.

ب) ابن سناء الملك ، ت 608 هـ ، ينظر في ترجمته : العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، قسم شعراء مصر جـ 1، ص 64 – 100.

ج) ابن النبيه ، المصري : كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد ، ت 619 هـ ،. ينظر في ترجمته :

الكتبي ، فوات الوفيات جـ 3، ص 69-70.

د) فتيان الشاغوري، يُرجح أنه توفي سنة 615 هـ ، ينظر في ترجمته :

العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام جـ 1، ص 247-259. وكذلك :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ 4، ص 24-26.

(48) الملك الظافر: مظفّر الدين الخضر، المعروف بالمشمّر ، ابن صلاح الدين وكنيته: أبو الدوام، كان مولده بالقاهرة وهو شقيق الملك الأفضل. ت سنة 627 هـ بحرّان.ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج7 ، ص205.

(49) الملك الأفضل : نور الدين علي بن صلاح الدين أبو الحسن علي ، هو أكبر أولاد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وإليه كانت ولاية عهده، كانت فيه فضيلة ومعرفة ونباهة، وكان يحب العلماء ويُعظّم حرمتهم. ت 622 هـ بالشام. ينظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان جـ 3، ص 419-422.

(50) النوادر السلطانية ،ص157.

(51) الكلام لأبي شامة ،ويقصد بديوانه ، أي ديوان العماد الأصفهاني ، وهو مفقود ينظر : الروضتين ، ج2،ص215.

(52) المرجع نفسه ، جـ 2، ص 215.

(53) إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1972 م ، ص 178.

(54) أبو شامة ، الروضتين جـ 2، ص214 . وفيه ينقل عن العماد من كتاب البرق الشامي.

(55) المصدر نفسه ، جـ 2، ص 212.

(56) ينظر في: براعة الاستهلال ، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب جـ 1 ، شرح : عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1987 م ، ص 19.

(57) ينظر: إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، ص 63 ، ص 192.

(58) عبد الله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، جـ 1 ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1989 م ، ص 302 ، ص 316.

(59) ينظر : إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ، ص 253-254.

(60) ما توالى فيه متحرك بين ساكنين. ابن رشيق ، العمدة جـ 1، ص 145.

(61) إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، ص 248-249.

(62) في هذا المعنى ينظر :إبراهيم أنيس ،عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله ، المعجم الوسيط ، مادة (أوه) ، دار الفكر ، ط 2 ،دت.

(63) ابن حجة الحموي ،خزانة الأدب ، جـ 1، ص 54.

(64) المصدر نفسه ،جـ 1،ص 355.

(65) المصدر نفسه ،جـ 1،ص 359.

(66) المصدر نفسه ،جـ 1، ص 437.

(67) المصدر نفسه ،جـ 2، ص 409.

(68) إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، ص 246.

(69) ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ 5 ، ص151. / : شوقي ضيف ، المرجع نفسه، ص 302.

(70) عبد الله الطيب المجذوب ، سبق ذكره ، ج2 ، ص 74- 90- 137 .

(71) ابن الجزري ، محمد بن محمد، جامع شروح المقدمة الجزرية في علم التجويد ،شرح :خالد الأزهري ، زكريا الأنصاري ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2008م ،ص39-40.

(72) سويد ،عبد الله عبد الحميد سويد ،أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث ، مطابع الوحدة العربية ،الزاوية ، الطبعة الثانية ،لا ت ، ص40-42 ،58 .

(73) عن الاستفهام البلاغي ينظر : السيد أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ،لبنان ، 1999 ،ص 78 وما بعدها / عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ،لبنان ، 2009 م ،ص106،105.

(74) في هذا المعنى ينظر: السيد أحمد الهاشمي ، سبق ذكره ، ص90 .

(75) وفي التشبيه ينظر :ابن رشيق ،العمدة ،ج1 ، ص237 وما بعدها .

(76) ينظر في الاستعارة و التوسّع فيها: ابن رشيق ، العمدة ، جـ 1، ص 222-237./ وكذلك: ابن الأثير (ضياء الدين ابن الأثير)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، جـ 2 ،قدّمه وعلّق عليه : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة، القسم الثاني ،دار نهضة مصر ، القاهرة ،1973 م ، ص 70-115.

(77) ينظر في الكناية وأنواعها : ابن رشيق ، سبق ذكره ، ج1، ص 250 .

(78) ابن حجة الحموي ، سبق ذكره ، ج2 ، ص16 .

(79) أبو شامة، الروضتين ، ج2 ، ص215- 217.

(80) نفسه، ج2 ، ص217.

(81) نفسه ، ج2 ، 214 .

المصادر والمراجع

1- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدَمه وعلّق عليه: أحمدالحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973م.

2- ابن الأثير، علي بن محمد ، الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1967م.

3- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت ، 1957م.

4- أنيس ، إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، لا م ، ط2 ، لا ت .

5- أنيس ، إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1972م.

6- بدوي ، أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، دار نهضة مصر، القاهرة ، لا ت .

7- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م.

8- ابن الجزري ، محمد بن محمد ، جامع شروح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، شرح :خالد الأزهري وزكريا الأنصاري ، دار ابن الجوزي ، القاهرة، 2008م .

9- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1987م .

10- ابن خلكان، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م- 1994م.

11- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ،القاهرة ، 2009م .

12- ستيفن، رانسيمان ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت، 1969م.

13- سويد ، عبد الله عبد الحميد سويد، أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، الطبعة الثانية ، لا ت .

14- أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، 1287هـ.

15- ابن شداد ، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نسخة الكترونية.

16- عتيق ، عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، لبنان، 2009م.

17- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق ، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1967م.

18- عرقلة الكلبي ، حسّان بن نمير ، الديوان ، تحقيق ، أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دار الحياة ، دمشق- 1970م .

19- العماد الأصفهاني ، محمد بن محمد

- خريدة القصر وجريدة العصر ،قسم شعراء الشام ،تحقيق ، شكري فيصل – المطبعة الهاشمية - دمشق - 1955م- 1968م.

- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر ، تحقيق أحمد أمين (واخروون) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، لات.

- الفيح القُسي في الفتح القدسي ، دار المنار ،لام ، لات.

20- القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي البيساني، الديوان، تحقيق ، أحمد أحمد بدوي ، مراجعة : إبراهيم الأبياري ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ،1961م

21- الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، 1973م- 1974م.

22- المجذوب ، عبدالله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1989م.

23- الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، لبنان، 1999م.

24- الهرفي ،محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1980م.

25- ابن هشام الأنصاري، محمد بن عبدالله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، 1950م.

26- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب ، في أخبار بني أيوب ، تحقيق ،د: جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1975م.

27- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء ، الناشر:أحمد فريد رفاعي بيك ،مطبعة دار المأمون ، مصر ، 1936م-1938م.

الرسائل الجامعية :

28- ثابت ، فدوى إبراهيم ، صلاح الدين الأيوبي في شعر عصره ، مودعة بقسم ليبيا ، المكتبة المركزية ، جامعة بنغازي ، بنغازي ، ليبيا ، 2001م .

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدوافع والاسباب والمسالك الرئيسية للهجرة غير الشرعية عبر ليبيا الى أوروبا

د. أمبارك ادريس طاهر الدغاري.

(محاضر بجامعة بنغازي – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدوافع والاسباب والمسالك الرئيسية للهجرة غير الشرعية عبر ليبيا الى أوروبا

الملخص:

تعتبر ظاهرة الهجرة الغير شرعية من اخطر الظاهرات التي بدأت بوادرها تلوح مع بداية تسعينيات القرن الماضي مع ما تحمله من مصادر خطر وقلق يهدد الاستقرار والأمن الدوليين خاصة بعد احداث سبتمبر ومدريد. تفردت ليبيا بموقعها الجيوستراتيجي على شواطئ المتوسط لتلعب دورا استثنائيا في جذب المهاجرين من افريقيا خاصة بعد احداث فبراير وما أعقبته من فراغ امني. وبالتالي فأن هذه الدراسة تهدف لإلقاء الضوء على حجم هذه الظاهرة واتجاهاتها، والى مناقشة وتحليل الاسباب والدوافع الرئيسية للهجرة, كما تركز على الطرق والمسالك التي تسلك من مناطق الأصل الى المناطق المنشودة. تم استخدام بعض المناهج مثل المنهج التاريخي و المنهج التحليلي والوصفي في تحليل البيانات الكمية والنوعية التي جمعت من خلال الدراسة النظرية والميدانية. وقد تبين ان اغلب الهجرة السرية الوافدة الى اوروبا كانت عبر ليبيا, كما ان الظروف الاقتصادية والسياسية كالفقر والبطالة والحروب والصراعات كانت من اهم العوامل الدافعة للهجرة السرية.

Abstract

The phenomenon of illegal migration is considered as one of the most dangerous phenomena that started with the beginning of the nineties of the last century with its carrying a lot of risk and anxiety sources which threatens international stability and security, especially after the events of September and Madrid. Libya has unique geo-strategic location on the Southern costal line of the Mediterranean which enables it to play an exceptional role in attracting immigrants from Africa, Particularly after the events of February which was followed by a security vacuum. Thus, this study target is to shed light on the size of this phenomenon and its trends, and to discuss and analyze the main reasons and motives for Migration, also the survey focuses on routes which migrants take from origin areas to the desired areas. The survey has used various methods such as the historical method and the analytical method and descriptive in the analysis of the quantitative and qualitative data which has collected from field and theoretical survey. It has found that the most of the illegal immigration to Europe was through Libya, and the economic and political conditions such as poverty, unemployment, wars and conflicts were the most important factors driving the secret migration

مقدمة

لم تحظ ظاهرة باهتمام الباحثين وصناع القرار مثلما حظيت به ظاهرة الهجرة بصفة عامة والهجرة السرية بصفة خاصة, خاصة في العقود الاخيرة عندما بدأت تتضح انعكاساتهاالسياسية والاقتصادية والامنية سواء على المستوى المحلي او الاقليمي او الدولي. وقد تم تناول جانب من هذه الظاهرة في بحث تحت عنوان "مخاطر الهجرة الغير شرعية من افريقيا الى اوروبا والسياسات المتخذة لمكافحتها" نشر في مجلة..... تم تناول المخاطر التي يتعرض لها المهاجر منذ بداية السفر وحتى وصوله للبلد المقصود, كما تم التركيز على السياسات المحلية والاقليمية والدولية لمكافحة هذه الظاهرة والحد منها, واهم السياسات التي يجب ان تتخذ.و بالتالي فأن هذا البحث سيركز على جانب اخر من الهجرة يتعلق بتحديد بوادر هذه الظاهرة وحجمها, والاسباب الرئيسية لتطور ونمو هذه الظاهرة. كما سيركز على الابعاد الحقيقية التي جعلت من ليبيا منطقة عبور وحركة للمهاجرين. وسيلقي الضوء على الطرق والمسالك التي يسلكها هؤلاء المهاجرين سواء عبر الصحراء او عبر ليبيا واثناء عبور البحر, حيث ان هذه المسالك هي مسالك سرية او خفية عن اعين رجال الامن ونقاط التفتيش.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة من خلال النزوح الواسع من ابناء افريقيا الى اوروبا في شكل هجرات سرية تتم في جنح الليل و تحاك خيوطها في الخفاء لتصبح تجارة عالمية تشرف عليها منظمات عالمية, وتبرز ملامح هذه المشكلة في تزايد حجمها يوما بعد يوم لتتجاوز حسب تقديرات المنظمة الدولية للهجرة ال 15% من إجمالي المهاجرين في العالم ([1]). وربما تبرز ابعاد هذه الظاهرة من خلال التساؤل عن الدوافع الكامنة خلفها عن واقع هؤلاء المهاجرين وظروفهم التي دفعتهم للمراهنة بحياتهم. وما يجري اليوم على الساحة الدولية وفي المنطقة ربما سيزيد من حدة الظاهرة ومن حجمها ومن دوافعها, وبالتالي فأن الفراغ الامني قد يجعل من ليبيا منطقة عبور رئيسية وقد تتعدد المسالك منها واليها في رحلة العبور. وبالتالي فأن المشكلة متعددة الجوانب وربما هي من التعقيد بمكان يصعب فيه تأطيرها الا من خلال البحث عن الاسباب والدوافع لهذه الظاهرة وحجمها واتجاهاتها وحركتها من منطقة الاصل الى منطقة الوصول.

اسئلة الدراسة:

بعد ان اصبحت مشكلة الهجرة السرية مشكلة دولية تجاوزت حدود الدول, اصبحت التساؤلات تطرح هنا وهناك عن خطورة هذه الظاهرة ومسبباتها, ولعل من اهم التساؤلات المطروحة:-

- ما هو حجم الهجرة غير الشرعية؟وهل هي من الخطورة بمكان حتى تشكل مصدر خطر وقلق؟
- لماذا كانت ليبيا نقطة عبور رئيسية للمهاجرين غير الشرعيين؟
- ما هي أسباب ودوافع الهجرة السرية؟
- ماهي الطرق والمسالك التي يسلكها المهاجرون عبر الصحراء وعبر البحر؟ وماهي الوسائل التي يستخدمونها في رحلتهم؟

---

[1]- جمال الشحي, (2010), مدن نسكنها ومدن تسكننا، مقال منشور بموقع صحيفة البيان, بتاريخ 19 يونيو / 2010م - http://www.albayan.ae/opinions/1265978204282-2010-06-19-1.256668

أهداف الدراسة:

1- معرفة ماهية هذه الظاهرة, وحجمها وملامحها الرئيسية.
2- الوقوف على الاسباب التي جعلت من ليبيا البؤرة الرئيسية في حركة الهجرة السرية.
3- الوقوف على الاسباب والدوافع التي دفعت المهاجرين للمراهنة بحياتهم من اجل الوصول الى اوروبا عبر الصحاري ووسط خضم الامواج تحت جنح الليل بعيدا عن نقاط التفتيش وعن عيون رجال الحدود ونقاط العبور
4- معرفة الطرق والمسالك التي يسلكها المهاجرون في رحلتهم السرية عبر الصحراء وفي عرض البحر, والمخاطر التي يتعرض لها هؤلاء المهاجرون.
5- معرفة الوسائل المستخدمة في الهجرة سواء لعبور الصحراء او لعبور البحر.

اهمية الدراسة: تنبع اهمية الدراسة من المنطلقات التالية:

1- كونها ظاهرة نزوح بشري واسع من دول الجنوب الى دول الشمال.
2- كونها اصبحت تشكل خطرا كبيرا على السلم والأمن الدوليين لارتباطها بالإرهاب وانظمة الرفاهية الوطنية والهويات الثقافية والمخدرات والدعارة والاجرام وغيرها.
3- كونها اصبحت ظاهرة مأساوية تشبه رحلة الموت الجماعي اكثر من كونها رحلة من اجل الوصول الى الوطن المنشود, الموت عبر الصحراء او خلف القضبان او في اعماق البحار.
4- تنبع اهمية دراسة الهجرة السرية من اجل الكشف عن واقع هؤلاء المهاجرين وظروفهم التي دفعتهم للهجرة وهم يعلمون مسبقا انها رحلة اشبه بالانتحار والموت.

منهج الدراسة:

لابد لأي دراسة علمية من منهج او أسلوب متبع في تحليل البيانات والمعلومات التي يتم الحصول عليها من الجانب النظري والميداني, حيث تم الاعتماد على جمع البيانات من خلال بعض المصادر والمراجع العلمية التي تناولت هذه الظاهرة, و على بعض المصادر من شبكة المعلومات الدولية المهتمة بمتابعة هذه المشكلة, كما تم اجراء المقابلات مع بعض المهاجرين وذوي الاختصاص لتوضيح بعض الجوانب المتعلقة بالظاهرة.

وفي السياق التحليلي للبيانات التي تم جمعها من خلال الجانبين النظري والميداني فقد تم الاعتماد على بعض الأساليب والمناهج العلمية في تحليل هذه المعلومات منها المنهج التاريخي من خلال تتبع مراحل هذه الظاهرة وتطورها تاريخياً وذلك من أجل تفسيرها بصورة أوضح وتحليلها تحليلا اشمل والوقوف على اسبابها ودوافعها. كما تم الاستعانة بالمنهج التحليلي الوصفي لوصف وتحليل هذه الظاهرة وذلك لاستشفاف تطور هذه المشكلة من الماضي الى الحاضر من خلال استخدام بعض البيانات والارقام الاحصائية لوصف مشكلة الهجرة السرية والظروف التي دفعت المهاجرين للهجرة والمسالك التي سلكوها, وكذلك البيانات الكمية التي تتعلق بالمهاجرين واعدادهم وظروفهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

ماهية الهجرة غير الشرعية

مع بداية تسعينات القرن الماضي بدأ قلق متزايد في أوروبا من ظاهرة الهجرة غير الشرعية خاصة الهجرة الوافدة من دول جنوب البحر المتوسط, وذلك بعد ان تعلقت الهجرة

بأمن اوروبا واستقرارها وتحولت الى خطر استراتيجي في كثير ان لم يكن في كل الدول الاوربية...هذا التهديد ليس على انظمة الرفاهية الوطنية والهويات الثقافية والوطنية فحسب بل على السلام والاستقرار الاوربي خاصة بعد تفجيرات 11 سبتمبر وتفجيرات مدريد 11 مارس 2003, ومما زاد من هذه المخاوف ان هذه الهجرة من الجنوب المرتبط بالإرهاب الدولي والاسلامي ([2]).

ومما يزيد من خطورة هذه الظاهرة كونها اصبحت عمل منظم تشرف عليه شبكات وتنظيمات مختلفة "الاتجار بالبشر" , وتعمد في نطاق عملها على التحايل على القانون واختراقه بأقل الخسائر الممكنة لأنها اصبحت تجارة مربحة لكثير من المهربين وتجار البشر. فعلى سبيل المثال تحقق الهجرة غير الشرعية وعمليات تهريب البشر أرباحاً طائلة تتعدى المليارات من الدولارات تدفع لشبكات المافيا العالمية للعمل في هذا الميدان والتوسع فيه ([3]), وحسب تقرير صادر عن الامم المتحدة فأن مكاسب المهربين من الهجرة السرية من القارة الافريقية الى اوروبا ومن امريكا الجنوبية والوسطى الى امريكا الشمالية تبلغ حوالي 6,800 مليار سنويا, في حين يجنى بعض المهربين اكثر من 60 الف دولار اسبوعيا([4]).وبالتالي فأن الهجرة السرية اصبحت مشروعا تجاريا مربحا لشركات المافيا وتجار البشر, بل واصبحت احداثها تتصدر النشرات الاخبارية والصحف العالمية, وتحولت هذه الظاهرة الى مشكلة دولية تتصدر المؤتمرات والندوات الدولية.

فالهجرة حسب تعريف الديموغرافيين: هي احد العناصر الرئيسية في نمو السكان وفي تغيير الخصائص الديموغرافية والاقتصادية, وتتمثل في الانتقال من منطقة الى اخرى كالهجرة من الريف الى المدينة او من اقليم الى اخر داخل الدولة وهذه تسمى "الهجرة الداخلية" , اما الهجرة التي تتعدى حدود الدولة فهي ما تسمى "الهجرة الخارجية" التي تشمل الانتقال السكاني ليس فقط الى الدول المجاورة بل وقد تتعدى حدود القارات ([5]).

أما الهجرة غير الشرعية: قيد الدراسة فهي من ضمن الهجرة الخارجية التي عرفها البعض بأنها " تلك التي تتعدى حدود الدولة والتي لا يحمل المهاجر او اللاجئ اي وثائق رسمية (اي ان الدخول بطريقة غير رسمية او قانونية)". لذا كان من الضروري على المجتمع الدولي المتمثل في هيئة الامم المتحدة اتخاذ الاجراءات اللازمة للحد من هذه الظاهرة مثل إقرار اتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والبروتوكولات الملحقة بها ولا سيما بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو, وبرتوكول منع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والاطفال, ومن ثم سنت الكثير من القوانين لتجريم مثل هذا العمل والمتمثل في دخول و بقاء الاشخاص بطرق ووسائل غير شرعية لكي يتحصلوا على منافع مادية,وبالتالي اعتبر المهاجر غير شرعي في الدولة في الحالات التالية:-

- الافراد الذين يعبرون الحدود خلسة عن الرقابة المفروضة.
- شخص يدخل دولة بطريقة غير قانونية ولا يسوي وضعه القانوني فيها.

---

[2]Derek Lutterbeck,(2006),Policing Migration in the Mediterranean, *Mediterranean Politics*, Vol. 11, No. 1, pp. 59–82

[3]أحمد، شيماء, (2014) ,, هجرة شباب مصر :فرار إلى المجهول :المصرية لحقوق الإنسان :-

http://www.saveagyygt fyent.org/news

[4]صوت الامة الحر, 17 مايو (2015), على الموقع http://www.al-omah.com-and –dialogues.htm

[5]فتحي مُحَّد ابوعيانة, (1986), جغرافية السكان, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت , الطبعة (3).

- شخص يدخل دولة بطريقة قانونية ثم لا يغادر الدولة بعد انتهاء مدة اقامته القانونية([6]).

وتشمل الهجرة غير الشرعية في كثير من الحالات بعض اللاجئين الذين خرجوا من اوطانهم بدافع الخوف او الاضطهاد، وقد تم تحديد مفهوم اللاجئين في اتفاقية 1951 (اتفاقية لاجئي الامم المتحدة) وبروتوكول 1967 وفقا للمادة 1 (2) على انه: الشخص الذي يهاجر نتيجة الخوف من الاضطهاد لأسباب الجنس او الدين او الجنسية, او العضوية في مجموعة اجتماعية معينة, او لآراء سياسية..., كما شملت اتفاقية الامم المتحدة الاشخاص الذين يهربون من أوطانهم بسبب العدوان الخارجي والسيطرة الاجنبية او نتيجة الاحداث المعطلة للنظام العام سواء في جزء او كل البلاد([7]). ويمكن تفسير نمو هذه الظاهرة بشكل حاد في اواخر القرن الماضي الى غلق الأبواب أمام الهجرة الشرعية التي تبنتها أوروبا في فترة من الفترات، هذا الغلق ادى الى تأجيج موضوع الهجرة السرية غير النظامية بحيث اصبحت مشروعا مكلفا للمهاجر يقتضي منه تعبئة مصادر التمويل كبيع أراضيهم أو منازلهم لتغطية مصاريف الرحلة، ومن جانب اخر فقد شجعت كثير من المستغلين لاستثمار هذه الظاهرة الجديدة ليربحوا ويجنوا منها ثروات هائلة, بل اصبحت من اصناف التجارة المربحة تحت ما يسمى "الاتجار بالبشر" والتي حاربتها كل القوانين والمواثيق الدولية.

التركيب النوعي والعمري للمهاجرين:

يَلْعبُ الجنسُ دوراً مهما في اتجاهات الهجرةِ غير الشرعية, ففي المجتمعات التقليدية تلقى المسؤوليةَ الاقتصادية على عاتق الرجالِ من اجل توفير المتطلبات الأسرية وتوفير حياة ناجحة لهم ولأسرهم, وبالتالي شكل هذا ضغطا كبيرا على الرجال مما جعل من الهجرة السبيل الوحيد من امجل تحسين اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والاسرية. اذن لا غرابة ان نجد ان اكثر المهاجرين هم من الذكور (الشبان) في سن العمل, في الفئة العمرية من (20-40) سنة, وان وجدت نسب قليلة من النساء كما في المجموعات الإرتيرية والإثيوبية والصومالية, كما لوحظ ان اغلب المهاجرين مِنْ المناطق الريفيةِ الغير متعلمة و التي كانت ظروفها أكثر مِنْ سيّئة([8]), كما لوحظ في السنوات الاخيرة ارتفاع في نسبة الاطفال والنساء بين المهاجرين (2014-2015) خاصة بين المهاجرين السوريين وربما يرجع ذلك الى الحروب الدائرة في المنطقة.

الموقع الجغرافي لليبيا و دورة في الهجرة غير الشرعية:

تتفرد ليبيا عن غيرها من الدول المتوسطية ليس فيما يتعلق بنشاط الهجرة غير الشرعية بل بموقعها الجيوستراتيجي على الساحل الجنوبي من حوض المتوسط والمقابل لأوروبا مباشرة مما يوفر أقصر الطرق الى اوروبا. أهل لها هذا الموقع الفريد استقبال اعداد كبيرة من المهاجرين سواء بطرق شرعية او غير شرعية وصلت حسب بعض التقديرات ما بين (2 - 2,5 مليون مهاجر سنويا), منهم (1- 1,5 مليون مهاجر) من افريقيا جنوب الصحراء ([9]). وحسب تقديرات المركز الدولي لتطوير سياسة الهجرة (ICMBD) فأن حوالي

---

[6] غلو، أحمد,,(2006) الهجرة غير الشرعية بين تجار الأوهام وحلم الثروة، مجلة الجيش اللبناني، العدد 289.

[7] Sara Hamood, (2006), African Transit Migration through Libya to Europe, the Human Cost,ForcedMigration and Refugee Studies, The American University In Cairo. FMRS / AUC: Accessed at http://www.aucegypt.edu/fmrs/documents/African_Transit_Migration_through_Libya_-_Jan_2006.pdf

[8] Sara Hamood, (2006), p25

[9] HassenBoubakr, (2004), "Transit migration between Tunisia, Libya and Sub-Saharan - Africa:- study - based on Greater Tunis". *Paper presented at Regional Conference on "Migrants in transit countries:*

100,000 الى 120,000 مهاجر غير شرعي يعبرون البحر الابيض المتوسط كل سنة , منهم حوالي 35,000 مهاجر من افريقيا جنوب الصحراء([10]). كما يقدر عدد المهاجرين الذين يعبرون ليبيا وتونس سنويا الى السواحل الايطالية والمالطية بحوالي 80,000 مهاجر تقريبا ([11]).

كما قدرت ايطاليا عدد المهاجرين غير الشرعيين القادمين إليها من ليبيا بنحو (1.5) مليون أغلبهم من دول شمال أفريقيا وآخرون من تشاد والصومال وأريتريا وأثيوبيا ([12]) أما المفوضية الاوروبية فقد قدرت عدد المهاجرين بحوالي 207 الف مهاجر سنة 2014 ([13]). ويمكن ان نلاحظ ان ثلاثة ارباع الهجرة السرية الشكل (1) تمر من افريقيا الى اوروبا عبر ليبيا, وهذا يؤكد اهمية موقع ليبيا الاستراتيجي على القمة المركزية للقارة الافريقية المقابلة للسنترال الاوربي الرئيسي, لذا لا غرابة ان نجد ان اغلب الهجرة غير الشرعية تنتهي الى ليبيا في طريقها الى اوروبا.

شكل (1) حجم الهجرة السرية الى اوروبا عبر منافذ البحر الابيض المتوسط

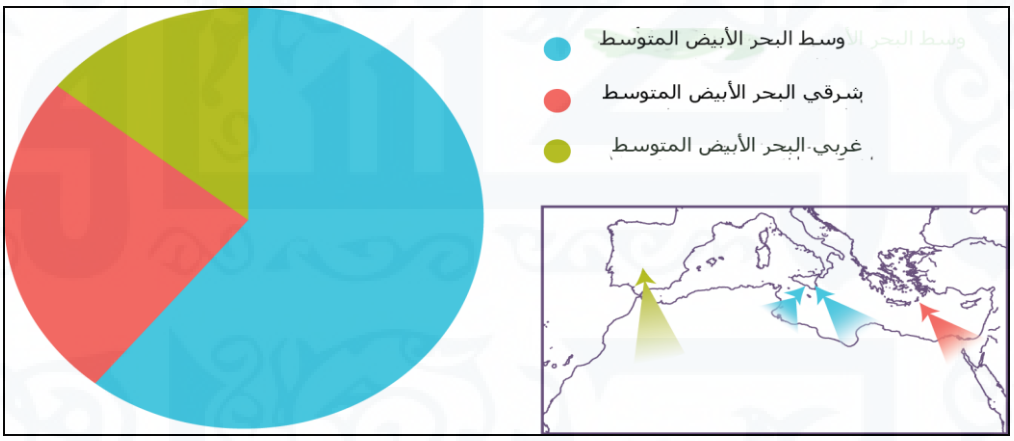

المصدر:-

The Global Initiative against Transnational Organized Crime, 2014, Smuggled Futures: The dangerous path of the migrant from Africa to Europe. Part of the Global Initiative against Transnational Organized Crime series on Human Trafficking, p3

---

sharing responsibility for management and protection" Istanbul (Turkey), Conrad Hotel, 30 September –1 October 2004, p2

[10]Derek Lutterbeck, (2006), P1-3

[11]International Centre for Migration Policy Development (ICMPD), (2004), "Irregular transit migration in the Mediterranean: some facts, figures and insights" Dialogue on Mediterranean Transit Migration (MTM), Meeting in Vienna, 5-6, February (2004),p19

[12]عبدالله أحمد عبدالله المصراتي, (2014), الهجرة غير الشرعية بالمجتمع الليبي :دراسة اجتماعية ميدانية على المهاجرين غير الشرعيين بمركز قنفودة بمدينة بنغازي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد (30) العدد, الرياض, (59)ص.228-193

[13]الهجرة غير الشرعية في ليبيا واقعها وخطورتها على الامن الوطني, الجزء التاسع عشر, صحيفة فسانيا: الموقع-
Fasanea.org/wp/%3fp%3D6145

الاوضاع السياسية في ليبيا بعد 17 فبراير والهجرة غير الشرعية:

بعد فبراير 2011 اصبحت ليبيا بوابة مفتوحة لكل الجنسيات وذلك اثر الانهيار والانفلات الذي وقعت فيه البلاد, حيث أكد وزيرُ الداخلية الليبي فوزي عبدالعالي بأنه "لا توجد هناك أي حراسَة على الحدود الى أوروبا" و دعا أوروبا للمُسَاعَدَة في التَعَامُل مع الهجرةِ الإقليميةِ, كما طَلَبَ عبدالعالي المساعدةً مِنْ أوروبا لإصلاح 19 معسكرَ لاعتقال المهاجرين غير الشرعيين, وتزويدهم بنظامَ لمراقبةِ الحدودَ. كما حذّرَ وزيرَ الخارجية الليبيَ عاشور بن خيال وزير الخارجية الإيطالي جيوليوتيرزي في مايو2012 من خطورة ارتفاع اعداد المهاجرينِ غير الشرعيينِ مِنْ ليبيا بسبب تدهورِ الأمنِ في ليبيا, كما حذّرَ من الاضطرابات في ليبيا([14]). فالتأثير المباشر مِنْ فراغِ القوة في أعقاب الربيعِ العربيِ برز في الغاء الاتفاقيات الثنائيةُ بين ليبيا والدول المرسل إليها في البحر الأبيض المتوسطِ. فالحالة في ليبيا تَبْقى غير واضحة و يَتوقّعَ بأنّ دورها سَيُتواصلُ كمحور للتَهريب، وقد تَأْخذُ الحكومات الجديدة وقتاً لفَرْض السيطرةِ على تَهريب المهاجرين والشبكاتِ الإجراميةِ الأخرى.

فقد اعلنت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة ان اكثر من 207 الاف مهاجر حاولوا العبور الى اوروبا عام 2014 وهو رقم يفوق بنحو ثلاثة اضعاف الرقم القياسي السابق الذي سجل في مطلع الثورات العربية في 2011 والذي قدر فيه عدد المهاجرين الفارين من الحروب بحوالي 70 الف مهاجر([15]). أيضاً يَتوقّعُ بأنّ المهربون الليبيونِ سَيُوسّعونَ قاعدةَ زبائنهم بمدى أوسع مِنْ دولِ الاصل مما يؤدي إلى قوَّةِ وتعاظم سوقِ المهربين من دول جنوب الصحراء, وستتاح إمكانية انشاء طرقِ جديدةِ مِنْ شرق ليبيا إلى اليونان وإيطاليا. فالفوضى التي تعيشها ليبيا تهيء الظروف المناسبة لشبكات التهريب والمهربين للعمل دون أي مخاطر. ففي أكتوبر 2013 على سبيل المثال قام خفر السواحل الايطالية بإنقاذ مركب يَحْملُ على متنه مِئاتَ من اللاجئين الافارقة بعد ان غرق قرب السواحل الايطالية, مات في هذه الحادثة اكثر من 360 شخص, وهذه الواقعة تعْكسُ تدهور الامن وعدم الاستقرار في شمال أفريقيا والساحل مماساهم في اندفاع الاف المهاجرين في افواج لم يسبق لها مثيلِ إلى شمال المتوسط(إيطاليا) في السنوات الأخيرةِ ([16]), وهذا مما دفع وزير الداخلية الإيطالي مؤخراً ليصرح بأنّ الحالةَ تُقاربُ نحو حالة طوارئ إنسانية، حيث ان هناك أكثر من 600,000 مهاجر مِنْ أفريقيا والشرق الأوسط جاهزون للبَدْء مِنْ الشواطئِ الليبيةِ.

وفي 10 يونيو 2014 وصل الى السواحل الايطالية حوالي 4000 مهاجر اغلبهم من النساء والاطفال, ويقدر ان العدد الاجمالي للمهاجرين خلال الفترة من (يناير- مايو 2014) بلغ ما يقارب من 20,000 الف مهاجر ([17]) اغلبهم قادمين الى اوروبا عبر ليبيا, وقد لوحظ ارتفاع في اعداد المهاجرين السوريين خاصة في عام 2013 (حوالي 70,000) مهاجر فارين من النزاع الجاري في بلادهم, وتليهم نسبة الإرتيريين التي تجاوزت 60,000 مهاجر هربا من القمع الشديد الذي تمارسه سلطاتهم من خلال الخدمة الالزامية مدى الحياة , و يفسر هذا

[14]Erin Foster Bowser and Maya Moseley , (2012), *The Libyan Migration Crisis of 2011*, Civil-Military Fusion Centre Mediterranean Basin Team Presents, p1-7

[15]الهجرة غير الشرعية في ليبيا واقعها وخطورتها على الامن الوطني, مرجع سبق ذكره

[16]The Global Initiative against Transnational Organized Crime, (2014), Smuggled Futures: The dangerous path of the migrant from Africa to Europe. Part of the Global Initiative against Transnational Organized Crime series on Human Trafficking

[17]قناة العربية, السبت, 2014/5/10 ,20:00 pm

النزوح بتأثير الوضع العربي والصراعات المسلحة عقب الثورات العربية وما نتج عنها من فراغ امني. والتي يمكن استشفافها من التالي:

- بلغ عدد المهاجرين غير الشرعيين الذين فقدوا في 2014 م4000شخص منهم (3200)شخص غرقوا في البحر الأبيض المتوسط, وربما هنا يطرح السؤال عن شعور المهاجر غير الشرعي بالأمن النفسي وهو يعلم بالمخاطر التي ركبها وهو في الواقع بين نارين نار البقاء واحتمال تعرضه للقتل والموت أو الهجرة بكل ما تحمله من مخاطر.
- بلغ عدد الذين وصلوا إلى شواطئ ايطاليا في العام 2014 م الى أكثر من (160) ألف شخص أغلبهم من سوريا (وأن اشارت تقديرات المفوضية الاوروبية الى 207 الف مهاجر سنة 2014 كما عرضا سابقا) هذا الرقم يشكل ثلاثة اضعاف الهجرة غير المشروعة منذ العام (2011) م.
- خلال الأسبوع الأخير من 2014) م (انقذت القوات الايطالية (1250) شخص من الغرق كانوا ضمن سفينتين وهو رقم كبير.
- تشير الدراسات إلى أن المهاجر غير الشرعي يدفع في رحلة الموت ما بين ألف وألفي دولار وهو مبلغ يعد كبير الفئة المهاجرين غير الشرعيين ([18])

اما في عام 2015 فأن باب الهجرة مفتوح على مصراعيه ولا يكاد يمر يوم من غير القبض على مئات المهاجرين في عرض البحر او قبالة السواحل الايطالية, فعلى سبيل المثال انقذت الحكومة الايطالية حوالي 3700 مهاجر قبالة السواحل الايطالية على متن 18 قارب في يوليو2015 ([19]). وخلال الشهور الاربع الاول من 2015 غرق ما يقارب من 1500 مهاجر, وقد ورد تقرير في الجارديان البريطانية بعنوان "توقعات بغرق اعداد قياسية من المهاجرين عبر البحر الابيض المتوسط هذا العام" انه في الربع الاول من عام 2015 غرق عشرة اضعاف ممن غرقوا في نفس الفترة من عام 2014 م ([20]), وتشير التقديرات الرسمية الى ان نحو60,000 مهاجر وصلوا خلال عام 2015 م وتقدر مفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين الى غرق 2000 مهاجر اثناء العبور هذا العام([21]).

اسباب الهجرة غير الشرعية:

تتعدد اسباب الهجرة وتتنوع الى قدر يصعب فيه ان نعزوها الى سبب بعينة, فهي مزيج من عدة عوامل تتداخل مع بعضها البعض الى درجة يجعل من الصعوبة بمكان ان نصنفها بدقة بين اولئك الذين تركوا اوطانهم بحثا عن ملاذ اخر بسبب الحرمان او الضيق الاقتصادي او بسبب النزاعات المسلحة او بسبب انتهاكات حقوق الإنسانِ او غير ذلك, وعليه سنشير هنا لأهم الاسباب التي تؤثر في الهجرة.

---

[18] خالد إبراهيم حسن الكردي,(2015), قراءة في سيكولوجية الهجرة غير المشروعة ورقة علمية مقدمة في الندوة العلمية بعنوان "الهجرة غير الشرعية : الأبعاد الأمنية والإنسانية" المنعقدة في مدينة سطات بالمغرب خلال الفترة من2015/6/2-4 م

[19] العربية الحدث, و سكاي انيوز,20:00 pm : 2015/6/23.

[20] صوت الامة الحر (17 مايو 2015) http://www.al-omah.com-and –dialogues.htm

[21] RT ,23/06/2015 ,,21;49 pm

1- الصراعات والحروب:

كان للصراعات والحروب التي نكبت بها القارة الأفريقية والتي طالت اوارها كل الارجاء ولا يكاد يستثنى منها طرف دورا في الهجرة بصفة عامة وفي الهجرة غير الشرعية بصفة خاصة,حيث تضم القارة الافريقية أكثر من 18 دولة تعاني نزاعات داخلية (اضف الى ذلك ما حدث في دول ما يسمى بالربيع العربي مثل تونس وليبيا ومصر وسوريا), وحسب تقرير صادر عن منظمة أمريكية غير حكومية هي «انترناشيونال ريسكيوكوميتي» فإن 8.3 مليون شخص قضوا خلال السنوات الست الأخيرة (98%) من الوفيات التي حصلت كانت ترجع الى الأمراض و سوء التغذية الناتجة عن الحروب ([22]).ويُقدّر ضحايا الهجرة القسرية في إفريقيا الناتجة عن النزاعات و الحروب بـ حوالي 25 مليون شخص منهم 10 مليون لاجئ (وهو ما يساوي نصف اللاجئين في العالم)، و 15 مليون نازح([23]) .ومن أكثر الدول المصدّرة للاجئين في إفريقيا سيراليون 450,000 لاجئ، والصومال 419,000، والسودان 374,000، قبل أزمة دارفور، وإريتريا 320,000، وبوروندي 300,000، إبّان أزمة البحيرات، وأنغولا 255,000» ([24]) .

وقد ادى الصراع المسلح على سبيل المثال في الصومال (وما يسمى بحركة الشباب)الى دفع كثير من السكان الى مغادرة الدولة بحثا عن الامن ([25]). ويعزو كثير من الباحثين نشاط حركة الهجرة عبر الصحراء خلال التسعينات الى الحروب الأهليةِ و ما نتج عنها من هبوطِ اقتصادي ([26]), ويظهر هذا واضحا في الحالة الصومالية حيث يقدر ان رُبع الصوماليين يَعِيشونَ خارج البلاد وذلك اثر الانهيار التدريجي الذى بدأ منذ بداية التسعينيات ولازال مستمرا حتى يومنا هذا مما خَلقَ حالة من عدمِ الاستقرار وعدمِ الأمان الذي تسبب في انخفاض مستوىِ المعيشة وتدهور الاوضاع الاقتصادية.و لا يختلف الوضع كثيرا في اثيوبيا وأرتيريا حيث ساهمت الحرب التي وقعت بينهما فيما بين 1998 و2000 الى هروب كثير من الإرتيريين والأثيوبيين الى السودان ولم يرجعوا حتى بعد انتهاء الحرب و منهم من هاجر الى ليبيا ومنها الى ايطاليا ([27]).

2-الظروف الاقتصادية ومعدلات البطالة:

تعتبر من اهم العوامل المساهمة في الهجرة غير الشرعية, فالتباين الاقتصادي يتجلى بشكل كبير بين الدول الطاردة والدول المستقبلة،فالدول النامية لم يزل اقتصادها يعتمد بشكل كبير على الزراعة والتعدين،وهما قطاعان لا يكفلان أية استمرارية في عملية التنمية ولا يضمنان عملية التنمية المستدامة نظرا لارتباط الزراعة بعوامل طبيعية كالأمطار التي لا دخل للإنسان فيها، وارتباط التعدين بأحوال وتقلبات السوق الدولية مما يؤدي إلى انعكاسات سلبية على مستوى سوق العمل.

وتنفرد القارة الافريقية بارتباط نشاطاتها الاقتصادية بالظروف الطبيعية التي تتميز بموجات الجفاف والتصحر التي تحدث بشكل متكرر وذلك يرجع الى وقوع هذه الدول في

---

[22] النزاعات في إفريقيا, تقرير منشور بموقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا).

[23] هالة جمال ثابت، (2005), الفقر في أفريقيا خصوصيته واستراتيجية اختزاله، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شئون القارة الأفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي, العدد الثاني: على الرابط: http:/www.alukah.net/world_muslims/0/59847/

[24] إسماعيل آدم, (2007), الهجرة من إفريقيا إلى إفريقيا, صحيفة الشرق الأوسط , العدد 10328, 9 مارس / 2007

[25] Sara Hamood, (2006), p8

[26] Hein de Haas (2007), , *North African migration systems: evolution, transformations and development linkages*, International Migration Institute, James Martin 21st Century School, University of Oxford,p4

[27] Sara Hamood, (2006)

نطاق الحزام الصحراوي الذي يتميز بالجفاف وقلة الامطار والحرارة العالية, وبالتالي فأن هذه الدول تعاني من مشاكل عديدة مثلما يحدث في الصومال واريتريا من جفاف ونقص الاغذية وغيرها, حيث تشير البيانات إلى ان افريقيا جنوب الصحراء تعاني من ظروف معيشية متدنية حيث يعاني ثلث سكانها من الجوع ويموت سدس اطفالها قبل سن الخامسة,وان هناك حوالي 40 مليون نسمة مهددين بكارثة نقص الأغذية، و حوالي 17.5 مليون شخص ليس لديهم ما يكفيهم من الغذاء، فالحالة خطيرة في دول مثل القرن الأفريقي والصومال التي يواجه سكانها موجات من الجفاف وحالات من نقص الأغذية ([28]). اما الوضع في سيراليون (ايضا في كثير من دول غرب القارة) فأن الاراضي الزراعية تحتاج إلى فترة راحة طويلة، مما يؤثر على تعطيل المزارعين لفترات طويلة ، وهذا مؤشر واضح على ان حرفة الزراعة غير مستقرة، لذا فأن كثير من المزارعين لا يعتمدون على هذه الحرفة وانما يبحثون على وسيلة أخرى للمعيشة كالهجرة الى مناطق زراعية وتعدينية اخرى في غرب أفريقيا ([29]).

فتراجع اقتصاديات دول الساحل الجنوبي من المتوسط (على الرغم من امتلاكها ثروات طبيعية هائلة) انما يعزو الى الركود الصناعي الذي تعاني منه, وبالتالي فأن اقتصادها زراعي بسيط لا يكفي لسد حاجات الافراد، وهذا الامر زاد من نسبة الفقر والبطالة اللذان يعتبران سببان قويان للهجرة نحو الدول الاوروبية.

البطالة:- سجّلت معدلات البطالة في إفريقيا ارتفاعا كبيرا بين الشباب الذين هم في سن العمل (15-64)سنة, حيث أشار تقرير لمنظمة العمل الدولية عام 2009م الى أن 13% من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (15- 24) سنة عاطلين عن العمل, أي ان حوالي 81.2 مليون شاب فعلياً بلا وظيفة([30]), وهذا يعني ان الدولة هي المسؤولة عن هذه المشكلة في نظر هؤلاء الشباب, مما قد يؤدي الى ثورات شبابية تطيح بالأنظمة المسؤولة عن ذلك (كما حدث في الآونة الأخيرة في دول الربيع العربي)، أو محاولات الهجرة كما حدث وسيحدث للخروج من هذا الواقع المؤلم. فالبطالة والفقر هما من العوامل الرئيسية كما اشار بعض المهاجرين غير الشرعيين التي دفعتهم للهجرة, حيث لم تكن لديهم أي فرص للعمل بعد تخرجهم مما شكل لهم احباط شديد, وبالتالي كانت الهجرة هي السبيل الوحيد للخروج من بوتقة الفقر ومن جحيم البطالة([31]).

عدم التناسب بين ارتفاع التعليم وفرص العمل المتاحة: المشكلة الاكثر خطورة في هذه القارة السمراء هي عدم التناسب بين الزيادة المضطردة في الاعداد المتزايدة من الخريجين من حملة الشهادات الجامعية وفرص العمل مما اثر في زيادة العاطلين عن العمل, اضف الى ذلك ان هذه الدول ليس لها القدرة على استيعاب بعض التخصصات او تقدير الكفاءات مما يدفع بكثير من حملة الشهادات العليا للهجرة بحثا عن فرص عمل افضل في دول تقدر وتحترم هذه الكفاءات, وهذا ما يطلق عليه "هجرة العقول او الكفاءات او الادمغة" ([32]).

---

[28] هالة جمال ثابت, مرجع سبق ذكره

[29] Moss , R . P. &Rathbon, J. A, (1975), " The population factor in African studies, University of London , Press , pp. 28, 32 .

[30] احمد اسماعيل, (2012), قراءة في ظاهرة الهجرة غير الشرعية من افريقيا الى الغرب, ص3: على الرابط

http;/www.qiraatafrican.com/view/q=1757?

[31] يوسف سليمان البقر, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/30

[32] احمد اسماعيل, مرجع سبق ذكره, ص3

مشكلة الفقر: من اهم العوامل الطاردة للإنسان واستقراء التاريخ يؤكد هذه الحقيقة فمعظم الهجرات كانت من اجل تحسين الوضع المعيشي للإنسان, فتارة كانت هذه الهجرات بحثا عن مصادر المياه والغذاء وتارة اخرى كانت بحثا عن الامن. على الرغم من التقدم النسبي الذي حققته القارة الافريقية في رفع المستوى المعيشي للأفراد الا ان حصة إفريقيا ممن هم يعيشون تحت خط الفقر (أي من يحصلون على أقل من دولار أمريكي في اليوم) ما زالت هي الأكبر بما يقرب من 291 مليوناً في إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الرغم من أن القارة الافريقية قد تمكنت من خفض نسبتهم بواقع 1.4% فقط في الفترة من 1990م وحتى 1998م، الا انها نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالنجاح الذي حققته القارة الآسيوية حيث انخفضت النسبة بواقع 4% في منطقة جنوب آسيا، و 12.3% في منطقة شرق آسيا, ويكفي ان هناك ما يُقدّر بنحو 17.4 مليون شخص يعانون عدم الأمن الغذائي في شرق إفريقيا ([33]).

يذكر يوسف سليمان احد المهاجرين غير الشرعيين التشاديين معبرا عن نفسه و زملائه، ان الظروف الاقتصادية في تشاد سيئة جدا, فليس لديهم ما يكفيهم من الدخل لإعالة أسرهم او للزواج او بناء بيوت, وبالتالي كانت الهجرة هي السبيل الوحيد لتحسين اوضاعهم المعيشية, لذا فقد راهنوا بحياتهم من اجل الوصول الى ليبيا في طريقهم الى اوروبا, هذاالرهان كما اشاروا اهون وطأة من رهان الفقر والجوع ([34]).

مشكلة الديون الخارجية : لعل المشكلة التي تنخر في كيان هذه القارة هي مشكلة الديون الخارجية التي كانت ولازالت عبئا ثقيلاً على كاهلها وتحدي رئيسي لكل مشاريع التنمية، فقد زادت الديون الخارجية المستحقة من 109,2 مليون دولار عام 1980 ، إلى حوالي 300 مليار دولار عام 2001 ، الى 370 مليار دولار في عام 2002 ، و إلى 330 بليون دولار في عام 2004 ، تركزت هذه الديون في دول أفريقيا جنوب الصحراء ، حيث احتلت المرتبة الثانية بعد دول أمريكا اللاتينية ، وقد ارتفعت حصة الديون المستحقة على بلدان أفريقيا جنوب الصحراء من 13% عام1980 إلى 24% عام 1990 ثم إلى 31% عام 1995 ([35]).هذه المشكلة كانت ولازالت عائقا رئيسيا امام مشاريع التنمية في هذه الدول التي لم تعجز عن سد اصل الدين فقط بل عجزت ايضا عن سداد الفوائد المستحقة, وبالتالي زادت هذه المشكلة من حدة الفقر والبطالة مما جعل من الهجرة امرا لا مفر منه امام كثير من الشباب.

3- تدني المستوى المعيشي وعدم توفر الخدمات الأساسية:

يرتبط تدني مستوى المعيشة ارتباطا مباشرا بتدهور الاوضاع الاقتصادية وبفشل خطط التنمية وتخبط سياسات الدولة, وكما اشرنا انفا فأن معظم دول القارة تعاني من صراعات وحروب داخلية تفقدها تماسكها الداخلي واستقرارها الامني والاقتصادي, وبالتالي تنعكس هذه المشاكل على السكان, فنجدهم يفقدون أبسط حقوقهم الأساسية المتمثلة في الخدمات التي ينبغي على الدولة أن توفّرها لهم من صحة وتعليم وطرق ووسائل مواصلات. حيث أوضحت دراسة تم إجراؤها مؤخراً في 24 دولة إفريقية تردي أوضاع البنية الأساسية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء - في مجالات الطاقة الكهربائية والمياه والطرق وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات – مما يؤدي إلى انخفاض النمو الاقتصادي الوطني بواقع نقطتين مئويتين سنوياً, وإلى تقليص

[33] تقرير بعنوان: الأزمات التي تواجه الأطفال والنساء في شرق وجنوب إفريقيا, منشور بموقع اليونيسف:
www.unicef.org/arabic/hac2011/hac_esaro.html

[34] محمد البقر حسن, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/25

[35] أبو العز، نهلة, مشكلة الديون الخارجية في أفريقيا ، التقرير الاستراتيجي الأفريقي, مركز البحوث الأفريقية ص 537

إنتاجية مؤسسات الأعمال بما يصل إلى 40%. وخلُصت هذه الدراسة المعنونة ب «البنية الأساسية في إفريقيا: حان وقت التحوّل» إلى أن البنية الأساسية في إفريقيا هي الأشد ضعفاً على مستوى العالم، ومن المفارقات أن تكلفة الخدمات الأساسية تجعل الأفارقة في بعض البلدان يدفعون ضِعف ما يدفعه المواطنون في مناطق العالم الأخرى ([36]). وهكذا عندما تتحول الحياة الى معاناة وصراع من اجل البقاء يصبح الأمل في البحث عن حياة افضل في مكان ما هو السبيل الوحيد, وهذا ربما هو الدافع الاساسي للهجرة الى اماكن اخرى قد سمع او قرأ عنها عبر وسائل الاعلام.

4- تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الإعلام:

كانت الثورة الحديثة في وسائل الأعلام و الاتصالات خاصة الفضائيات محفزا رئيسيا للهجرة, فقد اصبح العالم بفضل الفضائيات ووسائل الاتصال اشبه بقرية صغيرة مما ساهم في خلق ثقافة المقارنة والمفارقة لدى كثير من الناس بواقعهم المرير وبما يروه ويشاهدوه في وسائل الاعلام من اشكال الرفاهة ورغد العيش في دول اخرى. ولعل «الإنترنت» من اهم الوسائل الحديثة في مجال الاتصالات التي لعبت دورا رئيسيا في ترويج فكرة الهجرة غير الشرعية، خصوصاً من خلال مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر، وفيس بوك).فقد أكد الخبراء الذين شاركوا في مؤتمر حول الهجرة غير الشرعية في مدينة لاهاي في مايو 2010م , أن الشباب في دول جنوب البحر الأبيض المتوسط يعتمدون بشكل متزايد على تقنيات الإعلام الحديث, وخصوصاً شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل مع نظرائهم الأوروبيين أو المهاجرين في أوروبا، بحثاً عن فرص للهجرة, وفي محاولة منهم لتخطي الحواجز الأمنية والقانونية المتعاظمة بين بلدان جنوب البحر الأبيض المتوسط وشماله ويعتقد الخبراء أن تأثير تكنولوجيا الإعلام الحديث في تشكيل أفكار الشباب وانطباعاتهم حول موضوع الهجرة ربما يفوق تأثير وسائل الإعلام التقليدية, أي التلفزيون والراديو، بالرغم من أهميتها الاستراتيجية. وهذا ما أشار اليه رئيس المنتدى العربي في هولندا (ومنظّم «مؤتمر الهجرة غير الشرعية») من أن الدوافع الثقافية والنفسية لدى الشباب للهجرة تزداد أهمية بسبب الدور المتعاظم الذي تؤديه وسائل الإعلام وخصوصاً الإنترنت ([37]).

5- تأثير الشبكات الاجتماعية والتحويلات المالية من المهجر :

لا يقل هذا العامل عن غيره من العوامل فقد شجع وجود مثل هذه الشبكات المهاجرة والمستقرة في الخارج (اصدقاء-عائلات) وتحويلاتهم المالية الى عوائلهم في اوطانهم الى دفع كثير من الشباب ليحذوا حذوهم وليخوضوا غمار التجربة, فقد ساهمت التحويلات المالية للمهاجرين لذويهم في تدفق رؤوس اموال هائلة كما اشار مونيك بورفين " الى ان حصة التحويلات إلى دول المنشأ تمثل كميات هامة من رؤوس الأموال تتجاوز بكثير جبال من المساعدات الرسمية للتنمية ، والتي قدرها البنك الدولي بـ240 مليار دولار في 2007 على سبيل المثال، في حين لم تمثل المساعدات الإنمائية ألا حوالي 103 مليار دولار في نفس العام، وأشار إلى ان تلك التحويلات أفضل رهان اقتصادي واجتماعي وسياسي حاسم ([38]).

---

[36] تقرير بموقع البنك الدولي ww.Albankaldawli.org على

الرابط:

Http://Web.Worldbank.Org/Wbsite/External/Countries/Africaext/Zambiaextn/0,,Contentmdk:22387927~Menupk:375673~Pagepk:2865066~Pipk:2865079~Thesitepk:375589,00.Html

[37] موقع دويتشة فيله (صوت ألمانيا) –**Deutsche Welle** – http://www.dw-world.de/dw/9799/0,,613,00.html

[38] تقرير مؤتمر خبراء الإحصاء الأوروبي, (2008), ، أموال المهاجرين في خدمة التنمية المشتركة ، فرنسا، 18 مايو، 2008

خلاصة القول انه لا يمكن ان نعزو العوامل الطاردة في الدول المرسلة الى عامل بعينه بل انها تتداخل مع بعضها البعض بحيث لا يمكن فصل عامل عن غيره, فمثلا ترتبط الصراعات والحروب بعدم الاستقرار الاقتصادي والذي بدوره يؤثر في ارتفاع نسبة البطالة والفقر والامراض, وكذلك يؤثر الفقر في ارتفاع نسبة البطالة و الامراض والوفيات, في حين ان العوامل الجاذبة في المناطق المستقبلة كالاستقرار والامن وتوفر فرص العمل وغيرها من العوامل هي التي ينشدها المهاجر وهي التي لم تتوفر له في وطنه. وبالتالي فأن هذه الظروف سواء منفردة او متظافرة لا تجعل للمهاجر الا سبيل واحد وهو سبيل الهجرة بحثا عن فردوسه المفقود, وهنا تأتي مرحلة اتخاذ القرار وتحديد طريقة ووسيلة الرحلة الى البلد المقصود, وفي الهجرة السرية لابد للمهاجر ان يحدد بدقة الطرق التي يسلكها لتفادي نقاط التفتيش عبر الدول التي سيعبرها والتي سيصل اليها, وهذا ما سيتم تناوله في العرض التالي.

طرق ومسالك الهجرة غير الشرعية (Routes):

عندما يتخذ قرار الهجرة تبدا المرحلة الاشد صعوبة وخطورة للمهاجر, وهي الاعداد والتخطيط للرحلة لاختيار الطرق والمسالك التي يجب ان يسلكها بعيدا عن عيون رجال الامن ونقاط التفتيش وهنا ليس للمهاجر خيار الا السفر عبر طرق ومسالك خطرة ووعرة, ووسائل نقل قد لا تقل خطورة لأنها منظمة من قبل مهربين وتجار لاهم لهم الا الكسب المادي.واذا القينا نظرة فاحصة على الشكل (2) يمكن ان نستنتج ان الهجرة بصفة عامة والسرية بصفة خاصة من كل اجزاء القارة تنتهي في ليبيا قبل ان تعبر البحر نحو اوروبا, لذا كان هذا الجزء من البحث مخصص لإلقاء الضوء على هذه الطرق والمسالك التي قد يسلكها المهاجرون خلال رحلتهم للبلد المقصود.

1- الطرق والمسالك الصحراوية(The desert crossing)

عادة ما يستخدم المهاجرين غير الشرعيين طرق التجارة الصحراوية القديمة التي كانت مستعملة في القرون الماضية في نقل السلع والبضائع من اوروبا الى افريقيا والعكس كطرق التجارة بين ليبيا والسودان وتشاد والنيجر و المتوغلة الى الوسط الافريقي, حيث توجد حوالي (37) طريق كانت مستعملة. بعض المهاجرين قد يَأْخذُوا الطرقَ البرية المُؤَسَّسةِ عن طريق اغاديس النيجر إلى سبها ومنها للساحل الليبي ثم الى جزيرة ليمبيدوزا([39]),أما المهاجرين السودانيين واولئك القادمين من القرن الافريقي تأخذ المسالك التالية: **الاولى** من خلال دارفور, **والثانية** من خلال دونقلا في شمال السودان, **والثالثة** عن طريق تشاد([40]). وقد يسلك بعض المهاجرين من القرن الافريقي طريقا مباشرا الى ليبيا مما يوفر لهم الكثير من الوقت والمال, في حين قد يسلك اخرون طريقا الى ليبيا عبر السودان . اما المهاجرين الاثيوبيين و الإرتيريين والصوماليين فقد تكون وجهتهم الى ليبيا عبر السودان حيث يستقروا في السودان (عادة في الخرطوم) فترة تتراوح من سنة الى سنتين وخلال هذا الوقت قد يحصل بعضهم على عمل وقد يتزوج البعض الاخر ثم يواصلوا رحلتهم الى ليبيا ومنها الى اوروبا([41]).

ويمكن القول ان هناك طريقان احدهما من السودان والاخر من تشاد الى ليبيا لأولئك القادمين من السودان وتشاد و القرن الافريقي, فالسفر مباشرة من دارفور الى ليبيا كان مستمرا

[39]Erin Foster Bowser and Maya Moseley, (2012), p1-7,
[40]Sara Hamood, (2006), P43
[41]أحمد نور, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, الصومال), 2015/11/6

في نقل التجارة و العمالة الى وقت قريب, حيث يبدأ السفر من مليط في دارفور الى بلدة العوينات الليبية (الحدود الجنوبية الشرقية من البلاد) ([42]), الا ان اغلاق الحدود بين السودان وليبيا في مايو 2003 اثر على حركة المرور بين البلدين وعلى حركة الهجرة, واقتصر استعمال هذا الطريق على المهاجرين غير الشرعيين ([43]).

الطريق الاخر والاكثر استعمالا من قبل المهاجرين هو طريق من بلدة صغيرة تسمى ام جرس في الشمال الشرقي من تشاد, ومنها تتدفق الهجرة من تشاد والسودان و ارتيريا والصومال الى العوينات, كما ان هناك طريق اخرمن فايا في الشمال الغربي من تشاد ومنها يهاجر الكثير من الشاديين والنيجيريين والنيجريين وغيرهم من دول جنوب الصحراء الى سبها في الجنوب الليبي ([44]). ويذكر بعض المهاجرين غير الشرعيين الذين تمت مقابلتهم ان هناك خمس نقاط رئيسية للمغادرة من تشاد الى ليبيا, الأولى من **ام جرس** في الشمال الشرقي من تشاد, والثانية من **بشه** في شمال تشاد, والثالثة من **بلتن** غرب بشه بحوالي 100كم, والرابعة من **قلاعيد** وهي تبعد حوالي 300كم غرب بلتن, والخامسة من **فايا** في الشمال الغربي من تشاد ([45]) (الشكل 2).

كيفية ووسيلة السفر: اما وسيلة السفر خلال الصحراء فهي عادة تويوتا كروزر و شاحنات صغيرة يمكن ان تحمل ما بين 25-45 شخص في حالة الازدحام الشديد, و تتكون القافلة من سيارتان الى ثلاث سيارات وتستغرق الرحلة ما بين 5- 7 ايام ([46]). تسير الرحلة اثناء الليل وتتوقف اثناء النهار في فصل الصيف نتيجة الحرارة الشديدة, لذا يتنافس الركاب من اجل الحصول على مكان تحت السيارة للاتقاء من حر الشمس المحرقة, اما في فصل الشتاء فتتواصل الرحلة اثناء النهار.تعتبر الكفرة النقطة الرئيسية للقادمين من السودان وتشاد والقرن الافريقي, حيث تشير التقديرات الى عبور ما بين 10000-12000 مهاجر شهريا من خلال الكفرة (حسب تصريحات احد المسؤولين), ولا يدخل هؤلاء المهاجرون عبر المنافذ الرئيسية وانما يترك المهاجرون خارج الكفرة لكي يمشوا على الاقدام تجنبا لنقاط التفتيش([47]). يستقر المهاجرون بضعة ايام في الكفرة من اجل ترتيب اوضاعهم وتنسيق امورهم مع المهربين الذين يسهلون لهم الوصول الى المدن الليبية الساحلية بعيدا عن نقاط التفتيش.

---

[42] عبدالرحمن عبدالعزيز, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 1-6-2015

[43] ناصر احمد, ,مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/8/22

[44] التوم حامد, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/9/5

[45] يوسف سليمان البقر, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/30

[46] سعد عبدالكريم النور,مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/11/5

[47] Young, Helen, Osman, Abdul Monim, Aklilu, Yacob and Dale, Rebecca and Badri, Babiker,(2005) "Darfur-Livelihoods under siege" Feinstein International Famine Center,p90

شكل (2) طرق الهجرة غير الشرعية من افريقيا الى اوروبا عبر ليبيا

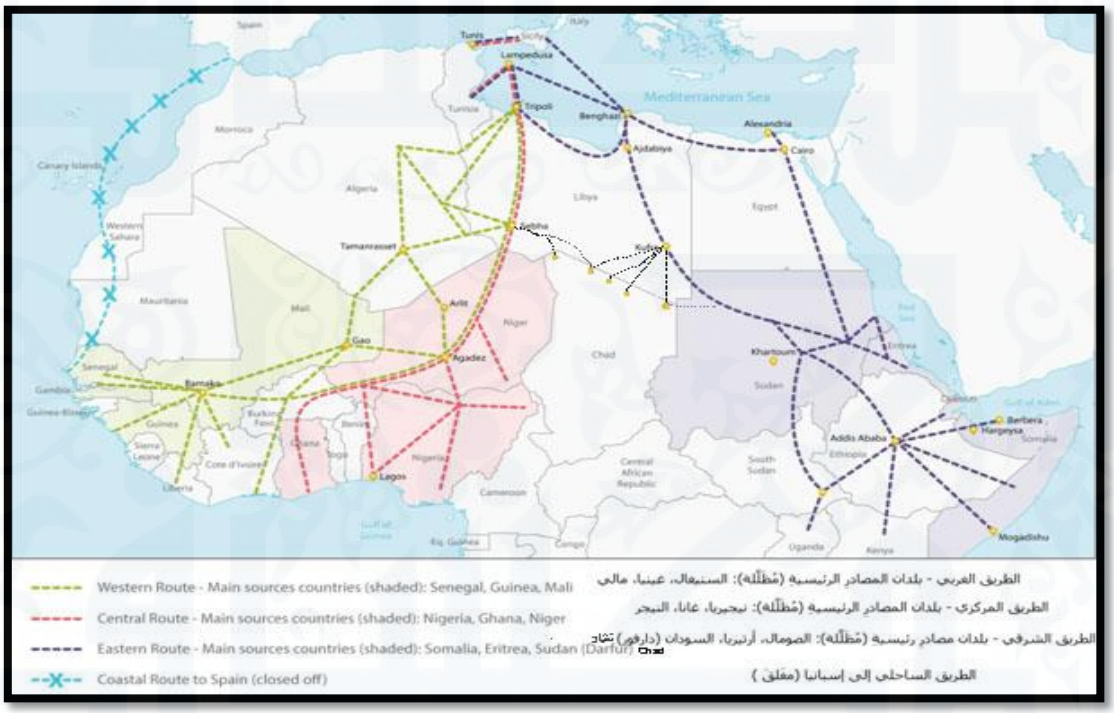

المصدر:- معدلة من قبل الباحث بالاعتماد على:-

The Global Initiative against Transnational Organized Crime, (2014), Smuggled Futures: The dangerous path of the migrant from Africa to Europe. Part of the Global Initiative against Transnational Organized Crime series on Human Trafficking, p8

وفي ليبيا كما في اي دولة اخرى فأن المهاجر يبحث عن مقيمين من ابناء جاليته يثق بهم في اعطاء النصائح, وبما ان هناك العديد من الجاليات المقيمة في الكفرة من السودان وتشاد ونيجيريا وغانا فأن افراد هذه الجاليات يقدمون الدعم والمشورة و التوجيه للمهاجرين الجدد, واحيانا يربطون بينهم وبين المهربين الذين سينقلونهم للمناطق الساحلية, وينطبق هذا على المدن الحدودية الاخرى سبها وغدامس التي تعتبر المحطات الرئيسية للقادمين من جنوب الصحراء. الطرق الداخلية للمهاجرين تبدأ من الكفرة الى اجدابيا وبعد ذلك الى طرابلس, واحيانا من الكفرة الى بنغازي ومنها الى طرابلس, هذه الرحلات مكلفة للمهاجرين فقد تتجاوز 150$, كما ان المهاجرين قد يقعون ضحية للنصب والاحتيال من قبل المهربين الذين يأخذون منهم الاجر ثم يهربون وبالتالي فقد يدفع المهاجر ثمن الرحلة عدة مرات ([48]).

2- عبور البحر الابيض المتوسط Crossing the Mediterranean Sea

بعد الاف الاميال من الترحال عبر الصحاري والقفار وعبر الاراضي الليبية بعيدا عن عيون رجال الامن ونقاط التفتيش, يجد المهاجر نفسه على شواطئ المتوسط في رحلته الاخيرة الى فردوسه المنشود, وهنا لا مفر للمهاجر من خوض البحر بقوارب ربما تكون غير صالحة

[48]Sara Hamood, (2006), p49

او في ظروف مناخية قد تكون غير ملائمة وبطرق يتم تحديدها من قبل اولئك المتاجرين بأرواح البشر. حيث ان هناك اربع طرق بحرية عبر البحر المتوسط وهي:

- طريق من المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب) الى الساحل الجنوبي من اسبانيا
- طريق من مصر وليبيا وتونس الى سيسلي والجزر الايطالية عن طريق مالطا
- طريق من تركيا الى اليونان الى سيسلي
- طريق من جنوب شرق ادريتك الى ايطاليا ([49]).

أتاح موقع ليبيا الفريد على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط قبالة السواحل الاوربية مباشرة وطول ساحلها نقاط كثيرة للمغادرة نحو اوروبا,كما هياء تركز السكان على الساحل وفي طرفي البلاد الشمال الغربي (طرابلس ومجاورها), والشمال الشرقي (نطاق بنغازي) في نطاق الاراضي والمساكن الزراعية أماكن لإيواء المهاجرين ونقاط للمغادرة, والتي يمكن تحديدها(نقاط المغادرة) في:

- **زوارة** والتي تبعد حوالي 100كم غرب العاصمة طرابلس والقريبة من الحدود التونسية.
- النقطة الاخرى والاكثر استعمالا هي **زليطن** والتي تبعد حوالي 150كم شرق طرابلس.
- هناك نقاط اخرى قريبة من العاصمة طرابلس مثل **جنزور وصبراتة** الواقعة بين طرابلس وزوارة والتي وفرت طريق مباشر وقصير الى اوروبا.
- اما الركن الشمالي الشرقي فهناك بعض النقاط القريبة من بنغازي([50]).

يستقل المهاجرون قوارب من الساحل الليبي في طريقهم للوصول الى الجزيرة الايطالية ليمبيدوزا والتي تبعد حوالي 300كم من الساحل الليبي, وفي العقد الأخير كَانتْ ليبيا المحورَ الرئيسيَ لمعابر البحر الأبيض المتوسطِ مِنْ أفريقيا إلى أوروبا خصوصاً إلى مالطا وإيطاليا حيث تُواجهُ الجزيرةِ الصغيرةِ (مالطا) تحديات هامّة كنقطة عبورِ لطرقِ الهجرةِ غير الشرعية مِنْ الجنوبِ إلى الشمال الأوروبي . فعلى الرغم مِنْ حجمِها الصغير (حولي 300 كيلومترِ مربّع) وعدد سكانها الذي يقدر بحولي 400,000 نسمة، الا أنها تعمل كجسر عبور ومنطقة إنقاذ لحوالي 260,000 كيلومترَ مربّعَ), ويبرز دور مالطا من خلال التناسب ما بين عدد المهاجرين لكل فرد من السكانِ؛ ففي سنة 2008 تجاوز عددِ المهاجرينِ معدلَ الولادات المحليَّ و في الشهورِ الستة الأولى مِنْ سنة 2011 لوحدها كان هناك 1531 مهاجر ([51]).

كيفية الاعداد للرحلة:

يتم التحضير للرحلة عادة بواسطة احد افراد جالية المهاجر المقيمة في ليبيا , هذا الشخص يعمل كحلقة وصل ما بين المهاجر والمهرب, وعندما يتم الاتفاق ما بينهما عن طريق هذا الوسيط ينقل المهاجر الى مكان المغادرة, مثل نقاط زوارة في الطرف الغربي من ليبيا, و قد يتم الاتفاق في هذه النقطة على الرحلة وعلى السعر الذي يتراوح ما بين 1000 الى 1200$ للشخص، بعد دفع المبلغ ينقل المهاجر الى منزل (حوش) في اغلب الاحيان غرفة كبيرة في مزرعة قرب نقطة المغادرة، لكي يتم جمع عدد كافي من المهاجرين، وخلال هذه

[49]Pugh, **Michael,** (2001),"Mediterranean Boat People: A Case for Co-operation?" *Mediterranean Politics*, vol. 6 (1), pp. 1-20, p8
[50]Sara Hamood, (2006), p4
[51]United Nations Office on Drugs and Crime, 2011, Smuggling of Migrants by Sea, P13

الفترة لا يسمح لهم بمغادرة المنزل خوفا من رجال الامن([52]). تتراوح الفترة التي يقضيها المهاجرون في الانتظار ما بين يوم الى عدة ايام, وخلالها يجهز المهربون المراكب التي يحتاجونها,وعندما يُقرّرُ المهربين بأنّ الوقتَ مناسب للمغادرة، يؤخذ المهاجرون إلى نقاط المغادرةِ في سياراتِ، او شاحنات مُغلقة أو حافلات أثنَاءَ اللَّيلِ لتَفادي نقاط التفتيش, اما في حالة قرب المكان من نقطة المغادرة فأن المهاجرين يسيروا على الاقدام في مجموعاتِ صغيرةِ لِكي لا يَجْذبَوا انتباه رجال الامن, و يحضر القارب الى منطقةِ المغادرةِ في حاوية, وعند هذه المرحلة يأخذ الوسطاء حصتهم من المال ,عند الصعودِ تؤخذ الهواتف الجوَّالة، والأحزمة، والسجائر وجوازاتِ السفر ووثائقِ الهويةِ مِنْ المهاجرين حتى لا يتمكن رجال الامن وخفر السواحل من القبض على المهربين او التعرف عليهم في حالة القبض على المهاجرين او اعتراضهم([53]). ولكن هناك شروط لابد من توافرها قبل الابحار وهي:

- توفر المركب الصالح للأبحار
- العدد الكافي من المهاجرين لكي تصبح الرحلة نافعة مالية للمهربين
- الظروف البحرية الملائمة للأبحار وعادة تبدأ من شهر مارس حتى سبتمبر ([54]).

الا ان هناك مخاطر يواجها المهاجر منذ ان يقرر الرحلة حيث ان الموت يلازمه ويرافقه سواء عبر الصحراء او عبر دول العبور او وسط الامواج العاتية, الموت جوعا او عطشا او خلف القضبان او غرقا, فمن المخاطر التي تهدد المهاجرون عبر الصحراء تعطل الشاحنة او استنفاذ البنزين او تيها في الصحراء, حيث قد تواجه القافلة اثناء رحلتها بعض الكثبان الرملية مما يجبر السائق على التوقف, كذلك الازدحام الشديد الذي يتسبب في تساقط بعض المسافرين من السيارة اثناء الرحلة مما ينتج عنه اصابة أو موت بعضهم, كما ان بعض المهاجرين لا يقاومون ضغط الاكتظاظ لظروفهم الصحية فيضطرون للنزول من السيارة في عرض الصحراء لانهم ميتون لامحالة ([55]). وربما من المخاطر الغير منظورة هو المال الذي يحمله المسافرون مما يجعلهم فريسة للمهربين او قطاع الطرق او مسؤولو الحدود الفاسدين, فعلى سبيل المثال توجد نقاط تفتيش وهمية قرب الحدود الليبية تقوم بأخذ 100 دينار عن كل راكب في كل نقطة (حوالي 3 نقاط)([56]). اما مخاطر البحر فهي الازدحام والموت غرقا حيث ان المهرب يريد ان يضمن اكبر عدد من الاشخاص بقدر قد يفوق قدرة وحجم المركب ([57]), كذلك عدم احترافية السائقين والظروف السيئة حيث ان اغلبهم من المهاجرين الذين ليست لديهم اي خبرة في قيادة القوارب او بالبحر.

---

[52] Sara Hamood, (2006), p51

[53] United Nations Office on Drugs and Crime,(2011), P29

[54] Sara Hamood, (2006), p50

[55] أحمد جدوه, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/11/5

[56] سعد عبدالكريم النور, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/11/5

[57] Sara Hamood, (2006), p51

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء على ظاهرة الهجرة السرية من خلال طرح بعض التساؤلات التي تمت مناقشتها في متن هذه الدراسة. فيما يتعلق بالتساؤل المطروح عن حجم هذه الظاهرة, فقد تبين ان حجم الهجرة غير الشرعية خاصة في السنوات الاخيرة فاق كل التوقعات وتجاوز حجمها الملايين من اولئك الفارين من ضيق الفقر والجوع والحروب والصراعات والبطالة والامراض, بل واصبحت تجارة البشر من التجارات العالمية التي تدر المليارات على تجار البشر وشبكات المافيا.

اما التساؤل المتعلق بدور ليبيا في الهجرة السرية, فأن ليبيا تأتي على قمة الهرم كدولة عبور للمهاجرين غير الشرعيين في البحر المتوسط للسنترال الاوربي بنسبة تصل الى ثلاثة ارباع الهجرة السرية من منافذ البحر المتوسط, وذلك لموقع ليبيا الفريد المقابل لأوروبا مباشرة والمشرف على القارة ودول جنوب الصحراء مما جعل منها بوابة القارة الشمالية ومنفذ اوروبا جنوبا, وعلى الرغم من بروز هذه الظاهرة في تسعينات القرن الماضي الا انها تفاقمت بشكل حاد في السنوات الاخيرة خاصة بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي التي خلقت فراغا امنيا في الطوق الجنوبي من المتوسط خاصة في ليبيا التي اصبحت ملاذا لهؤلاء الفارين من الحروب والصراعات الدامية في المنطقة سواء في دول الربيع او في دول جنوب الصحراء.

فيما يتعلق بأسباب الهجرة السرية ودوافعها الرئيسية التي جعلتهم يراهنون بحياتهم من اجل الوصول الى فردوسهم المنشود,فقد كانت الاسباب الدافعة كثيرة ومتنوعة من الفقر المدقع الى الحروب والصراعات الطائفية والقبلية, الى البطالة المقنعة حتى اصبحت الهجرة رهان حياة لأولئك المهاجرين, الذين ادركوا من خلال وسائل الاتصال والاعلام و معارفهم في المهجر ان هناك فرص افضل لتحسين مستواهم المعيشي.

أما التساؤل المتعلق بالطرق والمسالك والوسائل التي يسلكها المهاجرون عبر الصحراء وفي عرض البحر للوصول الى البلد المقصود: فقد تبين ان اكثر الرحلات من داخل القارة تنتهي الى تشاد والسودان والنيجر ومنها الى ليبيا كمحطة اخيرة على شواطئ المتوسط الجنوبي قبل المغادرة الى أوروبا, حيث ان هناك ثلاث طرق الاولى من خلال دارفور, والثانية من خلال دونقلا في شمال السودان, والثالثة عن طريق تشاد والتي تنقسم بدورها الى خمس نقاط رئيسية, الأولى من ام جرس في الشمال الشرقي من تشاد, والثانية من بشه في شمال تشاد, والثالثة من بلتن غرب بشه بحوالي 100كم, والرابعة من قلاعيد وهي تبعد حوالي 300كم غرب بلتن, والخامسة من فايا في الشمال الغربي من تشاد.

أما المخاطر التي تواجهها فلا أقل من الموت منذ الخطوات الاولى وحتى المحطة الاخيرة, الموت عبر الصحراء جوعا وعطشا او نهبا, او الموت والسجن خلف القضبان في دول العبور, او على ضفاف المتوسط حيث الاف الجثث على شواطئ المتوسط كل يوم. وخلاصة القول عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية هي:

- ظاهرة حديثة ترجع الى تسعينات القرن الماضي, وذلك عندما اغلقت الابواب امام الهجرة الشرعية.
- زاد من خطورة هذه الظاهرة كونها اصبحت تجارة مربحة تضاهي تجارة السلاح والمخدرات, تدر المليارات على تجار البشر وشبكات المهربين.
- انها مخاطرة تحمل في ثناياها الموت عبر الصحراء وخلال دول العبور وعبر المتوسط, وبالتالي فأن الناجين قد فازوابرهانهم بحياتهم من اجل الوصول.

لكن هناك سؤال يطرح نفسه في ختام هذا البحث وهو: أليس غريبا ان يراهن هؤلاء المهاجرين بحياتهم على الرغم من ادراكهم قبل رحيلهم بأنهم ميتون لا محالة؟ هل أصبحت تلك الأوطان لا تعني لهم الا الفقر والجوع والبطالة والحروب والدمار؟ألا يمكن ان نتسأل عن هذا الواقع المرير الذي يزداد تفاقما يوما بعد يوم في جنوبه, وغنا وثراء في شماله؟ أليست هذه الهجرة ضريبة لابد ان تدفع من قبل دول شمال المتوسط التي استباحت القارة وثرواتها بل وابنائها ذات يوم؟

السياسات التي يمكن ان تتخذ في هذا الإطار (التوصيات) فهي:

- وضع سياسات جديدة تعمل على خلق نقاط جاذبة في هذه الدول, فهذه البلايين من الدولارات التي تصرف على مكافحة الهجرة وعسكرة الحدود (كما اشرنا في البحث السابق) قد تستثمر في برامج ومشاريع تنموية في الدول المصدرة للهجرة بما في ذلك تحسين المستوى الصحي والتعليمي والاقتصادي.
- على المجتمع الدولي بمنظماته ومؤسساته المختلفة ان يعمل على الحد من الصراعات والحروب في هذه المناطق الطاردة بما ذلك دول الطوق الجنوبي و ما يحدث فيها من ثورات كان لها كبير الاثر في تضاعف حجم الهجرة السرية, حيث ان اكثر المهاجرين غير الشرعيين في عامي 2013 و 2014 و 2015 كانوا من السوريين, كما ان ليبيا اصبحت بمثابة فوهة البركان الذي يلقي بحممه على سواحل اوروبا, حيث اصبحت بعد فبراير والفراغ الامني قبله لكل المهاجرين الى اوروبا سواء من دول افريقيا جنوب الصحراء او من اسيا من سوريا وبنغلاديش وغيرها.
- وضع قوانين واجهزة صارمة لمعاقبة تجار البشر والمهربين, والتعاون مع دول المصدر ودول العبور في ملاحقة هذه الشبكات والقضاء عليها.

المراجع:

1- جمال الشحي, (2010), مدن نسكنها ومدن تسكننا، مقال منشور بموقع صحيفة البيان, بتاريخ 19 يونيو / 2010م

http://www.albayan.ae/opinions/1265978204282-2010-06-19-1.256668

- 2DerekLutterbeck,(2006),Policing Migration in the Mediterranean, *Mediterranean Politics*, Vol. 11, No. 1, pp. 59–82

3-أحمد،شيماء, (2014) ,, هجرةشبابمصر :فرارإلىالمجهول :المصريةلحقوقالإنسان :-

htt://www.saveagyygtfyent.org/news

3- صوت الامة الحر, 17 مايو (2015), على الموقع

http://www.al-omah.com-and –dialogues.htm

5- فتحي محمد ابوعيانة, (1986), جغرافية السكان, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت , الطبعة (3).

6- غلو،أحمد,,(2006) الهجرةغيرالشرعيةبينتجارالأوهاموحلمالثروة،مجلةالجيشاللبناني، العدد 289.

Sara Hamood, (2006), African Transit Migration through Libya to Europe, the Human Cost, Forced -7 Migration and Refugee Studies, The American University In Cairo. FMRS / AUC:Accessed at

http://www.aucegypt.edu/fmrs/documents/African_Transit_Migration_through_Libya_-_Jan_2006.pdf (13 May 2006)

. - 8Sara Hamood, (2006), p25

9HassenBoubakr, (2004), "Transit migration between Tunisia, Libya and Sub-Saharan - Africa:- study - based on Greater Tunis".*Paper presented at Regional Conference on "Migrants in transit countries: sharing responsibility for management and protection"* Istanbul (Turkey), Conrad Hotel, 30 September – 1 October 2004, p2

10-Derek Lutterbeck, (2006), P1-3

11-International Centre for Migration Policy Development (ICMPD), (2004), "Irregular transitmigration in the Mediterranean: some facts, figures and insights" Dialogue on Mediterranean Transit Migration (MTM), Meeting in Vienna, 5-6, February (2004),p19.

12-عبدالله أحمد عبدالله المصراتي, (2014), الهجرة غير الشرعية بالمجتمع الليبي :دراسة اجتماعية ميدانية على المهاجرين غير الشرعيين بمركز قنفودة بمدينة بنغازي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد (30) العدد, الرياض, (59)ص.228-193

13- الهجرة غير الشرعية في ليبيا واقعها وخطورتها على الامن الوطني, الجزء التاسع عشر, صحيفة فسانيا: الموقع-

Fasanea.org/wp/%3fp%3D6145

14-Erin Foster Bowser and Maya Moseley , (2012), *The Libyan Migration Crisis of 2011*, Civil-Military - Fusion Centre Mediterranean Basin Team Presents, p1-7

15-الهجرة غير الشرعية في ليبيا واقعها وخطورتها على الامن الوطني, مرجع سبق ذكره

16-The Global Initiative against Transnational Organized Crime, (2014), Smuggled Futures: The dangerous path of the migrant from Africa to Europe. Part of the Global Initiative against Transnational Organized Crime series on Human Trafficking

17 -قناة العربية, السبت, 2014/5/10 ,20:00 pm

18 - خالد إبراهيم حسن الكردي,(2015), قراءة في سيكولوجية الهجرة غير المشروعة ورقة علمية مقدمة في الندوة العلمية بعنوان "الهجرة غير الشرعية :الأبعاد الأمنية والإنسانية" المنعقدة في مدينة سطات بالمغرب خلال الفترة من4-6/2/2015 م

19 - العربية الحدث, و سكاي انيوز, 20:00 : 2015/6/23 pm.

20- صوت الامة الحر (17 مايو 2015)

http://www.al-omah.com-and –dialogues.htm

21-RT ,23/06/2015 ,,21;49 pm

22 - النزاعات في إفريقيا, تقرير منشور بموقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا).

23 - هالة جمال ثابت، (2005), الفقر في أفريقيا خصوصيته واستراتيجية اختزاله، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شئون القارة الأفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي, العدد الثاني: على الرابط:

htt:/www.alukah.net/world_muslims/0/59847/

24 - إسماعيل آدم, (2007), الهجرة من إفريقيا إلى إفريقيا, صحيفة الشرق الأوسط , العدد 10328, 9 مارس / 2007

25- Sara Hamood, (2006), p8

26-Hein de Haas (2007), *North African migration systems: evolution, transformations and development linkages*, International Migration Institute, James Martin 21st Century School, University of Oxford,p4

27- Sara Hamood, (2006)

28- هالة جمال ثابت, مرجع سبق ذكره

29- Moss , R . P. &Rathbon, J. A, (1975), " The population factor in African studies, University of London , Press , pp. 28, 32 .

30 -احمد اسماعيل, (2012), قراءة في ظاهرة الهجرة غير الشرعية من افريقيا الى الغرب, ص3: على الرابط

http;/www.qiraatafrican.com/view/q=1757?

31- يوسف سليمان البقر, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/30

32- احمد اسماعيل, مرجع سبق ذكره, ص3.

33- تقرير بعنوان: الأزمات التي تواجه الأطفال والنساء في شرق وجنوب إفريقيا, منشور بموقع اليونيسف:

www.unicef.org/arabic/hac2011/hac_esaro.html

34- محمد البقر حسن, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/25

35 - أبو العز، نهلة, مشكلة الديون الخارجية في أفريقيا ، التقرير الاستراتيجي الأفريقي, مركز البحوث الأفريقية ص 537 .

36- تقرير بموقع البنك الدولي ww.Albankaldawli.org على الرابط:
http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/COUNTRIES/AFRICAEXT/ZAMBIAEXTN/0,,contentMDK:22387927~menuPK:375673~pagePK:2865066~piPK:2865079~theSitePK:375589,00.html

37- موقع دويتشة فيله (صوت ألمانيا) –Deutsche Welle -

http://www.dw-world.de/dw/9799/0,,613,00.html

38- تقرير مؤتمر خبراء الإحصاء الأوروبي, (2008), ، أموال المهاجرين في خدمة التنمية المشتركة ، فرنسا، 18 مايو، 2008

- 39Erin Foster Bowser and Maya Moseley,(2012), p1-7,

-40Sara Hamood, (2006), P43

41- أحمد نور, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, الصومال), 2015/11/6

42 - عبدالرحمن عبدالعزيز, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 1-6-2015

43- ناصر احمد, ,مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/8/22

44-التوم حامد, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/9/5

45- يوسف سليمان البقر, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/10/30

46-سعد عبدالكريم النور,مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/11/5

-47Young, Helen, Osman, Abdul Monim, Aklilu, Yacob and Dale, Rebecca and Badri, Babiker,(2005) "Darfur-Livelihoods under siege" Feinstein International Famine Center,p90

-48Sara Hamood, (2006), p49

-49Pugh, **Michael,**(2001),"Mediterranean Boat People: A Case for Co-operation?" *Mediterranean Politics*, vol. 6 (1), pp. 1-20, p8

- 50Sara Hamood, (2006), p4

- 51United Nations Office on Drugs and Crime, 2011, Smuggling of Migrants by Sea, P13

52Sara Hamood, (2006), p51 -

-53United Nations Office on Drugs and Crime,(2011), P29.

[5]4Sara Hamood, (2006), p50 -

55- أحمد جدوه, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, تشاد), 2015/11/5

56- سعد عبدالكريم النور, مقابلة, (أحد المهاجرين غير الشرعيين, السودان), 2015/11/5

-57Sara Hamood, (2006), p51

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدور السياسي والحضاري لمدينة بلخ في اقليم خراسان عهد الدويلات المستقلة

د. موسى جمعة سليمان الحبيب .

(عضو هيئة التدريس - كلية التربية القبة - جامعة عمر المختار – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدور السياسي والحضاري لمدينة بلخ في اقليم خراسان عهد الدويلات المستقلة

ملخص:

إن هذا البحث يبرز الدور السياسي و الثقافي لواحدة من أهم المدن في اقليم خراسان و هي مدينة بلخ حيث كانت في أوقات كثيرة حاضرة سياسية و لها من الأدوار ما يجعلها ذات أهمية سياسية بالغة ، و كل الدول التي تعاقبت على حكم اقليم خراسان كان بقاءها مرتبطاً بإخضاع مدينة بلخ حتى وإن لم تتخذ منها عاصمةً لها، و قد كان للعديد من الأقاليم و المدن الإسلامية دور حضاري و علمي متميز من بين تلك المدن بلخ حيث كانت مركزاً من مراكز العلم على مر القرون، و قد تميزت بنشاطها العلمي و ذلك بفضل جهود العديد من الحكام والعلماء و رجال الدين الذين كان لهم جهداً كبيراً في ازدهار المدينة وتطورها.

Abstract

Key findings the study proved that balkh played a basid and pioneering role in the development of science and literature in the moslim state since the early days and its history was all over the Islamic ralling ages balakh was a light pole for science from different regions in the Islamic countries .

المقدمة

كانت خراسان بما تشتمل عليه من أرباع أربعة مرو و هراة و نيسابور و بلخ تمثل محيطاً جغرافياً هاماً بالنسبة للدولة الإسلامية منذ القضاء على الوجود الفارسي الحاكم بها سنة 32هـ/652 م على يد الفاتحين المسلمين، و قد ارتبطت بالأحداث التاريخية الإسلامية الهامة وذلك بارتباطها بالدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الأموي وظلت تلعب دوراً هاماً في الدولة العباسية في أوج قوتها و ضعفها و كانت مطمعاً لعدد من الأسر التي استقلت أو التي حاولت الاستقلال عن المراكز الهامة في دولة الخلافة و من هذه الدويلات كانت الدولة الطاهرية و الدولة الصفارية و الدولة السامانية ثم الدولة الغزنوية، إلا انها اختلفت في علاقاتها بالخلافة العباسية ما بين دولة مستقلة استقلالاً تاماً و دولة مستقلة استقلالاً اسمياً.

لقد كان لبلخ في هذا الاقليم دوراً سياسياً و حضارياً متميزاً، فهي مركز من مراكز العلم على مر القرون في تاريخها الإسلامي، و قد تميزت بنشاطها العلمي و ذلك بفضل جهود العديد من الحكام و الوزراء و العلماء الذين كان لهم فضل كبير في ازدهار المدينة و تطورها و قد تأثرت الحياة العلمية فيها بالأوضاع السائدة في البلاد و تركت آثاراً واضحة حيث ظهر العديد من رواد العلم في جميع مجالات العلم المختلفة.

أهمية الموضوع : إن الدراسات على الدويلات المستقلة في أقليم خراسان كثيرة ومتنوعة و لكن ما هو جدير بالذكر أن تلك الكتابات عندما يرد فيها ذكر لمدينة بلخ فإنه يكون مجرد شذرات متناثرة في أرجاء الدراسة لا تتعدى أسطر إن تم جمعها، و هذه الدراسة المتواضعة تسلط الضوء الى حد ما على مدينة بلخ في عصر الدويلات المستقلة لعل الباحث يجد فيها ضالته، و على أقل تقدير دليله الى المصادر التي كتبت عن بلخ و من هنا تكمن أهمية الموضوع.

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى توضيح مدى أهمية مدينة بلخ بالنسبة لمدن خراسان في عهد الدويلات المستقلة و دورها البارز في الحضارة الإسلامية من خلال دراسة الأوضاع السياسية و الثقافية فيها، و معرفة مدى اهتمام السلاطين و الأمراء بالحياة العلمية و الثقافية و أهم الانجازات التي حققوها في هذا المجال.

المنهج المتبع : أتبعت في هذه الدراسة المنهج السردي التحليلي وعزو كل قول إلي مصدره بأمانة علمية.

وصف بلخ وجغرافيتها :

بلخ إحدى ارباع أقليم خراسان المشهورة الأربعة، نيسابور، و مرو وهراة، و بلخ [1] و خراسان من الأقاليم التي فتحت في وقت مبكر من زمن الخلافة الإسلامية، حيث لما أستخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه ولى عبدالله بن عامر بن كريز البصرة فأفتتح من أرض فارس ما افتتح، ثم غزا خراسان وذلك عام 30 هـ [2]، ولم يكن ثمة تحديد دقيق لمساحة بلخ وحدودها، قيل طولها مائة وخمس عشرة درجة، وعرضها

1- الاصطخري،ابواسحاق ابراهيم بن محمد،(1962م)،المسالك والممالك،(تحقيق محمد جابر عبد العال)،مطبعة القاهرة،د.ط،253 .
-ابن حوقل،ابوالقاسم محمد،صورة الارض،دار الحياة،بيروت،د.ت،ص359.
2- البلاذري،احمد بن يحيى،فتوح البلدان،تعليق رضوان محمدرضوان،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،ص394 .

سبع وثلاثون درجة ومكانها الإقليم الخامس[3]، وفي تحديد آخر أنها من مدن الإقليم الرابع، وطولها احدى وتسعين درجة وعرضها ست وثلاثين درجة[4].

لقد تعددت أسماء بلخ في كتب عديدة كتبت عنها، وكلها أشادت بها، ذكر ياقوت الحموي أنها من أجل مدن خراسان واشهرها وأوسعها غلة[5]، وذكر ايضاً انها مدينة من اقدم البلاد و أحضها بالملوك وانها تشبه العراق[6]، وقيل مدينة عظيمة القدر[7]، و وصفت كذلك ببلخ البهية[8].

تقع مدينة بلخ العريقة داخل إقليم خراسان و بالتحديد في الشمال على الطريق القادم من الصين لبغداد إلى الجنوب مباشرة من إقليم خوارزم وبلاد ما وراء النهر[9]، وتوصف بأنها من أجمل مدن خراسان و اجلها حيث تخترق الأنهار شوارعها وتحف الأشجار شواطئ الأنهار، دورها فسيحة وثمارها عجيبة ومياهها نقية و جامعها في وسط الأسواق، وحولها سور وبها عدة أبواب و سطوح منازل أهلها مستوية و أحوال الطقس بها باردة على غرار كل أنحاء خراسان وهوائها معتدل و أراضيها من أخصب الأراضي في إقليم خراسان و لذلك تحيط بها الزراعات و البساتين من جميع النواحي و يكثر بها الخيرات و الرزق[10]، و إلى وقتنا هذا يمكن القول أن بلخ من أجمل مدن افغانستان وبالتحديد تقع في شمالها، و بها المزار المعروف بمزار شريف[11].

الحالة الدينية في بلخ: كانت الديانة السائدة في بلخ قبل الإسلام البوذية، و يرجع السبب في ذلك أن الرجل الذي اسمه (زرادشت) الذي تنسب إليه تلك الديانة قد ولد في بلخ[12]، و أصبحت بذلك من أهم المدن المعتنقة لهذه الديانة، بل أصبحت مركزاً مهماً لنشر الديانة، و قد استمرت كذلك حتى أيام الفتح الإسلامي[13]، و ما أن فتحت المدينة عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى تحولت إلى مدينة إسلامية تعتنق المذهب السني[14]، على مذهب الإمام أبي حنيفة، حيث ارتبط سكان المدينة بالإمام ارتباط وثيق بكل ما يقول ويفعل[15].

وعلى الرغم من ذلك كثرت المذاهب والفرق خاصة في العصر العباسي في اقليم خراسان عامة وبلخ خاصة، ربما يعود السبب في ذلك أن الحكام الذين تعاقبوا على

3- ياقوت الحموي،أبوعبدالله،(1990م)معجم البلدان،(تحقيق فريدعبدالعزيز الجندي)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، ،ج1،ص479.
4- السمعاني،أبوسعد عبدالكريم،(1988م)الأنساب،(تعليق عبدالله عمر البارودي)،دار الجنان،بيروت،ط1، ،ج1،ص388
-القلقشندي،ابوالعباس ،(1992م)أحمد،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1، ،ج4،ص395 .
1- معجم البلدان،ج1،ص479.
2- الثعالبي،أبومنصور عبدالملك،(1984م)، لطائف المعارف،(تحقيق محمود عبدالله الجارد)،مكتبة دار العروبة،بغداد،ط1، ص203 .
3- اليعقوبي،احمد بن ابي يعقوب،(1960م)، البلدان،دار صادر،بيروت، ص55 .
4- المقدسي،أبو عبدالله محمد،(1909م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،طبع ليدن،مطبعة بريل، ص238
5- النرشخي،أبوبكرمحمد بن جعفر،(1965م)، تاريخ بخارى،(تحقيق و تعليق امين عبدالمجيد بدوي)،دار المعارف،ط3، ص90.
6- المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص238 .
7 - كي لسترنج،(1954م)، بلدان الخلافة الشرقية،(ترجمة بشير فرنسيس،كوركيس عواد)،مطبعة الرابطة،بغداد، ص465،464.
1- الشهرستاني،أبوالفتح محمد بن عبدالكريم،(1993م)، الملل والنحل،(تحقيق محمد سيد كيلاني)،دار المعرفة،بيروت،ط3، ج1،ص235.
2- حيدر محمد علي،(1973م)، الدويلات الإسلامية في المشرق،عالم الكتب،القاهرة، ص3، 4.
3- أبن الفقيه،أبو عبدالله أحمد،(1996م)، البلدان،(تحقيق يوسف الهادي)،عالم الكتب،بيروت، ص617.
4- المدرس،محمد محروس،(1977م)، مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية،الدار العربية للطباعة،بغداد،ط1، ج1،ص26 .

حكم اقليم خراسان كلاً منهم له تأييده لمذهب معين، حيث ظهرت العديد من الفرق الدينية كالمعتزلة والإسماعيلية و القرامطة و الجارودية و الصوفية و غيرها الكثير، فاصبح يعرف أن اقليم خراسان أكثر الأقاليم المكتظة بالفرق الدينية بعد بغداد[16]، و قد خدمت تلك الفرق الدينية باختلافاتها و انقساماتها النهضة العلمية في بلخ، حيث كان للجدل و النقاشات و المناظرات و المجالس العلمية بين الفرق الدينية من جهة و العلماء من جهة أخرى أكبر الأثر في التطور الفكري و الثقافي في خراسان عامة و بلخ بصفة خاصة[17].

بلخ في عهد الدويلات المستقلة:

1 – الدولة الطاهرية :205 – 259هـ / 820 – 872 م.

تعتبر الدولة الطاهرية أولى الدويلات شبه المستقلة عن الخلافة العباسية في اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، و قد أسسها طاهر بن الحسين مكافأة له على خدماته للخليفة العباسي المأمون 198– 218 هـ/ 813– 832 م[18]، و توارث أبناء طاهر بن الحسين و أحفاده حكم هذه الدويلة حتى سقطت عام 259 هـ/ 872م، وكانت بلخ احدى اقاليم الدولة الطاهرية، و اسهمت بلخ كغيرها من اقاليم خراسان في النهضة العلمية والاقتصادية التي شهدتها الدولة الطاهرية، ففي عهد عبدالله بن طاهر بن الحسين اهتم بالعلم والعلماء، و كان هو نفسه شاعراً موهوباً يقرض الشعر و يكرم الشعراء، كما اهتم بنشر العلم بين طبقات المجتمع دون تفرقة [19].

أدى الفساد الإداري في الولايات التابعة للدولة الطاهرية إلى جانب انقسام البيت الطاهري على نفسه وتقلص ممتلكاته في المشرق وطموح القيادات الطاهرية في محاولة الانفراد بالحكم إلى سقوط الدولة الطاهرية[20].

الدولة الصفارية :259 – 279هـ / 872 – 909م.

دخلت خراسان ضمن الأملاك الصفارية بعد صراع مع الطاهريين و الخلافة العباسية بعد تمكن يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية من فرض سيطرته على سجستان و حصوله على اعتراف الخلافة بحكمه عليها، ثم توجه إلى بلخ سنة 258ه/871م و استولى عليها في أول هجوم و اضطر عاملها الطاهري و يدعى داود بن إسماعيل إلى الفرار منها، و قد اشتهر يعقوب بن الليث باليقظة و حسن التدبير، كما كان يحسن اختيار رجاله، فاستطاع بذلك أن يهيئ الأمن والاستقرار في دولته[21].

5- حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص3-7.
6- المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص264 .
1- الكرديزي،أبوسعيد عبدالحي بن الضحاك،(1982م)، زين الاخبار،(ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان)،دار الطباعة المحمدية،الأزهر،ط1، ص215 .
2- ابن الأثير،عزالدين أبوالحسن بن محمد،(1966م)، الكامل في التاريخ،دار صادر،بيروت، ج6،ص91، 92.
3- الأصفهاني،حمزة بن الحسن،(1961م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار الحياة،بيروت،ط3، ص175 .
4- الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير،(1967م)، تاريخ الأمم والملوك،(تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم)،دار المعارف،القاهرة،ط2، ج9،ص476 .
- المسعودي،ابوالحسن علي بن الحسين بن علي،(2005م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،(تحقيق كمال حسن مرعي)،المكتبة العصرية،بيروت،ط1، ج4،ص202.
-ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج6،ص313.

ومع التوسع في الممتلكات للدولة الصفارية في خراسان على حساب الخلافة العباسية أقلق هذا الأمر الخليفة العباسي المعتمد، فحارب الخليفة يعقوب بكل الوسائل الممكنة[22]، و في عام 265ه/878م توفي يعقوب و خلفه أخوه عمرو بن الليث وذلك بإقرار من الخليفة العباسي، و تمكن من الاستيلاء على العديد من بلاد الأعاجم، و قد عظم أمره في بلخ يشهد على ذلك قوله للخليفة "لو شئت أن اعقد على نهر بلخ جسراً من ذهب لفعلت"[23]، وفي عهد الخليفة المعتضد العباسي ضاق الخليفة ذرعاً من طمع عمرو بن الليث خاصةً بعد أن عرف أن أهل بلخ ضجروا منه و من اصحابه، فكثيراً ما اخذوا منازلهم و أموالهم، فزجه الخليفة في حرب مع السامانيين الحاكمين في بلاد ما وراء النهر، و أراد بذلك أن يضرب الخصمين بعضهما ببعض، و قد انهزم جيش عمرو الصفاري و أسر و قد سر الخليفة بذلك و حمل إلى بغداد و سجن فيها حتى مات[24]، و هكذا نجد أن الدولة الصفارية استمرت سبعاً وثلاثين عاماً ثم سقطت و تحولت بلخ كغيرها من مدن خراسان إلى تبعية الدولة السامانية.

الدولة السامانية :290– 384هـ/ 910– 994م.

ينتسب السامانيون إلى سامان خداه الذي كان في بلخ أيام الفتح الإسلامي لبلاد خراسان و قد دخل الإسلام في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك على يد أسد بن عبدالله القسري أمير خراسان[25]، و نتيجة لعلاقاته الطيبة مع أسد القسري وصل هو و آله إلى إرضاء الخلفاء العباسيين، وقد برز منهم إسماعيل بن أحمد الذي يعتبر مؤسس الدولة السامانية و هو الذي تمكن من القضاء على الدولة الصفارية[26].

أتسعت الدولة السامانية في عهد إسماعيل و شملت بلاد خراسان و ما وراء النهر وتعددت إلى سجستان و جرجان و كرمان[27]، و قد توالى آل سامان على الحكم أقوياء مسيطرين حتى عام 365ه/975م عندما تولى أبو القاسم نوح بن منصور 365– 387هـ/975– 988م بدأت الاضطرابات و الفتن بين القادة و الأفراد في بلخ و كل خراسان، و وصل الأمر إن اسندت كل مدينة لقائد[28]، على رأسهم محمود بن سبكتكين والياً على خراسان كلها، و بوفاة الأمير نوح انفرد محمود بن سبكتكين بحكم خراسان و قضى على الحكم السامانى و اتخذ من بلخ مقراً لحكمه[29].

1- الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج9،ص4512 .
- حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص71 .
2- أبن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا،الفخري في الآداب السلطانية،دار صادر،بيروت،ص95 .
3- الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج10،ص76، 77.
- أبن الجوزي،ابو الفرج عبدالرحمن بن علي،المنتظم،(تحقيق محمد عبدالقادر عطا)،دار الكتب العلمية،بيروت،ج12،ص401 .
4- النرشخي،تاريخ بخارى،ص113 .
- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج7،ص479 .
1- فابري،أرمينوس،(1972م)، تاريخ بخارى منذ أقدم العصورحتى العصر الحاضر،(ترجمة أحمد محمود الساداتي)،مراجعة و تقديم يحيى الخشاب،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، ص93 .
2-حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص169 .
3- المستوفي،تاريخ كزيدة ذيل على تاريخ بخارى للنرشخي،ص152 .
- أبن كثير،أبوالفداء اسماعيل بن عمر،(1988م)، البداية والنهاية،(تحقيق علي شيري)،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1، ج15،ص370.
4- الكرديزي،زين الأخبار،ص28 .
- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج7،ص466 .

الدولة الغزنوية : 384- 444هـ/944– 1052م.

حافظت الدولة الغزنوية على اقليم خراسان بعد أن منحتهم الخلافة العباسية حكم هذه المنطقة التي وقعت تحت إيديهم نتيجة انهيار الدولة السامانية في خراسان، و أيدت وباركت لهم فتوحاتهم في الهند، و تمثلت قوة تلك الدولة في السلطان محمود الغزنوي الذي كان من أقوى الشخصيات الإسلامية التي عرفت في القرنين الرابع و الخامس الهجريين حيث كثرت الفتوحات في عهده و اتسعت[30]،و بعد وفاته نودي بابنه مسعود سلطاناً للبلادعام 421هـ/1031م،و واصل سيرة والده و كان ملكه عظيماً فسيحاً شمل خراسان و اصبهان و همذان و طبرستان[31].

و في عام 428هـ/1036م ، ذهب الأمير مسعود إلى بلخ حتى يتم ضبط امور خراسان، و كان التركمان موجودين في بلخ ، فقام بطردهم منها، و دانت له[32]، و في عام 430هـ/138م دخل الأمير مسعود في معارك مع السلاجقة الذين بدأ نفوذهم يقوى في المنطقة وهزم الأمير في معركة دندانقان عام 431هـ/1039م و هرب إلى غزنة، و بذلك استولى السلاجقة على بلخ، و ما ان جاء عام 444هـ حتى كانوا السلاجقة قد قوضوا حكم الغزنويين في خراسان عامةً و انهت قوتهم و بذلك اعترف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بقيام دولة السلاجقة في اقليم خراسان و اصبحوا تابعين للخلافة العباسية بدلاً من الغزنويي[33].

دولة الأتراك السلاجقة:

السلاجقة احدى قبائل الغز الأتراك اقاموا في شرق الدولة العباسية ثم اعتنقوا الإسلام على المذهب السني الحنفي، و نظراً لعوامل داخلية تركوا موطنهم الأصلي و استقروا في بلاد ما وراء النهر، و لما ضاقت بهم مراعيهم تطلعوا إلى الغرب حيث كان الغزنويين يبسطون سلطانهم على تلك المنطقة، و سمح لهم السلطان محمود الغزنوي بعبور نهر جيحون و الاستقرار في اقليم خراسان، و استطاعوا أن يقيمون دولة لهم و حارب السلاجقة و من تصدى لهم و بعد أن ورثوا أملاك الغزنويين و اعترف بهم الخليفة العباسي[34] كان لابد لهم من السيطرة على مدينة بلخ لما لها من

5- الكرديزي،زين الأخبار،ص285، 286.
- أبن تغري بردي،جمال الدين أبوالمحاسن يوسف الأتابكي،(1992م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، ج4،ص202 .
1- أبن العبري،أبوالفرج غريغوريوس بن هارون،(1994م)، تاريخ مختصر الدول،(تصحيح انطوان صالحاني)،دار الرائد اللبناني،لبنان،ط2، ص319، 320.
2- الكرديزي،زين الأخبار،ص328 .
-أبن خلدون،عبدالرحمن بن محمد،(1979م)، تاريخ أبن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمال للطباعة،بيروت، ج4،ص328 .
3- البيهقي،أبو الفضل محمد بن الحسين،(1982م)، تاريخ البيهقي،(ترجمة الى العربية يحيى الخشاب صادق نشأت)،دار النهضة العربية،بيروت، ص699 .
-الكرديزي،زين الأخبار،ص332، 333، 334.
- أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود،(1979م)، المختصر في أخبار البشر،(تحقيق محمود ديوب)،دار الكتب العلمية،بيروت،ج1،ص518 .
- الحسيني،أبوالحسن صدر الدين علي بن ناصر،(1984م)، أخبار الدولة السلجوقية،(أعتنى بتصحيحه محمد اقبال)،دار الآفاق،بيروت، ص37-45 .
1- محمود عبدالعظيم أبو النصر،(2001م)، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،ط1، ص7، 8.

أهمية، و قد كونوا جيشاً بقيادة الملك جغري بك داود بن مكائيل و هاجم بلخ و هزم جيش الغزنويين و انهى وجودهم[35].

ظل السلاجقة في السيطرة على بلاد خراسان حتى عهد السلطان سنجر 552هـ/1157م، الذي بدأ في عهده بوادر انهيار الدولة السلجوقية، حيث اثقل كاهل أهل بلخ و غيرها من المدن بما فرضه عليهم من الخراج[36]، و حدثت المعارك بين بين السلطان سنجر و الاتراك انتهت بهزيمته و احتفظ بمدينة بلخ و لكن قتل من اصحابه الكثير و ضعفت قوته[37]، و ما لبث ان مات و بعده بسطت الدولة الخوارزمية سيطرتها على جميع ممتلكات الدولة السلجوقية بخراسان و انتهى حكم السلاجقة نهائياً في خراسان[38].

الدولة الخوارزمية:

كان الأمراء السلاجقة كغيرهم من أمراء الدول الأخرى يشترون العبيد، و كان أنوشتكين من ضمن أولئك العبيد الأتراك، و أخذ يترقى في الوظائف لنباهته و قوة شخصيته حتى أصبح والياً على خوارزم، و خلفه بعد وفاته ابنه قطب الدين الذي اعتبر مؤسس الدولة الخوارزمية، و قد عرف بخوارزم شاه[39].

بعد وفاة قطب الدين اسندت ولاية خراسان إلى علاء الدين أتسز، و في سنة 613ه/1216م، عظم ملك علاء الدين باستيلائه على بلخ، و في سنة 614هـ/1217م ساءت العلاقة بين الدولة الخوارزمية و الخلافة العباسية على خلفية تحريض الخلافة لصاحب غزنة بمهاجمة الدولة الخوارزمية، و وصل الأمر إلى أن علاء الدين فكر في مهاجمة بغداد نفسها غير أن سوء الأحوال عنده حالت دون ذلك[40].

توفي علاء الدين وخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي 617هـ/1220م، و في نفس العام دخل المغول بلخ بقيادة جنكيز خان و خربوها و تركوها خاوية على عروشها، ثم بدأوا في باقي املاك الدولة الخوارزمية[41]، و بهذا فقدت الدولة الخوارزمية معظم ممتلكاتها و تفرق جيشها و نهبت خزائنها.

الحياة العلمية في بلخ في عهد الدويلات المستقلة

2- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص616-622 .
- الحسيني،أخبار الدولة السلجوقية،ص37-49 .
3 البنداري،عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني،(1999م)، تاريخ آل سلجوق،(أختصره أبوالفتح بن علي بن محمد البنداري)،مطبعة شركة الكتب العربية،مصر، ص234-251.
-أبن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد،(1969م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(تحقيق احسان عباس)،دار صادر،بيروت،ج2، ص427، 428.
4- أبن الوردي،زين الدين عمر بن مظفر،(1969م)، تتمة المختصر في أخبار البشر،دار الكتب العلمية،بيروت، ج2،ص52-55 .
- أبن الجوزي،المنتظم،ج18،ص90 .
5- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج9،ص10، 11.

1- أبن تغري بردي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج6،ص188 .
- حسن ابراهيم حسن،(1967م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهظة المصرية،القاهرة،ط1 ،ج4،ص100،101 .
2- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج10،ص400 .
أبن بطوطة،أبوعبدالله محمدبن أبراهيم اللواتي،(2004م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،(رحلة أبن بطوطة)،دار النفائس،بيروت، ج1،ص228 .
3- ناجي معروف،(1976م)، عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية،مطبعة وزارة الاعلام،العراق،ط1 ، ج2،ص30 .

عندما تم فتح خراسان بما فيها بلخ و أخذ يتوالى عليها الحكام و الولاة من جهة الخلفاء المسلمين اهتم السلاطين ببلخ لأنها مدينة كبيرة تتمتع بوفرة في كافة مواردها و بالتالي كان الاهتمام بالعلم هو الصفة المميزة لهذا الإقليم، فقد علم السلاطين و الوزراء أن العلم هو عماد الدولة، و أن العلماء هم مشاعل الحضارة فعملوا على تشجيع العلوم، وبنوا المساجد و المدارس لطلاب العلم، و أكرموا العلماء و احسنوا وفادتهم و اجزلوا لهم العطاء، و اصبحت بلخ تنافس بغداد نفسها من الناحية العلمية.

في العهد الطاهري كان الأمراء والوزراء الطاهريين أنفسهم مهتمون بالعلم و العلماء و عرف عنهم أنهم يجزلون العطاء لأهل العلم الأمر الذي شجع على الحركة العلمية، و شهدت بلخ نهضة علمية في شتى المجالات، و اصبحت قبلة للطلاب من جميع الجهات و ذلك طلباً للمعرفة و العلم[42].

و في فترة الحكم الصفاري على الرغم من أن فترة حكمهم عملوا طوالها على تثبيت حكمهم إلا أن تلك الفترة شهدت طفرةً كبيرةً في الشعر، فقد ظهر الكثير من الشعراء و قد كانوا ينظمون الشعر باللغة الفارسية[43].

و في عهد الدولة السامانية وصلت الحركة العلمية إلى أعلى المراتب، و حصل العلماء و الأدباء على أقصى درجات الاهتمام و التشجيع و اصبح لديهم مناخ جيد للإبداع و العطاء[44]، و قد برزت بلخ في هذا الجانب حتى أنها كانت تبعث بالعلماء إلى المدن الأخرى، و بصورة عامة عرف الأمراء السامانيين بحبهم للعلم فأنشأوا المساجد و المدارس و دور الكتب و أنشأوا الأربطة و حبس الأوقاف عليها حتى أن بعضها كان يتسع لأكثر من الف رجل[45]، هذا العصر شهد حركة نقل لكل ما كان غير مختوم من كتب السلطان وتعرف بالمنشورات و الاحكام من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية[46].

و أيضاً في العصر الغزنوي شهدت بلخ نهضة ثقافية كبيرة و ذلك بفضل دعم و تشجيع الحكام الذين ساروا على نهج اسلافهم الذين لم يدخروا جهداً في سبيل رفع شأن العلم في دولتهم[47] برز منهم السلطان أبو القاسم محمود بن سبكتكين كان مكرماً

1- حيدر محمد علي،الدويلات الاسلامية في المشرق،ص73 .
2- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص264.
3- الثعالبي،(1990م)، آداب الملوك،(تحقيق جليل العطية)،دار الغرب الاسلامي،بيروت، ص76 .
- أحمد أمين،ظهر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط1،ج1،ص259
4- النرشخي،تاريخ بخارى،ص147 .
- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص805 .
5- بدر عبدالرحمن محمد،(2001م)، دور غزنة الثقافي في عهد السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود،كلية الآداب،جامعة بنها،العدد9،اتحاد المؤرخين،القاهرة، ص59.

1- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص213.
- أبن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج5،ص34.
2- البغدادي،اسماعيل باشا محمد الباباني،(1955م)، هدية العارفين،المطبعة البهية،استانبول، ج2،ص31 .
- الزركلي،خير الدين،(2002م)، الاعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين،دار العلم للملايين،بيروت،ط15، ج7،ص771 .
- العيني،بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(تحقيق أحمد نمر)،مركز النشر العلمي،جامعة الملك عبدالعزيز، ص429 .
3- عبدالنعيم حسنين،(1975م)، دولة السلاجقة،مكتبة الأنجلو،القاهرة،د.ط، ص87 .
-حلمي أحمد كمال،(1975م)، السلاجقة في التاريخ والحضارة،دار البحوث العلمية،الكويت،ط1 ، ص373.
4- أبن الجوزي ، المنتظم ، ج16،ص 309.
5- أبن خلكان،وفيات الاعيان،ج2،ص128، 129 .

لأهل العلم محباً لهم و كان هو نفسه من الفقهاء[48]، و في عهده صنفت العديد من المؤلفات و ألفت الكثير من الكتب و الأشعار[49].

لم يكن دور السلاجقة أقل أهمية من الدول الأخرى التي قامت في خراسان، فقد اهتم السلاطين أنفسهم ببناء المدارس و تشجيع العلماء مادياً و معنوياً، و كانت مجالس السلاطين يغلب فيها رواد العلم والأدب[50]، و مما يذكر في هذا المقام أن السلاطين السلاجقة كانوا ينفقون في بلخ و غيرها على أرباب المدارس و المساجد و الاربطة ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار سنوياً[51]، و تعد المدرسة النظامية التي أسسوها في بلخ من أولى المدارس العلمية في الإسلام و التي عرفت بنظامية بلخ ، و كان مع المدرسة مسجداً جامعاً و مكتبة ضخمة مزودة بكتب كثيرة[52].

النتاج العلمي في بلخ:

لقد كان للعلماء الذين تلقوا العلوم في بلخ سواء القارين أو الوافدين إليها أكبر الأثر في إذكاء الحركة العلمية والمعرفة، و ذكر عن الكثير أنهم جابوا البلدان و تخطوا حدود مواطنهم بما حملوه من التحصيل العلمي وفي شتى المجالات وكافة العلوم، منهم أبوالحسن علي بن أبي الطيب النيسابوري المتوفي 458ه/1065م كان حجة في التفسير والوعظ ورواية الحديث وهو أحد الطلاب الوافدين على بلخ[53].

ومن العلماء الذين أصبح لهم شأناً ومنزلةً علمية كبيرة في مدينة بلخ أبو عمرو عثمان بن منصور بن عبدالكريم الطرازي المتوفي 524ه/1129م، وفد إلى بلخ وتلقى فيها العلوم ولم يخرج منها حتى وفاته أشتهر له مجلساً للمناظرة والوعظ والإرشاد ، عرف هذا المجلس بأنه كان دائم الإكتظاظ من كثرة المريدين[54].

وبرز العالم الكبير أبوسعيد آدم بن أحمد الهروي الأسدي المتوفي 536ه/1141م، وفد إلى بلخ وعاش بها وتلقى فيها العلوم وساهم مساهمة علمية كبيرة في الأدب واللغة وقد رحل إلى خوارزم وانتفع الناس بعلمه واصبح له تلامذة كان لهم دوراً علمياً فيما بعد[55].

وكان العالم الفقيه أبومحمد فضل الله بن محمد الدندانقاني المتوفي 552ه/1157م، كان مناظراً رفيع المستوى في حديثه وقوته في الإقناع، وهو من طلاب العلم الوافدين إلى بلخ من أهل مرو وعقد له مجلس اصبح من أشهر مجالس الوعظ[56].

لم تقتصر مساهمة علماء بلخ في إثراء العلم والثقافة في بلخ وحدها بل تعدى ذلك بأن رحل بعضهم إلى بلدان أخرى لنشر ما تعلموه إلى تلك الجهات منهم على سبيل المثال لا الحصر أبوبكر بن الحسين الفريابي البلخي المتوفي 301ه/913م، كان

1- السبكي،أبونصر عبدالوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى،(تحقيق محمود محمد الطناحي)،دار احياء الكتب العربية،بيروت،د.ت،ج4، 312-314

- الذهبي،أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،(1990)، سير اعلام النبلاء،(تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم بوقوس)، مؤسسة الرسالة،بيروت، ج19،ص96 .

53 - الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج18،ص173، 174.

54- أبن أبي الوفاء،الجواهر المضيئة،ج2، ص523.

55 - السبكي،طبقات الشافعية،ج7،ص171 .

السمعاني،(1975م)،التحبير في المعجم الكبير،(تحقيق منيرناجي)،مطبعة الإرشاد،بغداد،ج2،ص72.-1

قاضياً محدثاً، رحل إلى مصر وعقد مجلساً وأشتهر هناك ثم رحل إلى بغداد وتولى فيها القضاء وعقد مجلساً للمحاضرات قيل أن عدد طلابه وصل إلى عشرة آلاف طالباً للعلم[57] .

ومن علماء بلخ المتميزين أبوالحسن علي بن الحسين الغزنوي البلخي المتوفي 551ه/1163م،عرف في المصادر بالبرهان ، كان واعظاً تتلمذ على رجال العلم في بلخ وخرج فصيحاً مفوهاً يجيد اللغة العربية والأعجمية أيضاً، وكان فقيهاً ومفسراً للقرآن الكريم ، عرف عنه صفات حسنة مثل المروءة والعطاء العلمي ، واصبح محبوباً لدى الناس العرب منهم و العجم ، وقد رحل إلى بغداد وانتفع الناس بعلمه وثقافته[58].

إضافة إلى الأفراد فقد ظهرت أسر كاملةً في بلخ اشتغلت بالعلم وتدريس العلماء ومساعدتهم حتى اصبحت تلك الأسر يقصدها طالبي العلم من مختلف الأماكن ولم يقتصر اهتمام تلك الأسر بفرع بعينه من العلوم بل نجدها في شتى مجالات العلم والمعرفة، من هذه الأسر أسرة أبي المعالي[59]كان من أبنائها العلماء عبدالملك الجويني، عرف في خراسان والعراق والحجاز بعلمه في الخطابة والترجمة إلى الفارسية والنقد وله عدة مصنفات منها كتاب بيان الأديان[60].

لقد كان لبلخ كما سبق ذكره دور كبير في نهضة الحركة العلمية في كل أرجاء خراسان ببلدانها وقراها، فقد كان دور العلماء واضحاً في التدريس وتأليف المصنفات في كافة الفنون والعلوم، وكانت دور العلم المختلفة تعج بتلامذة العلم في كافة الفنون والمعارف العلمية.

الخاتمة:

إن الدول التي استقلت عن مركز الخلافة الإسلامية في خراسان بما فيها مدينة بلخ كانت كلها دول دولاً سنية، و قد لعبت دوراً بارزاً في حماية العقيدة الإسلامية السليمة، و حرص حكامها على مختلف دولهم على مر التاريخ بمدينة بلخ و تفقد احوالها، و اهتموا اهتماماً بالغاً بالعلم و اهله من رجال دين و علماء و كتَاب حيث سخروا لهم جميع الإمكانيات اللازمة لتشجيعهم على الإبداع و التعلم و كانت النتيجة ان ظهر منهم علماء و أدباء و شعراء و انعكس ذلك بالطبع على اقليم خراسان بصورة عامة.

2- السبكي،طبقات الشافعية الكبرى،ج1،ص48
الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج14، ص96. -
3- ابن الجوزي،المنتظم،ج8،ص108.
- الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج20،ص324.
[59]- خورشيد، زكي ابراهيم وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ج1،ص609.
[60] -السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص191،خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص609.

ثبت المصادر و المراجع

المصادر:

1-أبن الأثير،عزالدين أبوالحسن علي بن محمد،(1966م)، الكامل في التاريخ،دار صادر،بيروت.

2-الاصطخري،ابواسحاق ابراهيم بن محمد،(1962م)، المسالك والممالك،(تحقيق محمد جابر عبد العال)،مطبعة القاهرة.

3-الأصفهاني،حمزة بن الحسن،(1961مم)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار الحياة،بيروت،ط3.

4-أبن بطوطة،أبوعبدالله محمدبن أبراهيم اللواتي،ت(2004م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،(رحلة أبن بطوطة)،دار النفائس،بيروت.

5-البغدادي،اسماعيل باشا محمد البابباني،(1955م)، هدية العارفين،المطبعة البهية،استانبول.

6-البنداري،عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني،(1999م)، تاريخ آل سلجوق،(أختصره أبوالفتح بن علي بن محمد البنداري)،مطبعة شركة الكتب العربية،مصر.

7-البيهقي،أبو الفضل محمد بن الحسين،(1982م)، تاريخ البيهقي،(ترجمة الى العربية يحيى الخشاب صادق نشأت)،دار النهضة العربية،بيروت.

8-أبن تغري بردي،جمال الدين أبوالمحاسن يوسف الأتابكي،(1992م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

9-الثعالبي،أبومنصور عبدالملك،(1984م)، لطائف المعارف،(تحقيق محمود عبدالله الجارد)،مكتبة دار العروبة،بغداد،ط1.

10-الثعالبي،(1990م)، آداب الملوك،(تحقيق جليل العطية)،دار الغرب الاسلامي،بيروت.

11-أبن الجوزي،ابو الفرج عبدالرحمن بن علي،المنتظم،(تحقيق محمد عبدالقادرعطا)،دار الكتب العلمية،بيروت.

12-الحسيني،أبوالحسن صدر الدين علي بن ناصر،(1984م)، أخبار الدولة السلجوقية،(أعتنى بتصحيحه محمد اقبال)،دار الآفاق،بيروت.

13-ابن حوقل،ابوالقاسم محمد،صورة الارض،دار الحياة،بيروت،د.ت.

14-أبن خلدون،عبدالرحمن بن محمد،(1979م)، تاريخ أبن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمال للطباعة،بيروت.

15-أبن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد،(1969م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(تحقيق احسان عباس)،دار صادر،بيروت.

16-الذهبي،أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،(1990م)، سير اعلام النبلاء،(تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم بوقوس)، مؤسسة الرسالة،بيروت.

17-السبكي،أبونصر عبدالوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى،(تحقيق محمود محمد الطناحي)،دار احياء الكتب العربية،بيروت،د.ت.

18-السمعاني،أبوسعد عبدالكريم،(1988م)، الأنساب،(تعليق عبدالله عمر البارودي)،دار الجنان،بيروت،ط1.

- التحبير في المعجم الكبير (تحقيق منير ناجي)، مطبعة الإرشاد، بغداد،1975م.

19-الشهرستاني،أبوالفتح محمد بن عبدالكريم،(1993م)، الملل والنحل،(تحقيق محمد سيد كيلاني)،دار المعرفة،بيروت،ط3.

20-الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير،(1967م)، تاريخ الأمم والملوك،(تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم)،دار المعارف،القاهرة،ط2.

21-أبن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا،الفخري في الآداب السلطانية،دار صادر،بيروت،د.ت.

22-أبن العبري،أبوالفرج غريغوريوس بن هارون،(1994م)، تاريخ مختصر الدول،(تصحيح انطوان صالحاني)،دار الرائد اللبناني،لبنان،ط2.

23-العيني،بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(تحقيق أحمد نمر)،مركز النشر العلمي،جامعة الملك عبدالعزيز،د.ت.

24-أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود،(1997م)، المختصر في أخبار البشر،(تحقيق محمود ديوب)،دار الكتب العلمية،بيروت.

25-أبن الفقيه،أبو عبدالله أحمد،(1996م)، البلدان،(تحقيق يوسف الهادي)،عالم الكتب،بيروت .

26-القلقشندي،ابوالعباس أحمد،(1992م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1.

27-الكرديزي،أبوسعيد عبدالحي بن الضحاك،(1982م)، زين الاخبار،(ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان)،دار الطباعة المحمدية،الأزهر،ط1.

28-أبن كثير،أبوالفداء اسماعيل بن عمر،(1988م)، البداية والنهاية،(تحقيق علي شيري)،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1.

29-المستوفي،تاريخ كزيدة ذيل على تاريخ بخارى للنرشخي.

30-المسعودي،ابوالحسن علي بن الحسين بن علي،(2005)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،(تحقيق كمال حسن مرعي)،المكتبة العصرية،بيروت،ط1.

31-المقدسي،أبو عبدالله محمد،(1909م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،طبع ليدن،مطبعة بريل.

32-النرشخي،أبوبكرمحمد بن جعفر،(1965)،تاريخ بخارى،(تحقيق و تعليق امين عبدالمجيد بدوي)،دار المعارف،ط3.

33-أبن الوردي،زين الدين عمر بن مظفر،(1996م)، تتمة المختصر في أخبار البشر،دار الكتب العلمية،بيروت.

34-ياقوت الحموي،أبوعبدالله،(1990م)، معجم البلدان،(تحقيق فريدعبدالعزيز الجندي)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

المراجع :

1-حسن ابراهيم حسن،(1967م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهظة المصرية،القاهرة،ط1.

2-حلمي أحمد كمال،(1975م)، السلاجقة في التاريخ والحضارة،دار البحوث العلمية،الكويت،ط1.

3-حيدر محمد علي،(1973م)، الدويلات الإسلامية في المشرق،عالم الكتب،القاهرة.

4-الزركلي،خير الدين،(2002م)، الاعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين،دار العلم للملايين،بيروت،ط15.

5-عبدالنعيم حسنين،(1975م)، دولة السلاجقة،مكتبة الأنجلو،القاهرة،د.ط.

6-فابري،أرمينوس،(1972م)، تاريخ بخارى منذ أقدم العصورحتى العصر الحاضر،(ترجمة أحمد محمود الساداتي)،مراجعة و تقديم يحيى الخشاب،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة.

7-كي لسترنج،(1954م)، بلدان الخلافة الشرقية،(ترجمة بشير فرنسيس،كوركيس عواد)،مطبعة الرابطة،بغداد.

8-محمود عبدالعظيم أبو النصر،(2001م)، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،ط1.

9-المدرس،محمد محروس،(1977م)، مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية،الدار العربية للطباعة،بغداد،ط1.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

صفي الدين السنوسي ودوره في الجهاد الليبي

1914 – 1923م

د. عاشور ونيس سليمان الحبيب.

(عضو هيأة التدريس بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طبرق – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

صفي الدين السنوسي ودوره في الجهاد الليبي

1914 – 1923م

ملخص:

نتعرض في هذا البحث إلى صفي الدين السنوسي أحد أفراد العائلة السنوسية وشقيق المجاهد الكبير أحمد الشريف السنوسي محاولين تسليط الضوء على دوره في الجهاد الليبي منذ عام 1914-1923م، وهي مرحلة تقلده للعديد من المراكز الجهادية والإدارية والسياسية، حيث أنه ومنذ عام 1914م، كان نائباً لأخيه أحمد الشريف على الجهات الغربية من برقة. وبتلك الفترة توجه إلى تخوم سرت في غرب البلاد لمعاضدة المجاهدين ومحاربة العدو الإيطالي. وهنالك قاد معركة القرضابية الشهيرة عام 1915م، برفقة رمضان السويحلي وأحمد سيف النصر وغيرهما من المجاهدين.

فقد خطط واستعد لهذه المعركة؛ التي كان لها تأثير واضح فيما بعد في تحرير معظم المدن في غرب البلاد أمام ارتفاع الروح المعنوية للمجاهدين وانسحاب القوات الإيطالية بشكل جماعي نحو الساحل الليبي وتخليها عن الدواخل حتى دون مقاومة منهم. وبعد هذه المعركة عاد صفي الدين إلى برقة بطلب من إدريس السنوسي الذي تقلد أمور برقة بعد رحيل أحمد الشريف. وهنالك اعتمد عليه إدريس السنوسي كثيراً وكان ثقته وينوب عليه في العديد من الأمور، حيث كلفه بقيادة وتنظيم الأدوار الشرقية من برقة منذ عام 1917م حتى عام 1920م، وبعد تأسيس الأدوار المختلطة في برقة عام 1921م، أصبح صفي الدين السنوسي ناظراً وبعبارة أخرى قائداً لتلك الأدوار.

كما سار صفي الدين رئيساً لمجلس نواب برقة خلال تلك المرحلة إلى أن قدم استقالته في أكتوبر من عام 1922م، احتجاجاً على تصرفات المتصرف الإيطالي في برقة. كما سعى صفي الدين في حل العديد من النزاعات بين قبائل برقة خلال عام 1917م، ووفق في هذا المسعى بحل العديد من تلك النزاعات.

وأخيراً كلفه إدريس السنوسي نائباً عنه لتنظيم الجهاد في غرب البلاد، ورغم سفره إلى تلك الجهات في مارس من عام 1923م، ومحاولته تنظيم الجهاد وجمع زعماء الجهاد والمجاهدين في معسكر موحد لتوحيد قواهم، إلا أن الوقت كان قد فات باحتلال الإيطاليين العديد من المدن في غرب البلاد وأمام عدم تفاهم زعماء الجهاد فيما بينهم في ذلك المعسكر وتركهم إياه وانتقالهم إلى مدنهم كل ذلك أدى إلى تفكيك المقاومة؛ مما دعا صفي الدين للعودة إلى برقة ليمكث في جالو ثم يستقر في الجغبوب حتى رحيله إلى مصر في ديسمبر من عام 1925م.

Abstract

This research, has explored one of the members of the Sonousi family, Safei Al-deen Al-sonousi, whom was a brother of the great warrior Ahmed Alshareef Al-sonousi, which attempted to shed light on his role in the Libyan jihad from 1914-1923. During that period he was placed in many administrative, political as well as jihadist positions. In 1914 he became a deputy on behalf of his brother Ahmed Alshareef in leading the western regions of cyrenaica. Within that period, he moved on towards the outskirts of the city of Sirte, located at western Libya, to support the Libyan jihadists in order to fight the Italian invaders. In 1915,he led the famous garthabeeya battle in which he had previously planned and prepared along with Ramadan Alswaihly ,Ahmed Saif Al-nasr along with other jihadists, , and with motivation of the jihadists, it was later proven that this battle had a clear affect in liberating most of the western Libyan cities ,which finally led to the withdrawal of the Italian forces towards the Libyan coast, abandoning their positions within the cities, without any resistance.

After that battle, and with a request from Idrees Alsonousi ,Safei Al-deen returned to Cyrenaica. who later held him responsible of Cyrenaica's affairs after the death of Ahmed Al-shareef. There, Idress Al-sonousi had great trust and relayed upon him as well as seeking his advice, Idrees later assigned Safei to lead and organise the eastern affairs of Cyrenaica from 1917 till 1920.

In 1921, and after the founding of different military troops in Cyrenaica ,Safei Al-deen Alsonousi became commander of those troops. During that time he also became the head of Cyrenaica parliament till he resigned in October 1922, in protest against the Italian governor in Cyrenaica. During 1917,he also sought to resolve many of the conflicts amongst the Cyrenaica tribes and which he succeeded in doing so with most.

Finally ,Idrees Al-Sonousi assigned him as his deputy to organize the jihad at western Libya, and despite him travelling to the west in march 1923 in an attempt to organize the jihad as well as gathering the leaders along with the jihadist to unify their forces in one camp, by that time, it was too late and the Italians had already occupied a number of cities across the west, and along with the lack of understanding that occurred amongst the leaders in that camp as well as abandoning him and returning to their cities, all that led to the breakdown of their solidarity movement, which called for Safei Al-deen to return to Cyrenaica, staying in Jalu ,then settling down in Jaghboob till he departed to Egypt in December 1925.

مقدمـــــه:

نتناول في هذا البحث شخصية مهمة من الشخصيات التي كان لها دور في الجهاد الليبي خلال مرحلة الاحتلال الإيطالي لليبيا ألا وهو: صفي الدين السنوسي وقد اخترت الكتابة عن هذا الرجل كونه لم يحظ باهتمام واضح في الكتابات التاريخية عن ليبيا بتلك المرحلة لعدة أسباب منها ظهوره في مرحلة برز فيها كل من أحمد الشريف السنوسي وإدريس السنوسي من العائلة السنوسية حيث تميز الأول بالجهاد وبرز الثاني في السياسة والحنكة الدبلوماسية لذى طغى أسمي هذين الرجلين على بقية العائلة السنوسية خلال مرحلة الاحتلال الإيطالي لليبيا، على الرغم من أن صفي الدين كان مسانداً للأول في الجهاد وكان نائباً له عن الجهات الغربية من برقة حتى وصل إلى جهات سرت والمناطق الغربية من البلاد وكان مسانداً لإدريس السنوسي خلال مرحلة قيادته وزعامته لبرقة بتلك الفترة. وبعبارة أخرى ظهر هذا الرجل محارباً وقت الحرب ورجل سياسة وقت السلم.

وقد قسمت هذا البحث إلى **مبحثين رئيسيين في الأول** منهما نتحدث عن دور صفي الدين السنوسي بصفته نائباً لأحمد الشريف ومن بعده نائباً لإدريس السنوسي على الجهات الغربية من برقة وصولاً إلى سرت والمناطق الغربية من البلاد.

وفي **المبحث الثاني** نتحدث عن المهام العسكرية والإدارية والسياسية التي تقلدها صفي الدين السنوسي في برقة خلال مرحلة زعامة إدريس السنوسي لبرقة مثل قيادته وتنظيمه للعديد من الأدوار أو المعسكرات، ورئاسته لمجلس نواب برقة، وأخيراً نختم مسيرة هذا الرجل بتكليفه نائباً لإدريس السنوسي على الجهات الغربية من البلاد خلال عام 1923م.

ونحاول في هذا البحث إبراز دور هذا الرجل في الجهاد الليبي وتحديداً في غرب البلاد مركزين على معركة القرضابية الشهيرة ودوره فيها.

على أن أهم أهداف هذا البحث هي محاولة لإبراز كفاح وجهاد آبائنا وأجدادنا من خلال معرفة وفهم المراحل والظروف التي عاشوها بتلك الفترة. ومن خلالها نحاول إعطاء هذا الرجل الذي نحن بصدد الكتابة عنه حقه في التاريخ الليبي بتلك المرحلة، وقد اعتمدت في كتابة بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي القائم على سرد الأحداث التاريخية ومحاولة تحليلها.

هو صفي الدين بن محمد الشريف بن علي السنوسي. ولد عام 1895م.[1] وصفي الدين هذا أخٌ لأربعة هم: أحمد الشريف المجاهد السنوسي الكبير، وعابد السنوسي، وهلال السنوسي، وعلي الخطاب. ويُعد صفي الدين أصغر أخوته رغم ذلك فقد كان بارزاً ونشطاً وله وضع مميز فيما بعد[2]، ومنذ سن مبكره أخذ يتقلد مهام عسكرية وجهادية وللتعرف على دوره في هذا الشأن قسمنا بحثنا على هذا النحو:

- **أولاً: نائباً لأحمد الشريف، ومن ثم إدريس السنوسي في الجهات الغربية من برقة 1914- 1917م.**

أ) نائباً لأحمد الشريف 1914- 1915م:

حيث كلفه أخوه أحمد الشريف الذي كان يقود حركة الجهاد في برقة نائباً عنه في مناطق حدود أجدابيا الغربية تحديداً دوري (النوفليه والقطافية) بجهات سرت عام 1914م، وذلك عندما أراد أحمد الشريف تقسيم المناطق في برقة على أفراد العائلة السنوسية حتى يتفرغ

1) مجيد خدوري: ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، (ت) نقولا زيادة، (م) ناصر الدين الأسد، دار الثقافة العربية، بيروت، 1966 م، ص 392.
2) نفس المرجع، ص392.

لحربه ضد الإنجليز في مصر بتحالفه مع الأتراك والألمان آنذاك في الحرب العالمية الأولى[3]، فجعل إدريس السنوسي على برقة البيضاء ومركزه أجدابيا على أن يكون تحت إشرافه، وفي دفنا شرق طبرق وما حولها محمد هلال السنوسي، وفي الجبل الأخضر، محمد الرضا السنوسي، وعلى الجهات الغربية من برقة صفي الدين السنوسي[4].

وخلال تلك الفترة قام صفي الدين من مقره في أجدابيا وقبل أن ينتقل إلى جهات سرت باتصالات مهمة مع العديد من زعماء المنطقة الغربية في طرابلس من أجل حثهم على الجهاد والتنسيق في ذلك وتوحيد الجهود من أجل محاربة العدو الإيطالي وعزمه بالتوجه غرباً إلى تلك الجهات، للاضطلاع بالمهمة التي كلف بها[5]. وأرسل صفي الدين الشيخ محمد سوف المحمودي مبعوثاً خاصاً محملاً برسائل إلى العديد من زعماء المنطقة الغربية في ليبيا ومن المعروف أن الشيخ المحمودي شخصية معروفة في تلك المنطقة من ليبيا ويستطيع التأثير وجمع العديد من المجاهدين[6]. وقد كان الشيخ محمد سوف المحمودي قادماً من تركيا وبطريق عودته التقى أحمد الشريف على الحدود الليبية المصرية ثم اتصل والمجموعة المرافقة له بصفي الدين السنوسي في أجدابيا فكلفه بهذه المهمة[7]. وهذه الرسائل وجهها صفي الدين السنوسي في بداية يناير 1915م، لكل من:

- عبد النبي بالخير، وصالح أبو خنجر، ومحمد الجدي، وأبو شناف وكافة ورفله.
- سالم أفندي بن الحاج عيسى البرشوشي، علي بي، وعلي بن مادي.
- الساعدي بن سلطان.
- محمد قدمور، محمد مانه أفندي، سالم بن عثمان، وكافة أهالي تاغمة.
- محمد الصغير بن المريض الترهوني.
- محمد بوسيف الترهوني.
- عبد الصمد النعاس الترهوني[8].

وهي حوالي سبع رسائل كلاً على حده يذكر فيها صفي الدين الانتصارات التي حققها المجاهدون في أجدابيا والجبل الأخضر، وتطهير هذه المناطق بالإضافة إلى فزان وتحريرها من سيطرة العدو وأنه الآن محاصر في مدينة سوكنه. ويضيف صفي الدين أن قوات المجاهدين على وشك إجبار العدو التخلي عن سوكنه بعد أن أجبرته على ترك المناطق المجاورة والاستيلاء على الأسلحة والذخائر (وعما قريب يحصل السرور بإجماع كلمة الإسلام وقهر الكفرة اللئام) وفي نهاية هذه الرسائل يوصي بطاعة الشيخ سوف[9].

وقبل الحديث عن سفر صفي الدين السنوسي إلى جهات سرت نتعرف على الأوضاع بتلك الجهات: مع منتصف عام 1914م، كانت القوات الإيطالية مسيطرة على المنطقة الممتدة من زواره إلى سرت، وبذلك أصبحت جميع مدن الغرب الليبي في قبضة السلطات الإيطالية، لكن

---

3) محمد علي الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، ط (1)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر المنصورة، 2012، ص314.
4) نفس المرجع، ص314.
5) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون، القرضابيه (كتاب وثائقي مصور بمناسبة إحياء الذكرى الخامسة والسبعون لمعركة القرضابية أو ما تعرف أحياناً بمعركة قصر بوهادي)، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس 1995م، ص46.
6) نفس المرجع، ص46.
7) محمد الصلابي: المرجع السابق، ص265.
8) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون: المرجع السابق، ص55.
9) نفس المرجع، ص ص56 ، 55.

القوة الحية التي رفضت التعايش مع الوجود الإيطالي بدأت تشكل جيوشاً للمقاومة في تلك المناطق.

أما منطقة (القبلة) وهي مناطق الدواخل في الغرب الليبي مثل القريات والشويرف ومزده وسوكنه وغيرها. فإن العديد من القبائل قد انتقلت إلى سرت وزله بعد استيلاء القوات الإيطالية على القبلة منذ سنة 1913م، واستقر هؤلاء في النوفلية وزله مشكلين مع المجاهدين أماكن تمركز ضد الإيطاليين[10].

إضافة إلى ذلك أصبحت منطقة سرت وما حولها هدفاً لانتقال العديد من الجماعات من فزان بعد حملة مياني الشهيرة إلى فزان وهي الحملة الإيطالية التي قادها الكولونيل الإيطالي مياني، واحتلت فزان لفترة قصيرة، قبل تحريرها[11].

وهكذا تجمع في تلك الجهات مقاتلون من قبائل أولاد بوسيف والمشاشيه والزنتان وأولاد سليمان وغيرها من القبائل من مناطق القبلة وفزان[12].

وعن هذه التنقلات يورد لنا علي البوصيري في كتابه المقاومة الليبية في الجزء الغربي من ليبيا أن انتقال هذه الجماعات إلى جهات سرت لسببين الأول احتلال مناطقهم من قبل العدو الإيطالي والثاني السعي لدعم المقاومة بتلك الجهات ضد الغزو الإيطالي، ومن خلال ما روى أحد هؤلاء المجاهدين المنتقلين إلى سرت كان سبب انتقال جماعته هو الالتحاق بالمقاومة مع أحمد الشريف وأن السكان ذكروا لهم أن صفي الدين السنوسي قادم لقيادة الجهاد بهذه المنطقة، وأن المجاهد صالح الأطيوش ينتظر قدومه بمنطقة الخشة شرق سرت. وهي منطقة قبيلة المغاربة التي يتكون منها دور النوفلية، وقد استقرت هذه المجموعة التي تحدث عنها هذا الرجل في منطقة الخشة[13].

ومن الأمور الأخرى التي يجب ذكرها هي هجوم القوات الإيطالية انطلاقاً من سرت واحتلالها زاوية النوفلية في 3 مارس 1914م، بعد معركة مع المجاهدين الليبيين من أبناء قبيلة المغاربة القاطنة بتلك الجهات وهذا ما ألب عليهم أبناء تلك القبيلة[14].

هذا فيما يخص أحوال منطقة سرت عند قدوم صفي الدين السنوسي لهذه الجهات مع بداية عام 1915م، فكان لوصوله فرحة عظيمة لدى القبائل المنضوية تحت لواء الحركة السنوسية وهي ترى زعماؤها يقودون الجيوش بأنفسهم، ويتولون الأعمال، ويخوضون الحروب بميادين القتال، واستقبلت القبائل في المنطقة الغربية صفي الدين السنوسي لتشد من أزره، وتقوي عزمه. وهناك باشر صفي الدين الإشراف على أمور المعسكر والمجاهدين ورتب الأعمال في دور النوفلية، ثم انتقل إلى معسكر أحمد سيف النصر رفقة جماعته التي قدمت من برقة معه مثل صالح البسكري، ومصطفى مينه، ورويفع بن إدريس، وعبدالعزيز صهد، ونائبه بطبيعة الحال أحمد التواتي وغيرهم[15].

---

10) نفس المرجع، ص32.
11) علي البوصيري: المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي في الجزء الغربي من ليبيا أكتوبر 1913- أغسطس 1914 م، ط (1) مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1998م، ص147.
12) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون: المرجع السابق، ص65.
13) علي البوصيري: المرجع السابق، 147.
14) نفس المرجع، ص149.
15) محمد الطيب الاشهب: برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري شارع محمد علي، مصر (د. ت)، ص 297.

ب) معركة القرضابية 29 إبريل 1915م.

بعد وصول صفي الدين السنوسي علمت السلطات الإيطالية بوصول نائب أحمد الشريف إلى جهات سرت من إقليم طرابلس، فاستعدت بحمله كبيرة لضرب حشود المجاهدين الذين تجمعوا في دور النوفلية شرق سرت فقد تجمع في هذا المعسكر مقاتلون من كل أنحاء ليبيا بقيادة صفي الدين السنوسي[16]، وهي المجموعات النظامية الخاصة (بالدور) أي المعسكر الخاص بقبيلة المغاربة القاطنة بتلك الجهة مع المجموعة الخاصة التي قدمت مع صفي الدين من الشرق، مع من قدم مع عبدالجليل سيف النصر من سرت مع قوات أحمد سيف النصر القادمة من الجنوب الليبي (فزان) بالإضافة إلى من انضم إلى أحمد سيف النصر من منطقة (الجفرة) جنوب سرت.

اتحدوا هؤلاء جميعاً مع قوات صفي الدين وتحت إمرته وتحت لواء السنوسية الراية التي قاتل تحتها هؤلاء المجاهدون. وكان هدف الحملة الإيطالية التي انطلقت من مدينة مصراته الساحلية تدمير معسكر النوفلية وربط برقة بطرابلس تحت الاحتلال الإيطالي[17].

وهكذا كان سبب الحملة الإيطالية تدمير قوات صفي الدين ومن اتحدوا معه من قوات أحمد سيف النصر وغيرهم إذ كانوا يمثلون التحدي للسلطات الإيطالية. ويذكر أيفانز بريتشارد في كتابه السنوسيون في برقة، كانت قبيلتا أولاد سليمان والمغاربة السنوسيتان في جهات سرت لم تهزما بعد من القوات الإيطالية وكان بأيديهما السلاح فانضمت إليهما عناصر من القوات البدوية من دواخل إقليم طرابلس طبعها العناد ورفض السيطرة الإيطالية من ضمنها عدد كبير من قبيلة أولاد بوسيف. وغيرهم من القبائل بذات الطبع[18].

ويضيف أيفانز تسلم قيادة هذه المنطقة العبقري صفي الدين باسم السنوسية وقد وفرت منطقة سرت فرصاً ممتازة لإبقاء تلك المقاومة مستمرة فهي جرداء غير مضيافة، لا موانئ فيها لكنها تسمح بإنزال التموين وغيرها من الإمدادات من الغواصات التركية الألمانية، وتسكنها قبائل معتادة على استقلال مضطرب كما أنها على ولاء مطلق للطريقة السنوسية[19]، يعني ذلك أن تلك البقعة لم تكن هدفاً في تحركات القوات الإيطالية التي سيطرت على المدن الساحلية في الغرب الليبي منذ بداية الغزو الإيطالي لليبيا باستثناء مدينة سرت نفسها المطلة على البحر مما أعطى فرصة لتكوين معسكرات للمقاومة بها بعد ما استسلمت جميع المدن الساحلية في الغرب الليبي.

وبعبارة أخرى مثل معسكر النوفلية في الشرق الجنوبي من سرت مكاناً لمن يريد الاستمرار بالجهاد خلال بداية عام 1915م. وهذا ما يؤكده مياني قائد الحملة الإيطالية في معركة القرضابية من خلال رسالة بعث بها إلى الوالي الإيطالي بطرابلس (تاسوني) بتاريخ 17 أبريل 1915م قبيل تلك المعركة بعدة أيام يذكر فيها: أن حركة تمرد ذات صبغة سنوسية محضة وتتسم بطابع هجومي، يجري تنظيمها بمنطقة سرت حيث يبدو الشك في جماعات قادمة من فزان اتجهت إلى منطقة سرت. وأن سنوسي برقة (يقصد أحمد الشريف) أمر بهجوم حاسم

16) نفس المرجع، ص297.
17) نيكولاي بروشين إيليتش: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، (ت.ق) عماد حاتم، ط (2)، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، 2001م، ص ص 330، 331.
18) إيفانز بريتشارد: السنوسيون في برقة، (ت) عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1948م، ص ص 206، 207.
19) نفس المرجع، ص ص 206،207.

ضد سرت وأن السنوسي في سرت (يقصد صفي الدين) وجماعته سيحثون الرجال في سرت للهجوم، وهم يتفاوضون مع أحمد سيف النصر لمساعدتهم[20].

وعلى حسب رأي سعيد القشاط في كتابه القرضابية، أن قصر بوهادي شرق سرت هو المقر الرئيسي لحكومة السنوسية المحلية وهؤلاء لهم القدرة على التأثير على الفرق الليبية بالحملة الإيطالية[21].

وعندما اقتصرت المقاومة في الغرب على جهات سرت وبعض الجيوب في دواخل طرابلس تحركت الحملة الإيطالية لضرب وتدمير معسكر النوفلية رمز المقاومة الليبية آنذاك في تلك الجهات، ولتحقيق هذا الهدف جهزت السلطات الإيطالية حملة انطلقت من مدينة مصراته بقيادة الكولونيل مياني، وتكونت تلك الحملة من 6394 مقاتل مقسمين إلى 3073 من الجنود النظاميين منهم 900 جندي و84 ضابطاً من الإيطاليين أي قرابة الألف من الجنسية الإيطالية، وحوالي 2089 من الأريتيريين والجنود النظاميين من الليبيين ممن كانوا في الكتيبة الليبية الثالثة والرابعة بشكل رسمي. أما الباقي وعددهم 3321 مقاتلاً من القوات الليبية هم مقاتلو القبائل والمدن والمناطق الليبية التي اتفق المؤرخون الليبيين على تسميتهم بالمحلات الليبية[22].

وهكذا فإن قوات المحلات الليبية تعادل نصف قوات مياني في تلك الحملة. وبطبية الحال جمع مياني مقاتلي المدن والمناطق الغربية في ليبيا بالإكراه على حسب ما يبدو إذ أن هذه المدن واقعة أصلاً تحت الاحتلال الإيطالي كما أسلفنا وجعل لكل منها زعيم من منطقتها ومدينتها وقبيلتها من مصراته وبني وليد وترهونة وزليتن ومسلاته. ومن المعروف أن هذا الأسلوب اتخذته السلطات الإيطالية لضرب الليبيين بعضهم البعض عن طريق إجبار الطرف المستسلم ضد المجموعات الخارجة عن سيطرتهم[23].

ويذكر طاهر الزاوي في كتابه جهاد الأبطال في طرابلس الغرب: أن هؤلاء الزعماء الذين رافقوا مياني في حملة انطلاقه من مصراته كانوا ينوون الانقلاب على العدو الإيطالي في الوقت المناسب أثناء بداية المعركة ومساندة إخوانهم المجاهدين الليبيين؛ وهناك العديد من الدلائل على ذلك فقد كان هناك تنسيق سري بين هؤلاء الزعماء (رمضان السويحلي، وعبد النبي بالخير، والساعدي بن سلطان وغيرهم) مع صفي الدين السنوسي في الجهة المقابلة[24].

ويضيف الزاوي: (وقد تواترت الأخبار عمن لهم صلة برمضان السويحلي بأنه كان يعتزم الانقلاب على الجيش الإيطالي إن لم يوافق المجاهدون على الصلح، وقد صرح رمضان السويحلي بهذا للشيخ محمد بن حسن حينما قال له والجيش على أهبة الخروج من مصراته كيف تحارب إخوانك المسلمين فقال له رمضان: أنا ذاهب لدعوتهم إلى الصلح فإن امتنعوا فسأنقلب معهم على الطليان واعتزم رمضان الانقلاب على الطليان لا يشك فيه إلا مكابر)[25].

على أية حال بعد انطلاق الحملة من مصراته التقت في طريقها بقوات عبد النبي بالخير القادمة من بني وليد في بئر عزاز وانضمت إليهم[26]. وأثناء سير الحملة نحو سرت وعند

---

20) محمد سعيد القشاط: القرضابية، 28،29 أبريل، 1915م، طرابلس، 1977م، ص 51.
21) نفس المرجع، ص 52.
22) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون: المرجع السابق، ص 70.
23) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص ص 29،30.
24) الطاهر أحمد الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط (3)، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، 1952م، ص153.
25) نفس المرجع، ص153.
26) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص19.

توقفها في القداحية حدث أمر مهم وهو وصول خبر مهاجمة المجاهدين بقيادة أحمد سيف النصر لبلدة بني وليد والتي توجد فيها حامية إيطالية. وأثناء المشاورات بين زعماء تلك المحلات مع القائد الإيطالي مياني نتج عنها رجوع عبد النبي بالخير بقواته إلى بنى وليد لحمايتها من ذلك الهجوم وبذلك خرج بالخير بقواته قبل المعركة المرتقبة وكان تعداد قواته قرابة 400 مقاتل لم يستفد منها مياني في المعركة[27].

ويبدو أن هذه خطة أحكم تدبيرها صفي الدين السنوسي بخروج قوات أحمد سيف النصر من معسكر المجاهدين في محاولة لتمويه قوات مياني على أنها تريد مهاجمة بني وليد. فقد أمر صفي الدين أحمد السنوسي بأن يعلن جهاراً بأنه سيغزو ورفله وسرعان ما وصل الخبر إلى القائد الإيطالي مياني؛ بواسطة الأشخاص الذين عادوا من معسكر المجاهدين إلى القوات الإيطالية الذين كانوا في مهمة محاولة الصلح بين القوات الإيطالية وصفي الدين السنوسي وجماعته من المجاهدين الليبيين[28].

على أية حال استمرت الحملة في طريقها بعد فشل محاولات الصلح ورفضه من قبل صفي الدين والمجاهدين هناك، وفي طريقها توقفت في مدينة سرت يوم 26 أبريل من عام 1915م، وهنالك عندما تأكد حتمية المواجهة رفض العديد من الرجال الليبيين في تلك المحلات مواصلة السير ومقاتلة المجاهدين فاعتقلهم القائد الإيطالي ووضعهم في الحجز بمدينة سرت للنظر في أمرهم أثناء عودته من المعركة[29].

ثم خرج القائد الإيطالي بقواته من سرت صبيحة يوم 28 أبريل من نفس السنه وكان خط سير الحملة في موازاة البحر باتجاه سواني أبوشناف، قضت القوات الإيطالية بمن معها من الليبيين ليلتها هناك، وفي صبيحة اليوم التالي يوم الخميس 29 أبريل انطلقت صوب قصر بوهادي؛ وكان المجاهدون الليبيون بقيادة صفي الدين السنوسي موجودين بوادي تلال قرب قصر بوهادي وعلى مقربة من بئر القرضابية الذي وقعت بقربه المعركة؛ هذا ما جعل المصادر الإيطالية تطلق على هذه المعركة اسم معركة قصر بوهادي والمصادر الليبية تطلق عليها اسم معركة القرضابية اسمين لمعركة واحدة[30]. وكان المجاهدون وصلوا لهذا الموقع قبل عشرة أيام من حدوث المعركة كي يستعدوا لها بعد تقدمهم من النوفليه باتجاه سرت[31]. وتقدر المصادر أن عدد المجاهدين في معسكر صفي الدين السنوسي حوالي1200 مقاتل به العديد من القادة أمثال نائبه أحمد التواتي، وصالح الاطيوشي اللذين اعتمد عليهما بشكل كبير في هذه المعركة بالإضافة إلى عبدالجليل سيف النصر عن سرت وأحمد سيف النصر عن فزان بعدما انضموا بقواتهما إلى قوات صفي الدين.

وبدأت المعركة في صبيحة يوم 29 أبريل من نفس السنه واستخدمت القوات الإيطالية المدفعية، ثم بدأ الاشتباك المباشر بالأسلحة الخفيفة وكان كل ما يملكه المجاهدون بنادق معظمها إيطالية الصنع تم الحصول عليها كغنائم في معارك سابقة، ومنذ بداية المعركة في الساعة الحادية عشرة صباحاً ضغط المجاهدون على ميسرة الحملة حيث تمركز محلات الخط الأوسط (ترهونه ومسلاته) التي أعلنت انضمامها على الفور للمجاهدين واقتحموا جميعاً الحملة من المقدمة في محاولة للسيطرة على قافلة الذخيرة والتموين[32]. وقد سيطر بادئ الأمر الطليان

---

27) نفس المرجع، ص 22.
28) محمد الطيب الأشهب: المرجع السابق، ص 300.
29) حبيب وداعه الحسناوي: المرجع السابق، ص 66.
30) حبيب وداعه الحسناوي: المرجع السابق، ص 68.
31) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 29.
32) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون: المرجع السابق، ص 66.

حتى كادوا أن يحوزوا الراية السنوسية التي كانت شعاراً لمعسكر صفي الدين السنوسي والمجاهدين الليبيين في تلك المعركة، وهنالك باغتهم أحمد سيف النصر بقواته من الخلف بعد ما نفذ خطته السابق ذكرها في التمويه وخداع العدو[33].

واستطاع رمضان السويحلي في تلك اللحظات الحرجة أن يصل إلى قواته من مصراته وأصدر أوامره بإطلاق النار على الإيطاليين، فأطلقوا عليهم من الخلف فكانت بداية النهاية، فحوصر الجيش الإيطالي من كل الجهات وتمت هزيمته هزيمةً تامةً ولاذ القائد الإيطالي مياني بالفرار مع من بقى من قواته تجاه مدينة سرت بعد إصابته بجروح في تلك المعركة[34].

وبمجرد وصول مياني إلى سرت قام بأعمال انتقامية فعقد محاكمات صورية مستعجله ومرتجلة وأعدم ثلاثة عشر رجلاً من الشخصيات الوطنية الليبية التي رفضت السير في تلك الحملة واحتجزوا في سرت كما أسلفنا أمثال الحاج محمد القاضي رئيس فرقة مسلاته، والهادي بوبكر النعاسي نائب رئيس فرقة ترهونه، والحاج محمد بن مسعود رئيس فرقة الجفارة وغيرهم من الأعيان الذي لا يتسع المجال لذكرهم[35].

ويعتبر معظم المؤرخين الليبيين وغيرهم أن معركة القرضابية من أهم معارك الجهاد الليبي ليس في عدد القوات المشاركة فيها بل من ناحية النتائج التي ترتبت عليها سواءً النتائج المباشرة أو النتائج الغير مباشرة. فمن النتائج المباشرة: ما يلي:

(1) الخسائر البشرية للقوات الإيطالية حوالي 500 جندي قتيل، بالإضافة إلى 462 جريحاً[36].

(2) الخسائر المادية غنم المجاهدون أحدى عشرة قطعة مدفعية، وعدداً من المدافع الرشاشة وحوالي خمس آلاف بندقية ومبالغ نقدية كانت مع الحملة، ناهيك عن قافله محملة بالذخائر والمؤن مكونه من 2000 جمل[37].

(3) شكلت هذه المعركة أفول نجم مياني ونهايته على المسرح العسكري إذ اعتبر مسؤولاً عن هزيمة الجيش الإيطالي. بعد ما صحبته سمعة مدوية حين احتلاله فزان فيما سبق[38].

أما النتائج الغير مباشرة فعلى المدى البعيد أثرت هذه المعركة في تحرير غالبية المناطق الليبية وخاصة في الغرب الليبي من الاحتلال الإيطالي، حيث أخذت القوات الإيطالية في الانسحاب من مدن الدواخل الليبية باتجاه الساحل في أغلبها بدون قتال أمثال مدن ترهونة وبني وليد وغريان والعزيزية ومزدة بالإضافة إلى مدينتي مصراته وزوارة الساحليتين. وانحصر الوجود الإيطالي في مدينتي طرابلس والخمس بعد هذه المعركة الشهيرة. ولقى العديد من الجنود الإيطاليين حتفهم أثناء هذا الانسحاب[39].

وعن أهمية هذه المعركة يذكر التليسي في كتابه معجم معارك الجهاد في ليبيا: تعد معركة القرضابية من أعظم المعارك في تاريخ الجهاد الليبي من حيث توحد القوى الوطنية فيها من الشرق والغرب والجنوب، ومن حيث النتائج الضخمة التي ترتبت عليها وانتهت إلى تلك الكارثة الشاملة التي لحقت بالاستعمار الإيطالي وأدت إلى انسحابه واقتصاره على بعض النقاط

---

33) نفس المرجع، ص 69.
34) محمد الطيب الاشهب، المرجع السابق، ص 300.
35) خليفه محمد التليسي: معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 408.
36) الطاهر الزاوي: المرجع السابق، ص 156.
37) خليفه محمد التليسي: المرجع السابق، ص 408.
38) نفس المرجع، ص 408.
39) بروشين: المرجع السابق، ص 163.

في طرابلس وبرقة، وهي فترة امتدت في حساب الزمن ثمان سنوات أي حتى استئناف العمليات الحربية الإيطالية التي عرفت باسم عمليات الاسترداد التي بدأت بالنزول في مصراته البحرية "قصر أحمد" بوصول الحزب الفاشي للسلطة في روما 1923م[40]. ويذكر بروشين: تكتسب القرضابية شهرتها كونها أكبر انتصار لحركة التحرر الوطنية، فقد تأكد في ذلك المكان كما لم يحدث ذلك في أي مكان آخر بأن قوة الليبيين في وحدتهم[41].

ج) أحداث ما بعد القرضابية:

وبعد معركة القرضابية رجع رمضان السويحلي رفقة صفي الدين السنوسي وجماعته ودخلوا مصراته[42]. وبعد هذا النصر كان من الممكن الاستفادة من وحدة الليبيين لتصفية الوجود الإيطالي بعد ما انحصر في مدينتي طرابلس والخمس في المنطقة الغربية من ليبيا، لكن الأمور جرت عكس ذلك فقد وقع خلاف بين صفي الدين السنوسي ورمضان السويحلي، ومع أن صفي الدين أخذ يعقد الاجتماعات في ترهونة وأصبح له نواب في بني وليد وسرت وغيرهما، إلا أن الوكيل العام للسيد أحمد الشريف وهو إدريس السنوسي أصدر أمراً إلى صفي الدين السنوسي بالعودة من طرابلس إلى برقة بعد أن تحررت أكثر البلاد في غرب ليبيا من الطليان إطفاءً للفتن وحقناً للدماء[43].

ومع إنني لا أريد الخوض في أسباب ذلك الخلاف، ولا أريد تحميل مسؤولية ذلك الخلاف لأحد المجاهدين الكبيرين فما تشجمت عناء هذا البحث والدراسة والتحقيق إلا لإبراز جهاد وكفاح أجدادنا وآبائنا ضد الغزو الإيطالي، ولأن الفهم الخاطئ للتاريخ ألحق الغبن والظلم بأجدادنا وخاصة المجاهدين منهم، فعلينا أن نكرمهم وننصفهم في مصنفاتنا.

ومع كل ما سبق أجد نفسي واقفاً أمام ما ذكره بروشين في كتابه: تاريخ ليبيا (حيث إن المساعي الإيطالية أخذت في تكثيف نار الحرب الأهلية في المنطقة الغربية من ليبيا ويلعبون على أوتار خشية رجال وزعماء الطرابلسيين من الوقوع تحت النفوذ الديني السنوسي وبالتالي فقدانهم امتيازاتهم وحقوقهم)[44].

ويذكر محمد فؤاد شكري في كتابه السنوسية دين ودولة: تدخل الأتراك الموجودين في منطقة طرابلس آنذاك وطلبهم تدخل المجاهدين ومهاجمتهم القوات الفرنسية الموجودة على الحدود التونسية؛ أثر بلا شك في انقسام الحركة الوطنية آنذاك.

حيث يقول في نهاية عام 1915م حضر إلى مصراته حسن الشريف وهو أحد الضباط الطرابلسيين الذين تلقوا علومهم بتركيا وكانوا في الجيش التركي لمقابلة السيد صفي الدين السنوسي، وطلب إليه، باسم نوري باشا أن يقوم مشتركاً مع رمضان السويحلي بالهجوم على الحدود الفرنسية من طرابلس الغرب وتونس، بدلاً من مهاجمة الطليان في مدينتي الخمس وطرابلس على حسب الخطة الموضوعة، فرفض السيد صفي الدين السنوسي أن ينساق إلى حرب مع دولة ثالثة هي فرنسا إلى جانب بريطانيا وإيطاليا وعندئذ دب الخلاف بين المجاهدين صفي الدين ورمضان السويحلي الذي أيد رغبات العثمانيين في حربهم العالمية[45]. ولعل السويحلي كان يعتقد في مساندة الدولة العثمانية الإسلامية في حربها أجدى وذات فائدة أكبر

40) حبيب وداعه الحسناوي وآخرون: المرجع السابق، ص 72.
41) خليفه محمد التليسي: المرجع السابق، ص156.
42) نفس المرجع، ص409.
43) نفس المرجع، ص 405.
44) بروشين: المرجع السابق، ص163.
45) بشير السني المنتصر: مذكرات شاهد على العهد الملكي، ط(2) مكتبة 17 فبراير، بنغازي، 2012م، ص 40.

على نفس اعتقاد أحمد الشريف في مساندة الأتراك في حربهم ضد الإنجليز في مصر في الشرق الليبي.

على أية حال غادر صفي الدين مصراته إلى ورفله بجماعته من المجاهدين الليبيين ثم إلى البويرات- مركز ترهونة- وهناك اجتمع بزعماء البلاد وشيوخها فأطلعهم صفي الدين على الأسباب التي جعلته يرفض الهجوم على الحدود الفرنسية في تونس نزولاً على رغبة العثمانيين؛ لأن المجاهدين- على حد قول صفي الدين- ما كانوا يستطيعون في الحقيقة الصمود أمام قوات ثلاث في وقت واحد، بل إن من واجبهم أن يتفرغوا قبل كل شيء، لمنازلة إيطاليا وقد أقر المجتمعون صفي الدين على رأيه[46] ولعل هذا سبب حقيقي في اختلاف المجاهدين الكبيرين.

على أية حال استمر صفي الدين في سياسته بعدم استعداء دولة ثالثة للمجاهدين أثناء وجوده في المنطقة الغربية من ليبيا، وعندما قام أحد الضباط الأتراك بقيادة مجموعة من الأتراك ومن انضم إليهم من الليبيين بالهجوم على الحدود الطرابلسية التونسية في بن قردان خلال سبتمبر 1915م، وأرسلت الحكومة الفرنسية مندوباً إلى صفي الدين السنوسي يستفسر عما إذا كان الهجوم قد وقع بناءً على إذن من صفي الدين نفسه فبادر صفي الدين بإرسال كتاب إلى الضابط التركي يأمره بالكف عن القتال، وينذره باستخدام القوة ضده واسترجاعه عنوة إذا هو أصر على المضي في هجومه، فاضطر الضابط التركي حينئذ إلى التقهقر والعودة[47]. هكذا برفض طلب نوري باشا القاضي بمهاجمة الفرنسيين في الحدود الليبية التونسية أصبح صفي الدين في نظر الضباط الأتراك الموجودين في جهة طرابلس مخالفاً لسياساتهم الكبرى القائمة على محاربة دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا على الحدود الشرقية والغربية لليبيا. وهذا على ما يبدو هو ما أثار الضباط الأتراك في غرب ليبيا ضده. فقام ضابطان تركيان بمهاجمة قوات صفي الدين عندما كان الأخير في طريقه بين ترهونة وورفله، إلا أن صفي الدين تمكن من التغلب على تلك القوات ووصل بقواته إلى قصر بني وليد وبعد مكوثه في ورفله استطاع الوصول إلى سرت بقواته حيث وجد في سرت قوات لمساندته والتحق به العديد من المناصرين له إلا أنه رفض العودة لمحاربة الضباط الأتراك ومن وقف معهم حقناً للدماء وذلك في فبراير من عام 1916م أي وصوله إلى سرت[48].

وأثناء بقاء صفي الدين في سرت حضر إليه في أوائل مارس من نفس العام الضابط الألماني مانسمان، يطلب من تصريحاً ليلتحق بالضباط الأتراك الذين كانوا يريدون شن الهجوم على الحدود الفرنسية في تونس، لكن صفي الدين ما لبث أن احتجزه عنده، عندما تبين أن مانسمان لم يكن يحمل أمراً بذلك من إدريس السنوسي وأحمد الشريف، ثم أرجعه تحت الحراسة إلى أجدابيا مقر إدريس السنوسي[49].

وخلال عام 1916م طلب إدريس السنوسي الذي آلت إليه الأمور في برقة بعد ابن عمه أحمد الشريف طلب من صفي الدين الموجود بسرت العودة إلى برقة والحضور إلى (أجدابيا) مقر قيادة إدريس السنوسي، فارتحل صفي الدين بمن معه من القوات إلى أجدابيا[50]، كما سبق وذكرنا، وبذلك انتهت مهمة هذا الرجل في الجهات الغربية من ليبيا لتبدأ مرحلة جديدة في

---

46) بروشين: المرجع السابق، ص 166.
47) مصطفى بن حليم: ليبيا انبعاث أمة وسقوط دولة، ط(1)، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، 2003م، ص 106.
48) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، (م) يوسف المجريسي، ط(1) مركز الدراسات الليبية أكسفورد، بريطانيا، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م، ص ص 301 ، 302.
49) نفس المرجع، ص 202.
50) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 302.

تاريخه في برقة تحت قيادة إدريس السنوسي لهذا الإقليم وخلال مرحلة ضعفت فيها المقاومة الليبية بسبب هزيمة حملة أحمد الشريف السنوسي على الإنجليز في مصر كما هو معروف.

على أية حال عند رجوعه إلى أجدابيا وجد بها إدريس السنوسي ونوري باشا (وعبد الرحمن عزام) مصري الجنسية شارك في الجهاد الليبي. وبعد المكوث في أجدابيا استأذن صفي الدين إدريس السنوسي بالسفر إلى (الكفرة) إحدى معاقل السنوسية في الجنوب الليبي. ومن المعروف أن نوري باشا غير راضي على دخول إدريس السنوسي في مفاوضات مع الإنجليز والطليان، وحاول وهو في أجدابيا أن يقنع إدريس السنوسي بوجهة نظره، لكن هذه المحاولات لم تفد شيئاً، فانتهز نوري باشا فرصة خروج صفي الدين إلى الكفرة وأرسل إليه خطاباً وهو في الطريق نحو الكفرة ليقنعه بالعودة إلى العقيلة حتى يشترك مع العثمانيين في القيام بهجوم على الإنجليز في هذه المنطقة، وأظهر نوري باشا في رسالته استعداد الحكومة العثمانية لأن ترسل إليه غواصات تحمل المؤن والذخائر والمال اللازم لتدبير هذا الهجوم، لكن صفي الدين رفض هذه العروض التي وجد في قبولها ضرراً يلحق بالبلاد، واستأنف السير إلى الكفرة[51]. ويبدو أن هذا الموقف أكد لنوري باشا تماسك العلاقة والسياسة المشتركة بين إدريس السنوسي وصفي الدين؛ لذا كان عليه التحرك في طرق أخرى.

فحاول نوري باشا ضرب النفوذ السنوسي في الكفرة مستغلاً انشغال إدريس السنوسي بالمفاوضات مع الإنجليز والطليان، وأرسل لهذه المهمة مجموعة من الضباط الأتراك الموجودين بليبيا آنذاك غير أن صفي الدين الموجود بالكفرة آنذاك اكتشف أمرهم وأودعهم السجن[52]. وبعد أن مكث صفي الدين عدة شهور في الكفرة عاد إلى أجدابيا في فبراير 1917م ووجد إدريس السنوسي منهمكاً في مفاوضات عكرمة مع الإنجليز والطليان قرب طبرق في الطرف الآخر من برقة ووجد أن مكائد الضباط الأتراك هذه المرة كانت ترمي للإطاحة بإدريس السنوسي مستغلين انشغاله بالمفاوضات وذلك بتأليب السنوسية عليه وخلق قلاقل داخل الأدوار، وعندما اكتشف صفي الدين ذلك من مساعديه اتصل بإدريس محذراً إياه من ذلك فسارع إدريس السنوسي إلى أجدابيا بعد ما انضم إليه عمر المختار بقواته وطوق المعسكر التركي الموجود في أجدابيا وهنالك خرج الأتراك بعد استسلامهم إلى مصراته[53].

وما جعل إدريس السنوسي بعيداً عن تلك الأخبار والدسائس أن حجراً صحياً أقيم في تلك الآونة لمكافحة وباء الطاعون المنتشر في البلاد، وأن إدريس السنوسي كان بعيداً عن الأحداث في الجهات الشرقية من برقة منشغلاً بمفاوضات عكرمة، وهذا ما دعا صفي الدين أن يذهب بنفسه إلى مكان مفاوضات إدريس السنوسي في عكرمة ليطلعه على حقيقة الأمر[54].

على أية حال بعد القضاء على مؤامرات الضباط الأتراك ضد إدريس السنوسي رجع الأخير إلى عكرمة لاستكمال المفاوضات في عكرمة، وكلف صفي الدين بالسير نحو (دور) معسكر الأبيار الخاص بقبيلة العواقير وهو المكان الجديد بعد أن تحول مركزهم من وادي (حجره) إلى الأبيار. وخلال سير صفي الدين نحو دور الأبيار من نفس عام 1917م، وجد العديد من المنازعات القبلية في برقة. تسببت فيها العديد من الأحداث منها مكايد الأتراك السابقة ضد إدريس السنوسي لخلق قلاقل داخل معسكرات المجاهدين أو الأدوار لإفشال

---

51) نفس المرجع، ص 303.
52) المرجع السابق، ص 303.
53) محمد الطيب الاشهب: المرجع السابق، ص 302.
54) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 304، 305.

المفاوضات وإسقاط إدريس السنوسي وتحولت هذه الاختلافات إلى منازعات قبلية[55]. وهنالك كلف إدريس السنوسي صفي الدين بالتفرغ لحل الخلافات القبلية وبالفعل وفق صفي الدين في إنهاء تلك الصراعات[56].

وإذا تتبعنا أهم الأعمال والمهام التي قام بها صفي الدين في برقة بعد عودته من سرت عام 1916م. يتبين لنا أنه احتفظ بنفس الصفة نائباً على الجهات الغربية من برقة خلال نفس العام حتى الشهور الأولى من عام 1917م. وبعبارة أخرى حتى 17 أبريل 1917م تاريخ صلح عكرمة بين إدريس السنوسي والسلطات الإيطالية.

وما يؤكد ذلك أن إدريس السنوسي كان يخاطبه في الرسائل المتبادلة بينهم بنفس تلك الصفة خلال الفترة المذكورة سابقاً. وهي واضحة من خلال الوثائق التي نشرها سالم الكبتي في كتاب عن إدريس السنوسي ودوره السياسي والوطني.

منها رسالة بعث بها إدريس السنوسي إلى صفي الدين خلال عام 1916م، بعد عودته من سرت إلى برقة (الجهات الغربية) منها. يذكر في بداية رسالته إلى صفي الدين السنوسي نائباً بالمنطقة الغربية من برقة: حيث وضح له (بأن مهمتنا قد انتهت في مفاوضات الإنجليز الطليان وقد أنجزت معهم كل شروطنا وسنعرفكم بكل ما وقع إن شاء الله) "يرجح أنها مفاوضات الزويتينة عام 1916م". ويدل هذا على حرصه على إبلاغ ومشاورة صفي الدين في الشؤون السياسية والعسكرية[57].

فهو من أبرز مساعديه علاوة على أنه ابن عمه من العائلة السنوسية نفسها ويقدر رجاحة عقله. وهناك العديد من الرسائل الخاصة بعام 1916م، تبين هذه المهمة[58].

- **ثانياً: أهم أعمال صفي الدين 1917- 1923م:**

أما فيما يخص عام 1917م نلاحظ أن صفي الدين استمر بنفس الصفة نائباً على المنطقة الغربية من برقة لعدة شهور من ذلك العام ففي إحدى الرسائل الخاصة بعام1917م يخاطبه إدريس السنوسي بصفته نائباً على المنطقة الغربية من برقة ويذكر في تلك الرسالة أنه موجود في أجدابيا وأنه متوجه إلى الزويتينة ويطلب من صفي الدين العودة من جهة رأس لانوف تقريباً حيث يأمل مقابلته عند الزويتينة[59]. كذلك بنفس العام رسالة يخاطبه بنفس الصفة ويطلب منه ترتيبات تتعلق بمهام للمجاهد صالح الأطيوش بتلك الجهات[60]. كل ذلك كان قبل صلح عكرمة الشهيرة.

(أ) صفي الدين السنوسي نائباً على المنطقة الشرقية من برقة 1917- 1920م.

على أية حال بعد صلح عكرمة خلال 17 أبريل 1917م بين إدريس السنوسي والسلطات الإيطالية منحت بموجبه إيطاليا إدريس السنوسي الإمارة والسلطة على مناطق الدواخل والواحات في برقة. وأمام هذا التطور انبثقت حكومة أجدابيا نسبة للمدينة التي أصبحت مقراً

55) مصطفى هويدي: الحركة الوطنية في شرق ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 118.
56) بروشين: المرجع السابق، ص 182.
57) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 304، 305.
58) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 320 ، 321.
59) مصطفى هويدي: المرجع السابق، ص 112.
60) سالم الكبتي: إدريس السنوسي الأمير والملك (وثائق عن دوره السياسي والوطني)، ج (1) الأمير 1914- 1946م، ط (1)، دار الساقية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 2013، ص 52.

لهذه الحكومة وهي حكومة أسسها إدريس السنوسي تتكون من مجلس خاص ومجلس لشيوخ القبائل والعديد من الموظفين الإداريين المسؤولين في هذه الحكومة[61].

وأمام هذا التطور لزم تنظيم "الأدوار" المعسكرات فتم تقسيمها إلى سبع أدوار في برقة على هذه الأدوار مسؤولين يسمون النواب، وهم نواب عن إدريس السنوسي في هذه الأدوار، وتقلد صفي الدين صفة نائب عن إدريس السنوسي في المنطقة الشرقية التي ضمت ثلاث أدوار هي (عكرمة، خولان، مراوه) بينما تقلد عمر المختار نيابة دوري الأبيار وتاكنس وتقلد علي باشا العابدية دوري أجدابيا والشلميظه[62]، هذا هو تقسيم معسكرات المجاهدين والمناطق العسكرية والإدارية الجديدة. وما يمكن قوله عن صفي الدين أنه قد ألقيت على عاتقه مهمة أخرى بجانب هذا الدور ويعد دوراً مهماً وكبيراً ألا وهو حل المنازعات القبلية والاختلافات بين بعض الأدوار التي ظهرت خلال عام 1917م. أثناء صلح عكرمة فقد اهتم صفي الدين بهذا الأمر وبعد سنة كاملة من أبريل عام 1917م، فترة صلح عكرمة إلى أبريل 1918م تكلل مسعى صفي الدين بالتوفيق بين القبائل المتخاصمة، واستطاع أن يحافظ على الأمن. ثم ذهب بالقوة أو الجيش الذي كان يصحبه من الجبل الأخضر إلى أجدابيا في أبريل من نفس عام 1918م، لتسليم هذه القوة إلى وكيل إدريس السنوسي في برقة الغربية وهو الشارف الغرياني[63].

ليعود بعد ذلك إلى تنظيم شؤون المنطقة الشرقية في برقة ويتابع مسير أعمال الأدوار بها مما يبين لنا أن صفي الدين تقلد صفة نائب عن إدريس السنوسي في المنطقة الشرقية ومسؤوليته عن تلك الأدوار منذ عام 1917م، فالعديد من الرسائل بينته منها:

رسالة من المجاهد الكبير يوسف بورحيل المسماري (قائد دور البراغيث) إلى إدريس السنوسي خلال عام 1917م، تبين استلام يوسف بورحيل من صفي الدين نائب إدريس في (المنطقة الشرقية) بعض المضابط حول نشاط الأدوار بالمنطقة الشرقية[64]. وخلال عام 1918م هناك العديد من الرسائل بين صفي الدين وإدريس السنوسي بهذا الشأن معظمها بمثابة تقرير دوري فيما يخص العساكر والأهالي وجباية الزكاة والأعشار وبعض التعيينات الجديدة التي يصدرها إدريس السنوسي بخصوص تلك الأدوار[65].

على سبيل المثال في نفس سنة 1918م، رسالة من إدريس السنوسي موجهة إلى نائبه بالمنطقة الشرقية صفي الدين بضرورة اتخاذ قاعدة ثابتة للمسكوكات في جباية الأموال الأميرية بأن تقبل صناديق المال بالأدوار الريال المجيدي (عملة تركية) بعشرين قرشاً صاغاً، ويتم التعامل بين الصناديق بهذه المثابة في كل الدوائر المالية للأدوار. وعن كيفية تعامل الإدارة الخاصة بحكومة برقة مع الأدوار تبينها لنا رسالة موجهة من إدريس السنوسي إلى صفي الدين خلال نفس عام 1918م، بخصوص إصدار أمر منه إلى قائمقم (خولان) بإرسال شخص إلى أجدابيا لأجل أخذ أسئلة وأقوال منه[66].

وخلال عام 1919م، استمر صفي الدين في موقعه نائباً لإدريس السنوسي في المنطقة الشرقية من برقة والتي ضمت الأدوار الثلاث في تلك المنطقة وهي أدوار عكرمة ومراوه وخولان وهي المنطقة الجغرافية من الحدود الليبية المصرية حتى مناطق الجبل الأخضر، حيث

61) نفس المرجع، ص ص 54 ، 55.
62) نفس المرجع، ص 100.
63) نفس المرجع، ص 103.
64) محمد الطيب الاشهب: المرجع السابق، ص ص 362 - 365.
65) إيفانز بريتشارد: المرجع السابق، ص 259.
66) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 321.

لم يكن خارج منطقته في الأدوار الواقعة شرق بنغازي سوى دوري (الأبيار وتاكنس) كما بينا سابقاً بأن هذين الدورين تحت إشراف عمر المختار وخلال عام 1919م، هناك العديد من الرسائل بين إدريس السنوسي ونائبه بالمنطقة الشرقية صفي الدين تخص تنظيم الشؤون الإدارية والمالية بهذه الأدوار. منها رسالة من إدريس السنوسي إلى صفي الدين بضم مدينة (البمبة) أهالي وعساكر إلى دور خولان على أن تأتي أرزاق العسكر من عكرمة[67]، وبخصوص دور عكرمة يطلب إدريس السنوسي في إحدى الرسائل من نائبه صفي الدين بوجوب تعيين عبد العزيز بك الشامي قائداً لقضاء عكرمة. أما بخصوص دور مراوه يطلب من صفي الدين صيانة الطرق المؤدية إلى مراوه بسب تعطلها بهطول الأمطار[68].

(ب) صفي الدين السنوسي رئيساً لمجلس النواب وناظراً للتشكيلات المختلطة. 1920-1922م.

وخلال عام 1920م، وقعا حدثين سياسيين مهمين في برقة أثراً في الوضع السياسي بها وهما اتفاق الرجمة بين ادريس السنوسي والسلطات الإيطالية في أكتوبر من عام 1920م[69]. وإنشاء مجلس نواب برقة في نفس العام[70]. وعلى حسب ذكر خدوري في كتابه ليبيا الحديثة (سرى في البلاد في شرقها وغربها مرحلة صلح وسلم مع الإيطاليين حيث أعد الإيطاليين في 23 أكتوبر من عام 1919م قانونان أساسيان مختلفان أحدهما لبرقة والآخر لطرابلس لكل منطقة برلمانها الخاص بها ومجلس حكومتها)[71].

وهذا ما تم تطبيقه على أرض الواقع خلال عام 1920م. وخلال هذه المرحلة برز دور صفي الدين السنوسي في المجال السياسي بعدما وضعت الحرب أوزارها خلال هذه الفترة في ليبيا في شرق البلاد وغربها.

وقد اعتمد عليه إدريس السنوسي للإشراف على الانتخابات اللازمة لمجلس النواب الخاص ببرقة داخل وخارج الحد الفاصل بين مناطق السنوسية والإيطاليين[72]، وبالفعل أجريت الانتخابات في مدن وقرى برقة، وتكون مجلس نواب برقة من ستين عضواً أكثرهم من زعماء القبائل الذين انتخبهم أتباعهم[73].

وقد عقد هذا المجلس أول اجتماعاته في أبريل 1921م، واختير صفي الدين السنوسي رئيساً له[74]. ومن الأمور التي ينظر فيها هذا المجلس اللوائح والقرارات التي يقصد بها القانون الأساسي، حيث تعرض على هذا المجلس لإقرارها قبل صدورها، كما كان المجلس ينظر في الضرائب المباشرة وكان له الحق في أن يناقش الإدارة الإيطالية في المسائل الإدارية، وقد عقد المجلس منذ تأسيسه خمس جلسات حتى مارس 1923م. حين حل بسبب قطع العلاقات بين إدريس السنوسي والإيطاليين[75].

---

67) سالم الكبتي: المرجع السابق، ص 62.
68) نفس المرجع، ص ص 141 ، 142.
69) نفس المرجع، ص ص 131 – 141..
70) نفس المرجع، ص 126.
71) سالم الكبتي: المرجع السابق، ص ص 129 – 156.
72) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 322.
73) سالم الكبتي، المرجع السابق، ص 191.
74) مجيد خدوري: المرجع السابق، ص 29.
75) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 322.

أما فيما يخص اتفاقية الرجمة خلال أكتوبر 1920م فقد نصت المادة السادسة منها على حل الأدوار وتسليم المعسكرات، وبدون البحث في تفاصيل المواد الأخرى من هذه الاتفاقية نركز على هذه النقطة، بحكم أنها جوهر الاتفاق ومضمونه.

على أية حال كان الأهالي لا يرغبون في تسليم أسلحتهم بسبب عدم ثقتهم بالإيطاليين، وكان الأمير إدريس السنوسي يماطل في تنفيذ هذا الاتفاق وأراد أن تعرف إيطاليا وتتأكد من أن هذه رغبة الأهالي أنفسهم. وفي الوقت نفسه أرادت إيطاليا إضعاف الأمير إدريس أمام الأهالي، لهذا كله عقد اجتماعاً عاماً مع كل هؤلاء في مدينة الأبيار خلال سبتمبر 1921م. وأوفد إدريس السنوسي ابن عمه صفي الدين السنوسي[76]. وفي هذا الاجتماع كان المشايخ وزعماء القبائل لا يؤمنون إلا بمبدأ واحد. وهو ضرورة الدفاع عن مصالح البلاد وتأييد السنوسية، والعمل بكل الطرق للحد من نفوذ الطليان وإبطال مساعيهم.

وأخيراً بعد حضور الأمير إدريس السنوسي عرض عليه حلاً وسطاً، يتمثل في إنشاء معسكر إيطالي إلى جانب كل معسكر سنوسي في المراكز المختلفة. وكان عمر باشا منصور الكيخيا يقوم بدور الوساطة بين إدريس السنوسي والوالي الإيطالي دي مارتينو على حين يقوم صفي الدين السنوسي بهذا الدور بين الأهالي وإدريس السنوسي.

ونتج عن ذلك اتفاق بين إدريس السنوسي والإيطاليين عرف باتفاق "أبو مريم" في 30 سبتمبر 1921م[77]. ينص على إنشاء الأدوار المختلطة وبذلك أنشأت هذه الأدوار في كل من (الأبيار، تاكنس، سلنطة، عكرمة ثم أضيف دور المخيلي)[78]. وعين صفي الدين السنوسي ناظراً لهذه التشكيلات المختلطة[79]. وهناك العديد من الرسائل بين إدريس السنوسي وصفي الدين تؤكد تقلده لهذا المنصب[80].

وفي إحدى الرسائل التي نشرها الكبتي في كتابه إدريس السنوسي وثائق عن دوره السياسي والوطني يقترح إدريس السنوسي على صفي الدين تعيين عمر المختار مستشاراً له حيث سيوفق عمر المختار بحسب رأيه في حل بعض مسائل البادية في برقة ويرجح أن تكون هذه الرسالة عام 1921م[81].

كما كان صفي الدين السنوسي خلال هذه المرحلة التي كان يرأس فيها مجلس النواب في برقة وناظراً للتشكيلات المختلطة، نائباً لإدريس السنوسي في العديد من المقابلات مع المسؤولين الإيطاليين، ففي إحدى الرسائل يطلب إدريس السنوسي من صفي الدين مقابلة الوزير الإيطالي نيابة عنه خلال عام 1922م[82]. وهناك رسالة أخرى من إدريس السنوسي إلى وكيل الحكومة الإيطالية بولاية بنغازي يفيده بوجود نائبه صفي الدين في الأبيار منتظراً حضور الناظر الإيطالي للتفاوض فيما يصلح البلاد وذلك عام 1922م[83].

وخلال نفس هذا العام طلب إدريس السنوسي من صفي الدين الحضور إلى أجدابيا لمقابلته لبحث العديد من الموضوعات وعلى رأسها المسألة الطرابلسية، كما بينت إحدى الرسائل[84].

---

76) مجيد خدوري: المرجع السابق، ص 29.
77) سالم الكبتي: المرجع السابق، ص 205، محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 333.
78) مجيد خدوري: المرجع السابق، ص 29.
79) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 324.
80) سالم الكبتي، المرجع السابق، ص 239.
81) نفس المرجع، ص ص 243 ، 244.
82) نفس المرجع، ص 184.
83) نفس المرجع، ص 234.
84) نفس المرجع، 238.

وكان في تلك الأثناء أن قدم وفد طرابلس لعرض الإمارة على إدريس السنوسي ليكون أميراً على البلاد من شرقها إلى غربها. وخلال تلك الأوقات أخذت تبرز الشكوك وعدم الثقة بين الإيطاليين والسنوسيين. حيث طلبت السلطات الإيطالية من صفي الدين إبعاد الشيخ صالح العوامي مستشار النظارة في الأدوار، بسبب تهم بالتحريض ضد الإيطاليين وطلبوا إبعاده إلى أجدابيا أو جالو. وبما أن صفي الدين رئيس النظارة في الأدوار ذهب رفقة الشيخ صالح العوامي إلى أجدابيا لمقابلة إدريس السنوسي لتحري الأمر، فعاد صفي الدين معه صالح العوامي إلى الأبيار دون أنه يقع عليه شيء من الأمير بحكم براءته[85].

وفي يوم 30 سبتمبر من نفس عام 1922م، وقعت حادثة أخرى اتهم بها الطليان الشيخ صالح العوامي، وهي حادثة قتل مجموعة من الإيطاليين في سيارة للبريد بسببها قبض على الشيخ صالح العوامي. وهنالك وصلت رسالة من الشيخ عثمان العنيزى وهو من أعضاء مجلس النواب ومن الموالين للسنوسية، وله دراية بالإيطاليين تفيد هذه الرسالة بنية الإيطاليين إلقاء القبض على صفي الدين، وكان قد تم ترتيب لقاء بين صفي الدين والإيطاليين في اليوم التالي. وهنالك خرج صفي الدين من مدينة الأبيار في ظلمة الليل من منزله إلى جردس العبيد. ثم قدم استقالته من مجلس النواب البرقاوي احتجاجاً على سلوك المتصرف الإيطالي. وعندما علم الإيطاليون باستقالته حاولوا أن يوسطوا إدريس السنوسي حتى يقنع صفي الدين باستردادها لكن دون جدوى. وخرج صفي الدين من جردس إلى أجدبيا[86]، وكان غرض الإيطاليين في الأيام الأخيرة قبل مغادرة إدريس السنوسي إلى مصر إلقاء القبض على كبار السنوسية أمثال إدريس السنوسي وصفي الدين ومحمد الرضا السنوسي[87].

وكان حادثة العوامي وما ترتب عليه من استقالة صفي الدين من رئاسة مجلس النواب مؤذناً ببداية النضال الوطني بصورة جدية ضد الطليان، فأحرق المجاهدون ثكنات البعثة الإيطالية: وهي بعثة الاتصال لدى إدريس السنوسي في الزويتينة قرب أجدابيا خلال 14 ،15 أكتوبر من عام 1922م، واضطرت البعثة إلى الهرب على متن إحدى السفن من الزويتينة. وكان أثناء هذه الحوادث أن قبل الأمير إدريس السنوسي الاجتماع بالوفود الطرابلسية التي جاءت تعرض عليه بيعة بالإمارة على الرغم من تحذيرات الإيطاليين وتهديداتهم[88].

(ج) تكليف صفي الدين السنوسي نائباً للأمير إدريس السنوسي في غرب البلاد عام 1922-1923م.

قبل مغادرة إدريس السنوسي إلى مصر وتحديداً يوم 21 ديسمبر من عام 1922م، قام في ذلك اليوم بمحاولة لتنظيم المقاومة ضد الغزو الإيطالي وبحث الأمر مع زعماء برقة من جهة ومع بشير السعداوي والوفد المرافق له من طرابلس من جهة أخرى واستقر رأيه على تكليف عمر المختار نائباً عنه في تنظيم الجهاد والمعسكرات في برقة. وتكليف أخيه محمد الرضا السنوسي عن أمور العائلة السنوسية والشؤون الدينية في برقة والذي استقر بطبيعة الحال في (جالو) وبعث صفي الدين السنوسي إلى طرابلس رفقة بشير السعداوي نائباً عنه للتعاون مع زعمائها في تنظيم الجهاد في غرب البلاد[89].

---

85) نفس المرجع، ص 246.
86) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 396 ، 397.
87) نفس المرجع، ص 400.
88) نفس المرجع، ص ص 398 ، 399.
89) محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ص 367 ، 368.

وكان إدريس قد بعث رسالة إلى المجاهد أحمد المريض في غرب ليبيا بشأن استجابة لطلب تزويد المنطقة الغربية بالذخيرة وبأنه سيرسلها مع صفي الدين السنوسي وسيرافقه عدد من العساكر النظاميين(90). وقد خرج صفي الدين رفقة بشير السعداوي من برقة يوم 9 مارس 1923م، وقد خرج رفقة الوفد البرقاوي مجموعة من المجاهدين منهم على سبيل المثال أحمد سيف النصر وشقيقه عمر سيف النصر. حاملين معهم أسلحتهم وعتادهم بطبيعة الحال. ويقول صفي الدين: (وعند وصولنا إلى النوفلية وجدنا بها خالد بك القرقني، وعثمان بك القيزاني، فارتحلنا جميعاً إلى سرت وفي أثناء الطريق وصلنا خبر مشؤوم، مؤداه أن محمد سعدون السويحلي وشقيق رمضان السويحلي قد استشهد في القتال، وكان محمد سعدون من خيرة القادة الذين تولوا قيادة العمليات العسكرية في الحركة الأخيرة. على أننا تابعنا السير بعد ذلك حتى بلغنا أحمد بك المريض، ثم ذهبنا إلى وادي (نفد) بين مصراته وورفلة، وفي ورفلة وجدنا أحمد الشتيوى، وهو من إخوة رمضان السويحلي، وكان أحمد الشتيوي متصرفاً على مصراته، ثم وجدنا معسكر المجاهدين العام(91).

وعند وصول صفي الدين إلى سرت وجد الأمر مضطرباً بين القبائل بسبب الهزيمة الأخيرة للمجاهدين أمام الإيطاليين بتلك المنطقة، لذلك اتفق صفي الدين وأحمد المريض وأحمد سيف النصر على تعيين بشير السعداوي قائمقام لمنطقة سرت والذي تمكن من تأمين الاستقرار في المدينة(92).

وبذل بشير السعداوي جهوداً صادقة حتى يحشد جموع المجاهدين حول صفي الدين تحت قيادة واحدة. بصفته نائباً للأمير إدريس السنوسي في المنطقة الغربية من البلاد. وقد استمر صفي الدين في قيادته هذا المعسكر عدة أشهر من شهر إبريل إلى ديسمبر من عام 1923م(93). وسعى صفي الدين خلال هذه المدة من أجل التوفيق بين القبائل وتوحيد كلمة المجاهدين، غير أن ذلك لم يكن ذي جدوى فقد أخذ الزعماء ينسحبون بقواتهم من المعسكر فخرج عبد الجليل سيف النصر، وتبعه أحمد المريض زعيم ترهونة وذهب إلى سرت، ثم خرج من سرت بأسرته إلى جالو، ولم يبق مع صفي الدين في معسكر "نفد" سوى أحمد السويحلي، وأمام انحلال المقاومة وسيطرة الطليان على مناطق جديدة، قرر صفي الدين أن يرجع إلى جالو مركز السنوسية في برقة مع نهاية عام 1923م. وبعث إلى إدريس السنوسي الموجود بمصر آنذاك يخبره بكل ما وقع من تقهقر المقاومة في طرابلس، فأجابه بأن له أن يختار إما البقاء في جالو وإما الذهاب إلى الجغبوب، فارتحل صفي الدين إلى الجغبوب في سبتمبر عام 1924م(94).

وقد بقى صفي الدين في الجغبوب حتى خرج منها في ديسمبر عام 1925م، إلى مصر قبل احتلال تلك الواحة بحوالي شهرين من قبل الإيطاليين(95).

وبذلك انتهى دور صفي الدين السنوسي في الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي بتلك المرحلة من التاريخ الليبي.

---

90) رسالة من إدريس السنوسي إلى أحمد المريض بتاريخ 13-12-1922م، الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى وثيقة رقم 113، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م، ص ص 469 – 472.
91) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 451.
92) بروشين: المرجع السابق، ص ص 219 ، 220.
93) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 401.
94) نفس المرجع، ص ص 401 ، 402.
95) نفس المرجع، ص 412 ، 413.

خاتمـــة:

- يعد صفي الدين السنوسي القائد الفعلي لمعركة القرضابيه الشهيرة في سرت 1915م، فهو الذي خطط واستعد لها قبل وقوعها وما انتقاله من الشرق الليبي إلى تلك الجهات إلا من أجل قيادة الجهاد بهذه المنطقة التي حددها له أخوه أحمد الشريف، وقد أدى تحالف صفي الدين السنوسي مع أحمد سيف النصر القادم من الجنوب الليبي (فزان) ورمضان السويحلي القادم من مصراته في غرب البلاد إلى نصر كبير يعد من أشهر الانتصارات في معارك الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، فقد اعتبرها معظم المؤرخين والباحثين من أهم معارك الجهاد الليبي، فقد أثرت هذه المعركة في تحرير معظم المدن الليبية في غرب البلاد على إثر هذا الانتصار وأخذت القوات الإيطالية في الانسحاب من المناطق الداخلية نحو الساحل بعد هذه المعركة التي رفعت الروح المعنوية للمجاهدين.
- بعد هذه المعركة رجع صفي الدين السنوسي إلى برقة بأمر من إدريس السنوسي الذي تقلد مقاليد الأمور في برقة مكان ابن عمه أحمد الشريف. وفي برقة كانت لصفي الدين السنوسي حظوة أكبر حيث إنه شقيق أحمد الشريف المجاهد الكبير وابن عم إدريس السنوسي بالإضافة إلى أنه ذي دراية عسكرية وإدارية وسياسية؛ لذا استمر في موقعه نائباً لإدريس السنوسي على المناطق الغربية من برقة حتى عام 1917م تاريخ توقيع صلح عكرمة في إبريل من ذلك العام بين إدريس السنوسي والإيطاليين، وحدد في هذا الصلح مناطق نفوذ السنوسية في دواخل برقة والواحات وانبثقت حكومة أجدابيا التابعة إلى إدريس السنوسي وتم تقسيم الأدوار في برقة إلى سبعة أدوار ثلاثة منها سلمت قيادتها إلى صفي الدين السنوسي، وهي أدوار (عكرمة، خولان، مراوه) وسميت هذه المنطقة التي فيها هذه الأدوار بالمنطقة الشرقية لأنها تضم المناطق من الحدود الليبية المصرية حتى مناطق الجبل الأخضر. واستطاع صفي الدين بفضل خبرته وحنكته تسيير أمور هذه المعسكرات التي اصطلح عليها اسم الأدوار واستطاع تنظيم أمورها المالية والإدارية كونها تضبط هذه المنطقة وفي حدودها الجغرافية. وقد اعتمد عليه إدريس السنوسي في فض المنازعات بين العديد من قبائل برقة وتحديداً عام 1917م ووفق في هذا المسعى بشكل جيد واستطاع ضبط الأمور وتنظيم حدود ومناطق تلك القبائل.

واستمر صفي الدين السنوسي في قيادة الأدوار الشرقية في برقة حتى عام 1920م إذ استجدت أحداثاً سياسية وهي الاتفاقيات السياسية بين إدريس السنوسي والإيطاليين على إثرها تأسس مجلس النواب في برقة وتشكلت الأدوار المختلطة أو التشكيلات الجديدة على حسب تسميتها. وكان صفي الدين حاضراً بقوة في هذه الترتيبات الجديدة إذ أصبح رئيساً لمجلس النواب في برقة حتى أكتوبر من عام 1922م عندما قدم استقالته احتجاجاً على تصرفات المتصرف الإيطالي في برقة. وبجانب رئاسته لمجلس النواب كان صفي الدين ناظراً للتشكيلات المختلطة منذ تأسيسها في عام 1921م وبذلك أصبح صفي الدين مسؤولاً على جميع المعسكرات أو الأدوار السنوسية في برقة بصفة عامة. يعاونه موظفون وإداريون يهتمون بالشؤون المالية والإدارية والعسكرية، وكانت له صلاحيات عسكرية ومدنية طيلة وجوده في هذه المناصب التي تقلدها.

وعندما انتهت مرحلة التعايش السلمي بين الليبيين والإيطاليين في برقة وفي عموم البلاد، عاد صفي الدين السنوسي للجهاد وتحديداً في غرب البلاد بحكم خبرته ودرايته بهذه المنطقة التي كان قد جاهد فيها سابقاً. وذلك عندما دب الخلاف بين الإيطاليين وإدريس السنوسي ووافق

الأخير على أخذ البيعة التي قدمها له وفد طرابلس بتنصيبه أميراً على البلاد. فقد سعى هذا الأمير إلى تنظيم الجهاد قبل مغادرته إلى مصر للعلاج بنهاية عام 1922م.

حيث جعل عمر المختار على الشؤون العسكرية في برقة وجعل أخيه محمد الرضا مسؤولاً على شؤون العائلة السنوسية. وكلف صفي الدين السنوسي نائباً عنه لتنظيم الجهاد في غرب البلاد.

وقد سافر صفي الدين السنوسي رفقه بشير السعداوي ومن كان بصحبتهما إلى الجهات الغربية من البلاد في مارس 1923م. ورغم مكوث صفي الدين السنوسي في تلك المناطق مثل سرت وبني وليد وغيرهما محاولاً تنظيم الجهاد وجمع زعمائه في غرب البلاد في معسكر موحد يجمع شملهم، ويجعل منهم قوة مؤثرة ضد القوات الإيطالية. إلا أن وصوله إلى غرب البلاد كان في ظرف عصيب جداً إذ أن القوات الإيطالية كانت قد احتلت عدة مدن قبل وصوله إلى غرب البلاد وهذا ما جعل مهمته عسيرة جداً فترك زعماء الجهاد معسكره أمام عدم تفاهمهم فيما بينهم وأمام تفكك واضمحلال المقاومة في غرب البلاد، عاد صفي الدين السنوسي إلى برقة بعد عدة أشهر قضاها في غرب البلاد. ليستقر في جالو، ثم ينتقل إلى الجغبوب حتى خروجه منها إلى مصر في ديسمبر من عام 1925م.

وأخيراً أوصي بالبحث في كتابة تاريخ الأسرة السنوسية وخاصة في مرحلة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي بما لها وما عليها على حسب الوثائق التاريخية، وأخص بالذكر الشخصيات التي لم يسلط عليها الضوء في الكتابة والبحث التاريخي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أ) الوثائق المنشورة:

1) رسالة من إدريس السنوسي إلى أحمد المريض بتاريخ 1922/12/13م، الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى، وثيقة رقم (113)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.
2) الكبتي، سالم: إدريس السنوسي الأمير والملك. (وثائق عن دوره السياسي والوطني)، ج (1)، الأمير 1914-1946م، ط (1)، دار الساقية للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 2013م.

ثانياً: الكتب العربية:

1) الأشهب، محمد الطيب: برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، شارع محمد علي، مصر، (د. ت).
2) البوصيري، علي: المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي في الجزء الغربي من ليبيا، أكتوبر 1913 – أغسطس 1914م، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1998م.
3) التليسي، خليفة محمد: معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911 – 1931م، الدار العربية للكتاب، 1983م.
4) الحسناوي، حبيب وداعه، وآخرون: القرضابية (كتاب وثائقي مصور بمناسبة إحياء الذكرى الخامسة والسبعون لمعركة القرضابية. أو ما تعرف أحياناً بمعركة قصر بوهادي)، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1990م.
5) الزاوي، الطاهر أحمد: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط (3)، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، 1962م.
6) الصلابي، محمد: تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، ط (1)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، 2012م.
7) القشاط، محمد سعيد: القرضابية 28، 29، 1915م. طرابلس، 1977م.
8) المنتصر، بشير السني: مذكرات شاهد على العهد الملكي، ط (2)، مكتبة 17 فبراير، بنغازي، 2012م.
9) بن حليم، مصطفى: ليبيا انبعاث أمة وسقوط دولة، ط (1)، منشورات الجمل كولونيا، ألمانيا، 2003م.
10) خدوري، مجيد: ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، (ت) نقولا زيادة، (م) ناصر الدين الأسد، دار الثقافة العربية، بيروت، 1966م.
11) شكري، محمد فؤاد: السنوسية دين ودولة، (م) يوسف المجريسي، ط (1)، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2005م.
12) هويدي، مصطفى: الحركة الوطنية في شرق ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

ثالثاً: الكتب المترجمة:

1) بروشين، نيكولاي ايليتشن: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م (ت ق) عماد حاتم، ط (2)، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، لبنان، 2001م.
2) بريتشارد، إيفانز: السنوسيون في برقة، (ت) عمر الديراوي أبوحجله، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1948م.